

آفات على الطريق

الطبعة الأولى

1407 هـ - 1987

در الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع - ش م م - المنصورة

الدكتور : السيد محمد نوح

آفات على الطريق الجزء الأول

1. الفتور
2. الإسراف
3. الاستعجال
4. العزلة
5. الإعجاب بالنفس
6. الغرور
7. التكبر
8. آفات على الطريق

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وأصحابه والسالكين سبيله والداعين بدعوته إلى يوم الدين بعد

فإن توضيح معالم الطريق أمام العاملين الفارين بدينهم إلى ربهم كي يعدوا لكل أمر عدته يأخذوا لكل شئ أهبطه فلا ينقطعوا ولا يتوانوا ولا يتأخروا عن ركب النجاة ضرورة لا مفر منها ولا محيص عنها توجبها الدعوة إلى الله والجهد من أجل التمكين لدينه في الأرض .

ولعل من أهم هذه المعالم : أن هناك آفات يمكن أن يصاب بها بعض العاملين بل قد تصيبهم بالفعل فتقع بهم عن أداء دورهم والقيام بواجبهم .

ويطيب لنا في هذا المقام : أن نعرض لهذه الآفات بشيء من التحليل والبيان كي يحذرها العاملون ويتطهروا منها .
و على الله قصد السبيل

أبو عبد الرحمن

الألفة الأولى

الفتور

معناه :

لغة : يطلق الفتور على معنيين :

- أ) الانقطاع بعد الاستمرار أو السكون بعد الحركة .
- ب) الكسل أو التراخي أو التباطؤ بعد النشاط والجد .

جاء في لسان العرب :

(وفتر الشيء ، والحر ، وفلان يفتر ، ويفتر فتوراً وفتاراً : سكن بعد حدة ولان بعد شدة) .

اصطلاحاً : أما في الاصطلاح فهو داء يمكن أن يصيب بعض العاملين بل قد يصيبهم بالفعل . أدناه : الكسل أو التراخي أو التباطؤ .
وأعلاه : الانقطاع أو السكون بعد النشاط الدائب والحركة المستمرة .
قال تعالى عن الملائكة :

{ وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون } .
أي (أنهم في عبادة دائمة ينزهون الله عما لا يليق به ويصلون ويذكرون الله ليل نهار لا يضعفون ولا يسأمون) .

أسبابه :

ويمكن أن يدخل الفتور إلى النفس بسبب من الأسباب التالية :

(1) الغلو والتشدد في الدين : بالاتهامك في الطاعات وحرمان البدن حقه من الراحة والطيبات فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى الضعف أو السأم والملل وبالتالي : الانقطاع والتراخي بل ربما أدى إلى سلوك طريق أخرى عكس الطريق التي كان عليها فينتقل العامل من الإفراط إلى التفريط ومن التشدد إلى التسبب وهذا أمر بديهي إذ للإنسان طاقة محدودة فإذا تجاوزها اعتراه الفتور فيكسل أو ينقطع ولعل ذلك هو السر في تحذير الإسلام الشديد ونهيه الصريح عن الغلو ، والتنتطع ، والتشديد إذ يقول - صلى الله عليه وسلم - (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين) ، (هلك المتنتطعون) قالها ثلاث يعنى : المتعمقين المجاوزين الحدود في أقوالهم أفعالهم .

(لا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد عليكم ، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد عليهم ، فتلك بقاياهم في الصوامع ، والديارات - رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم) ، (إن الدين يسر ، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه)
وعن أنس رضي الله عنه - قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم - يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم - في السر ، فلما أخبروها كأنهم تقالوها ، وقالوا أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم - قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أما أنا فأصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم - إليهم فقال :

(أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم إلى الله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني) ، وعن عائشة رضي الله تعالى عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل عليها وعندها امرأة ، فقال من هذه ؟ قالت : هذه فلانة تذكر من صلاتها ، قال : (0) مه عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله حتى تملوا) وكان أحب الدين ما داوم صاحبه عليه) ، (اكفلوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل الله حتى تملوا ، وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل)
وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما - قال : كانت مولاة للنبي - صلى الله عليه وسلم - تصوم النهار ، وتقوم الليل ، فقيل له : إنها تصوم النهار وتقوم الليل فقال - صلى الله عليه وسلم - : (إن لكل عمل شرة ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل) .

2- السرف ومجاوزة الحد في تعاطي المباحات :

فإن هذا من شأنه أن يؤدي إلى السمنة وضخامة البدن ، وسيطرة الشهوات ، وبالتالي التثاقل ، و الكسل و التراخي ، إن لم يكن الانقطاع و القعود ، ولعل ذلك هو السر في نهى الله ورسوله ، وتحذيرهما من السرف ، قال تعالى : { يا بني آدم خذوا زينتك عند كل مسجد واكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين } .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه ...)¹

¹ أخرجه الترمذی

وقد أدرك سلف الأمة ما يصنعه السرف و التوسع في المباحات بصاحبه ، فحذروا منه ، إذ تقول أم المؤمنين عائشة - رضى الله عنها - : (أول بلاء حدث في هذه الأمة بعد نبيها الشبع ، فإن القوم لما شبعت بطونهم سمنت أبدانهم ، فضعت قلوبهم وجمحت شهواتهم)² وإذا يقول عمر - رضى الله تعالى عنه - : (إياكم و البطنة في الطعام و الشراب ، فإنها مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، و عليكم بالقصد فيهما ، فإنه أصلح للجسد ، وابتعد من السرف ، وإن الله تعالى ليبغض الحبر السمين ، وإن الرجل لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه)³

وإذ يقول أبو سلمان الداراني: (من شبع دخل عليه ست آفات : فقد حلاوة المناجاة ، وحرمان الشفقة على الخلق - لأنه إذا شبع ظن أن الخلق كلهم شباع - وثقل العبادة - وزيادة الشهوات ، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد ، والشباع يدورون حول المزابل)⁴ 3- مفارقة الجماعة ، وإيثار حياة العزلة و التفرد ، ذلك أن الطريق طويلة الأبعاد ، متعددة المراحل ، كثيرة العقبات في حاجة إلى تجديد ، فإذا سارها المسلم مع الجماعة ، وجد نفسه دوماً ، متجدد النشاط ، قوى الإرادة ، صادق العزيمة ، أما إذا شذ عن الجماعة وفارقها ، فإنه سيفقد من يجدد نشاطه ، ويقوى إرادته ، ويحرك همته ، ويذكره بربه فيسأم ويمل ، وبالتالي يتراخي ويتباطأ ، إن لم ينقطع ويقعد. ولعل هذا بعض السر في حرص الإسلام وتأكيده وتشديده على الجماعة ، وتحذيره من مفارقتها ، و الشذوذ عنها إذ يقول الله تعالى { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا }

{ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ... }

{ وأطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ... }

{ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، وأولئك لهم عذاب عظيم }

وإذ يقول النبي - صلى الله عليه وسلم -

(.... عليكم بالجماعة ، وإياكم و الفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة)⁵

(من فارق الجماعة شبراً ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)⁶

(وأمركم بالسمع والطاعة ، و الهجرة و الجهاد ، و الجماعة ، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات إلا كانت ميتته ميتة جاهلية)⁷

(الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم ، أعظم أجراً من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم)⁸

وقد أدرك سلف الأمة ذلك فلزموا الجماعة ، ورغبوا فيها ، وأكدوا عليها ، يقول على رضى الله عنه : _ (كدر الجماعة خير من صفو الفرد)

ويقول عبد الله بن المبارك :

ولكان أضعفنا نهياً لأقوانا

لولا الجماعة ما كانت لنا سبل

4- قلة تذكر الموت و الدار الآخرة :

فإن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى فتور الإرادة ، وضعف العزيمة ، وبطء النشاط و الحركة ، بل قد يؤدي إلى الوقوف والانقطاع ، ولعلنا في ضوء هذا نفهم الحكمة من أمره صلى الله عليه وسلم - بزيارة القبور بعد النهي و التحذير ، إذ يقول : (إنني نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فإن فيها عبرة)⁹ وفي رواية : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزورو القبور ، فإنها تزهدي في الدنيا وتذكر الآخرة) كما نفهم الحكمة من حظه صلى الله عليه وسلم من تذكر الموت ، وانتهاء الأجل إذ يقول :

(أيها الناس استحيوا من الله حق الحياء ، فقال رجل : يا رسول الله إنا نستحي من الله تعالى ؟ فقال : من كان منكم مستحيماً فلا يبيتن ليلة إلا وأجله بين عينيه ، وليحفظ البطن وما حوى و الرأس وما وعى وليذكر الموت و البلى ، وليترك زينة الدنيا)¹⁰

5- التقصير في عمل اليوم و الليلة :

مثل النوم عن الصلاة المكتوبة بسبب السمر الذي لا مبرر له بعد العشاء ، ومثل إهمال بعض النوافل الراتية ، وترك قيام الليل ، أو صلاة الضحى ، أو تلاوة القرآن ، أو الذكر أو الدعاء ، أو الاستغفار ، أو التخلف عن الذهاب إلى المسجد ، أو عدم حضور الجماعة بدون عذر ، فكل ذلك وأمثاله له عقوبات ، وأدنى هذه العقوبات : الفتور بأن يكسل ويتثاقل أو ينقطع ويتوقف .

وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم - في حديثه إلى شئ من هذا إذ يقول :

(يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد : يضرب كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة ، وإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان)¹¹

² أورده المنذرى في الترغيب و الترهيب

³ أورده علاء الدين في : كنز العمال

⁴ أورده الغزالي في إحياء علوم الدين

⁵ أخرجه الترمذى

⁶ أخرجه البخاري

⁷ أخرجه أحمد

⁸ أخرجه مسلم

⁹ أخرجه الترمذى

¹⁰ أخرجه ابن ماجه

¹¹ متفق عليه

6- دخول جوفه شئ محرم أو به شبهة : إما بسبب تقصيره وعدم إتقانه للعمل اليومي الذي يتعيش منه ، وإما بسبب تعامله فيما نسميه شبهة ، وإما بسبب غير ذلك ، فمثل هذا يعاقب من سيده ومولاه ، وأدني عقاب في الدنيا ، أن يفتر فيقع ويرقد عن الطاعات ، أو على الأقل يكسل ويتناقل فلا يجد للقيام لذة ، ولا للمناجاة حلاوة .

ولعل هذا هو سر دعوة الإسلام إلى أكل الحلال وتحريمه ، والابتعاد عن الحرام ، وما كانت به أدنى شبهة، إذ يقول الله عز وجل :

{ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، إنه لكم عدو مبين }

{ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم تعبدون }

{ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ، إني بما تعملون عليم }

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (كل جسد نبت من سحت - أي من حرام - فالنار أولى به)

، (الحلال بين و الحرام بين وبينهما أمور مشتبهة فمن ترك ما يشتبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك ، ومن اجتراً على ما يشك فيه من الإثم ، أوشك أن يواقع ما استبان ، و المعاصي حمى الله ، من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقع)¹² (دعما يريبك إلى ما لا يريبك) ، ويربى النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عملياً على ذلك حين يجد ثمرة في الطريق ويرفض أكلها قائلاً : (لولا أني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها)

وعلى هذا المنهج سار سلف الأمة ، فكانوا يفتشون ويتحرون عن كل ما يتعلق بحياتهم من الطعام و الشراب واللباس و المركب الخ وإذا وجدوا شيئاً شابهته شائبة أو أدنى شبهة اجتنبوه ، مخافة أن يجرحهم إلى الحرام ، فتفسد قلوبهم ، فيحرموا العمل أو يحرموا قبوله .

عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - قالت : (كان لأبي بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - غلام يخرج له الخراج ، فجاء في يوم بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام : أتدري ما هذا ؟ فقال أبو بكر وما هو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية ، وما أحسن الكهانة ، إلا أني خدعته ، فلقيني ، فأعطاني بذلك هذا الذي أكلت منه ، فأدخل أبو بكر يده فقاء كل شئ أكله)¹³

7- اقتصار العامل على جانب واحد من جوانب الدين : كأن يجعل همه العقيدة فحسب ، ملغياً كل شئ غيرها من حسابيه ، أو يجعل همه الشرائع التعبدية ، تاركاً كل ما سواها ، أو يقتصر على فعل الخيرات وراعية الآداب الاجتماعية ، غاضاً الطرف عما عداها فكل هؤلاء وأمثالهم تأتي عليهم أوقات يصابون فيها لا محالة بالفتور ، وهذا أمر بديهي ، نظراً لأن دين الله موضوع لاستيعاب الحياة كلها ، فإذا اقتصر واحد من الناس على بعضه فكأنما أراد أن يحيا بعض الحياة ، لا كل الحياة ، ثم إذا بلغ الذروة في هذا البعض يتساعل : وماذا بعد ؟ فلا يجد جواباً سوى الفتور إما بالعجز وإما بالكسل .

ولعل ذلك هو أحد أسرار الدعوة إلى أخذ منهج الله كلاً بلا تبعية ، ولا تجزيء :

{ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين } ، أي اعملوا بجميع شعب الإيمان ، وشرائع الإسلام ، ولا تسيروا خلف الشيطان ، لما يكنه لكم من العداوة و البغضاء فيصرفكم عن منهج الله بالكلية ، أو عن بعضه فتفتروا وتضيعوا

8- الغفلة عن سنن الله في الكون و الحياة : فإننا نرى صنفاً من العاملين لدين الله يريد أن يغير المجتمع كله - أفكاره ومشاعره ، وتقاليده وأخلاقه وأنظمته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في يوم وليلة بأساليب ووسائل هي إلى الوهم والخيال أقرب منها إلى الحقيقة و الواقع ، مع شجاعة وجرأة وفيية ، لا تستكثر تضحية وإن غلت ، ولا تعباً بالموت سعت إليه أو سعى إليها ، ولا تهتم بالنتائج أياً كانت ، ما دامت نيتها لله ، وما دام هدفها إعلاء كلمة الله ، غير واضعين في حسابهم سنن الله في الكون و الحياة : من ضرورة التدرج في العمل ، ومن أن الغلبة إنما تكون للأنقى ، فإذا لم يكن فلاقوى ، ومن أن لكل شئ أجلاً مسمى لا يقدم ولا يؤخر الخ فإذا ما نزلوا إلى أرض الواقع ، وكان غير ما أملوا ، وما أرادوا وما عملوا ، فتروا عن العمل إما بالكسل و التواني و التراخي ، وإما بالعودة والانسلاخ و الترك .

9- التقصير في حق البدن بسبب ضخامة الأعباء وكثرة الواجبات وقلة العاملين :

ذلك أننا نجد بعض العاملين ينفقون كل ما يملكون من جهد ووقت وطاقة في سبيل خدمة هذا الدين ، ضائنين على أنفسهم بقليل الراحة و الترويح فهؤلاء وأمثالهم ، وإن كانوا معذورين بسبب ضخامة الأعباء ، وكثرة الواجبات وقلة العاملين ، إلا أنه تأتي عليهم أوقات يفترون عن العمل لا محالة .

ولعل هذا هو سر تأكيده - صلى الله عليه وسلم - على حق البدن مهما تكن الأعذار و المبررات إذ يقول : " إن لربك عليك حقاً ، وإن لنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً فأعط كل ذي حق حقه " وفي رواية أخرى : " فإن لجسدك عليك حقاً ، وإن لعينك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً ، وإن لزويك عليك حقاً " ¹⁴

10- عدم الاستعداد لمواجهة معوقات الطريق : ذلك أننا نجد بعض العاملين يبدعون السير في الطريق دون أن يقفوا على معوقاته ، من زوجة أو ولد ، أو إقبال دنيا ، أو امتحان ، أو ابتلاء ، أو نحو ذلك ، و بالتالي لا يأخذون أهبتهم ، ولا استعدادهم ، وقد يحدث أن يصدموا أثناء السير بهذه المعوقات ، أو ببعضها ، فإذا هم يعجزون عن مواجهتها ، فيفترون عن العمل إما بالكسل و التراخي ، وإما بالوقوف والانقطاع .

وهذا سر تنبيه القرآن الكريم ، وتحذيراته المتكررة من معوقات الطريق إذ يقول سبحانه :

¹² متفق عليه

¹³ أخرجه البخاري

¹⁴ أخرجه البخاري

{ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ، وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم ، إنما أموالكم وأولادكم فتنة وإن الله عنده أجر عظيم } ، { واعلموا إنما أموالكم وأولادكم فتنة } ، { ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ... } ، { ألم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين } ، { ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم } .

11- صحبة ذوى الإرادات الضعيفة و الهمم الدانية : فقد يحدث أن يصحب العامل نفراً ممن لهم ذبوع و شهرة ، وحين يقترب منهم ويعايشهم يراهم خاوين فاترين في العمل ، كاطبل الأجوف ، فإن مضى معهم عدوه- كما يعدى الصحيح الأجرب - بالفتور و الكسل . وهذا هو سر تأكيده صلى الله عليه وسلم على ضرورة انتقاء واصطفاء صاحب ، إذ يقول : (المرء على دين خليله فلينظر أحكم إلى من يخالل)¹⁵ .

(إنما مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك : إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، و نافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة) .

12- العفوية في العمل سواء على المستوى الفردي أو الجماعي : ذلك أن كثيراً من العاملين أفراداً كانوا أو جماعات يمارسون العمل لدين الله بصورة عفوية لا تتبع منهجاً ، ولا تعرف نظاماً ، فيقدمون الأمور الثانوية أو التي ليست بذى بال ويؤخرون بل ويهملون الأمور الرئيسية و التي لابد منها من أجل التمكن لدين الله ، وهذا يؤدي إلى أن تطول الطريق وتكثر التكاليف و التضحيات ، فيكون الفتور غالباً ، إن لم تتدخل يد الله بالرعاية و التأييد و الثبات .

ولعلنا في ضوء هذا نفهم سر وصيته صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما وجهه إلى اليمن إذ قال له : إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد في فقرانهم ، فإن هم أطاعوك لذلك ، فأياك وكرانم أموالهم ، و اتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب . إن الحديث قاعدة رئيسية في منهجية العمل ، وترتيبه ودقته .

13- الوقوع في المعاصي و السيئات ولا سيما صغائر الذنوب مع الاستهانة بها :

فإن ذلك ينتهي بالعامل لا محالة إلى الفتور ، وصدق الله الذي يقول :

{ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول : (إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً ، كمثل قوم نزلوا إلى أرض فلاة ، فحضر صنيع القوم ، فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود و الرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سواداً ، وأججوا ناراً ، وأنضجوا ما قذفوا فيها)¹⁶ ، (إن المؤمن إذا أذن ذنباً ، نكت في قلبه نكتة سوداء ، فإذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذي ذكره - عز وجل - { كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } . تلك هي الأسباب التي توقع في الفتور غالباً .

آثاره :

وللفتور آثار ضاره ، ومهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي :

على العاملين : فمن آثاره على العاملين قلة رصيدهم - على الأقل - من الطاعات ، وربما قبض أحدهم وهو فاتر كسلان ، فيلقى الله مقصراً مفراطاً ، لذا كان من دعائه صلى الله عليه وسلم : (اللهم إني أعوذ بك من الهلكة و الحزن و أعوذ بك من العجز و الكسل ، و أعوذ بك من الجبن و البخل و أعوذ بك من غلبة الدين و قهر الرجال)¹⁷ .

(اللهم اجعل خير عمري آخره اللهم اجعل خواتيم عملي رضوانك ، اللهم اجعل خير أيامي يوم ألقاك) (..... اجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتيمه ، وخير أيامي يوم ألقاك فيه)¹⁸

وكان من بشرياته لأمتة : (إذا أراد اله بعبد خيراً استعمله ، قيل كيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه)¹⁹ وكان من وصيته لها : (إن العبد ليعمل بعمل أهل النار ، وإنه من أهل الجنة ، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار ، وإنما الأعمال بالخواتيم)²⁰

(لا تعجبوا لعمل عامل حتى تنظروا بم يختتم له)²¹

¹⁵ أخرجه أبو داود

¹⁶ أخرجه أحمد

¹⁷ أخرجه أبو داود

¹⁸ أورده الهيثمي في مجمع الزوائد 157/10 من حديث أنس ، وعقب عليه بقوله : (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح

غير عبد الله بن محمد أبو عبد الرحمن الأذرمي ، وهو ثقة)

¹⁹ أخرجه الترمذي

²⁰ أخرجه البخاري

²¹ أخرجه أحمد

وكان من تأثر الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - لما مرض مرض الموت إذ جاء : أنه لما مرض بكى فقال : (إنما أبكى لأنه أصابني على حال فترة ، ولم يصبني على حال جهاد)²² ويقصد أن المرض أصابه وهو في حال سكون وتقليل من العبادات والمجاهدات .

على العمل الإسلامي : ومن آثاره على العمل الإسلامي طول الطريق ، وكثرة التكاليف و التضحيات ، إذ مضت سننه سبحانه : ألا يعطى النصر و التمكين للكسالى و الغافلين و المنقطعين ، وغنما لعاملين المجاهدين الذين اتقوا العمل ، واحسنوا الجهاد : { إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً } { إن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون } { و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }

علاجه :

ولما كان الفتور يؤدي إلى الآثار و المخاطر التي ذكرنا لزم التحرز و التطهر منه ويستطيع العاملون التحرز و التطهر منه على النحو التالي :

- 1- البعد عن المعاصي و السيئات كبيرها وصغيرها ، فإنها نار تحرق القلوب ، وتستوجب غضب الله ، ومن غضب عليه ربه فقد خسر خسراناً مبيناً ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى {
- 2- المواظبة على عمل اليوم و الليلة : من ذكر ودعاء وضراعة ، أو استغفار ، أو قراءة قرآن ، أو صلاة ضحى ، أو قيام ليل ، ومناجاة ولاسيما في وقت السحر ، فإن ذلك كله مولد إيماني جيد ، ينشط النفوس ويحركها ويعلى الهمم ، ويقوى العزائم ، قال تعالى { وهو الذي جعل الليل و النهار خلفه ، لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً } { يا أيها المزمحل قم الليل إلا قليلاً سنلقى عليك قولاً ثقيلاً ... }
- وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من نام عن حزبه من الليل ، أو على شئ منه ، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل)²³
- 3- ترصد الأوقات الفاضلة و العمل على إحيائها بالطاعات ، فإن هذا مما ينشط النفوس ، ويقوى الإرادات يقول : صلى الله عليه وسلم : (..... فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة و الروحة وشئ من الدلجة)
- 4- التحرر من التشدد و الغلو في دين الله ، فإن ذلك مما ينشط ويساعد على الاستمرار ، عن عائشة - رضى الله تعالى عنها - قالت : (كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصير ، وكان يحجره من الليل فيصلى فيه فجعل الناس يصلون بصلاته ، ويبسطه بالنهار فثابوا ذات ليلة فقال : (يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يمل حتى تملوا ، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل) وكان آل محمد صلى الله عليه وسلم إذا عملوا عملاً أثبتوه .²⁴
- ولا جرم أن تشير هنا إلى أن التحرر من التشدد و الغلو لا يعنى الترك والإهمال ، بل يعنى الاقتصاد و التوسط مع المحافظة عل ما اعتاده من العمل ، ومع اتباع السنة ، قال عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا عبد الله لا تكن مثل فلان ، كان يقوم الليل فترك قيام الليل) ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم) .
- 5- دفن النفس في أحضان الجماعة ، وعدم اعتزالها أو الشذوذ عنها بحال من الأحوال ، وحسبنا قوله صلى الله عليه وسلم : (الجماعة رحمة و الفرقة عذاب)²⁵ ، (يد الله مع الجماعة)²⁶ ، وقول على رضى الله عنه - المذكور آنفاً : (كدر الجماعة خير من صفو الفرد)
- 6- الانتباه إلى سنن الله في الإنسان والكون { فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً } من استفراغ الطاقة وبذل الجهد الإنساني أولاً { ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبولوا بعضكم ببعض } ، ومن التدرج في العمل ، كما قالت أم المؤمنين عائشة - رضى الله تعالى عنها - (إنما أنزل أول ما أنزل من القرآن سور فيها ذكر الجنة و النار ، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام ، ولو نزل أول شئ ، لا تشربوا الخمر ، ولا تزنا لقالوا : لا ندع الخمر ولا الزنى أبداً)²⁷ وكما عبر عنه عمر بن عبد العزيز - رضى الله تعالى عنه - خامس الخلفاء الراشدين ، فقد أراد أن يعود بالحياة إلى هدى الخلفاء الأربعة ، لكن بعد أن يتمكن ويمسك الخيوط في يديه ، وكان له ابن يقال له عبد الملك ، فيه فتوة وحماس وحيوية وتقى ، فأنكر على أبيه البطء ، وعدم الإسراع في إزالة كل بقايا الانحراف و المظالم ، حتى تعود الحياة سيرتها الأولى أيام الراشدين ، إذ قال له يوماً : (ما لك يا أبت لا تنفذ الأمور ؟ فوالله ما أبالي ، لو أن القدور غلت بي وبك في الحق) .

²² النهاية في غريب الحديث لابن الأثير

²³ أخرجه مسلم

²⁴ أخرجه مسلم

²⁵ أخرجه أحمد

²⁶ أخرجه الترمذى

²⁷ أخرجه البخاري

فكان جواب الأب الفقيه : (لا تعجل يا بنى فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين ، وحرّمها في الثالثة ، وإنّي أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدعوه جملة فيكون من ذا فتنة)²⁸ ... الخ

7- الوقوف على معوقات الطريق من أول يوم في العمل : حتى تكون الأهبة ، ويكون الاستعداد لمواجهةها و الغلب عليها فلا يبقى مجال لفتور أو انقطاع .

8- الدقة و المنهجية في العمل على معنى مراعاة الأولويات وتقدير الأهم ، وعدم الدخول في معارك جانبية ، أو مسائل جزئية هامشية .

9- صحبة الصالحين المجاهدين من عباد الله : إذ أن هؤلاء لهم من الصفاء النفسي والإشراق القلبي ، والإشعاع الروحي ، ما يسبى ، ويجذب بل ما يحرك الهمم والعزائم ، ويقوى الإرادات ، وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم الأنظار إلى ذلك حين قال :

(ألا أخبركم بخير الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : من تذكركم رؤيته بالله عز وجل)²⁹

10- إعطاء البدن حقه من الراحة و الطعام و الشراب مع الاعتدال في ذلك ، فإن هذا مما يجدد نشاط الجسم ويعيد إليه قوته وحيويته .

وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلم العاملين إلى ذلك ، فقد دخل مرة المسجد فرأى حبلاً ممدوداً بين ساريتين ، فقال : (ما هذا الحب ؟

قالوا : هذا حبّل لزينب ، فإذا فترت تطلعت به ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليرقد)³⁰

وقال أيضاً : إذا نعل أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه)³¹

11- الترفيه عن النفس بالمباحات ، من مداعبة الأهل ، أو ملاعبة الأولاد ، أو القيام ببعض الرحلات النهرية للتجديف ، أو القمرية

للرياضة ، و التدبير و التفكير ، أو الجبلية للصعود و التسلق ، أو الصحراوية للتمرس و التعود على مواجهة مشاق الحياة ، أو الحقلية

أو غير ذلك ، فإن هذا مما يطرد السأم و الملل ، ويقضى على الفتور والكسل ، بحيث يعود المسلم إلى ممارسة نشاطه ، وكأنما ولد من

جديد ، أو صار خلقاً آخر .

عن أبي ربيعي حنظلة ابن الربيع الأسدي الكاتب ، أحد كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لقيني أبو بكر - رضى الله تعالى عنه

- فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت نافق حنظلة ، قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا

بالجنة و النار كأننا رأي عين ، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد ، و الضيعات ونسينا كثيراً ،

قال أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - فوالله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلت : نافق حنظلة يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما ذاك ؟ قلت : يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة و

النار كأننا رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد ، و الضيعات ونسينا كثيراً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (

والذي نفسي بيده لو تدومون على ما تكونون عندي و في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم ، وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة

وساعة)³² ثلاث مرات .

12- دوام النظر و المطالعة في كتب السيرة و التاريخ و التراجم ، فإنها مشحونة بكثير من أخبار العاملين المجاهدين ، أصحاب العزائم

القوية والإرادات الصادقة التي تسرى عن النفس ، وتسليها وتولد فيها حب الاقتداء و التأسي وصدق الله - سبحانه وتعالى - الذي يقول

: { لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب }

وعلى سبيل المثال حين يقرأ المسلم عن عمر بن عبد العزيز أنه كان إذا فتر في الوقت من صلاة الفجر إلى طلوع الشمس وارتفاعها

قليلاً أخذ يدور في صحن بيته ، ويردد على نفسه :

وكيف تنام العين وهي قريرة ولم تدر أي المحليين تنزل

حين يقرأ المسلم ذلك تتحرك مشاعره وأحاسيسه فينشط ويجاهد نفسه ليكون ضمن قافلة العاملين المجاهدين .

13- تذكر الموت وما بعده من سؤال القبر وظلمته ووحشته ، و البعث و الحشر ... الخ فإن هذا مما يوقظ النفس من نومها ، ويوقفها

من رقدتها ، وينبهاها من غفلتها ، فتنشط وتتابع السير ، وخير وسيلة لتذكر الموت الذهاب إلى القبور - ولو مرة كل أسبوع - وزيارتها

للاعتبار بأحوال أهلها : (كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها فإن فيها عبرة)

= وجاء عن ابن السماك الواعظ : أنه كان قد حفر حفرة في بيته كأنها قبر ، وكلما أحس من نفسه فتوراً أو كسلاً ، نزل إلى هذه الحفرة

واستلقى كأنما قد مات ، ثم يتخيل أنه قد سنل ، وأن أعماله قد قصرت به ، ويأخذ في الاستغاثة و الصراخ وطلب العودة قائلاً :

{ رب ارجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت .. }

وبعد طول استغاثة وطلب يجيب نفسه ، ها أنت يا ابن السماك قد أعطيت فرصة أخرى ، ثم يقوم من قبره ، وكأنما نشط من عقال .

²⁸ الموافقات للشاطبي

²⁹ أخرجه ابن ماجه

³⁰ متفق عليه

³¹ متفق عليه

³² أخرجه مسلم

- 14- تذكر الجنة و النار ، وما فيهما من النعيم و العذاب ، فإن ذلك مما يذهب النوم عن الجفون ، ويحرك الهمم الساكنة و العزائم الفاترة ، جاء عن ابن هرم بن حيان أنه كان يخرج في بعض الليالي ، وينادي بأعلى صوته : (عجبت من الجنة كيف ينام طالبها ، وعجبت من النار كيف نام هاربها ، ثم يقول : { أقامن أهل القرى أن يأتيهم بأسناً بياتاً وهم نائمون })³³ .
- 15- حضور مجالس العلم ، إذ العلم حياة القلوب وربما سمع العامل كلمة من عالم صادق مخلص ، فنشطته سنة كاملة ، بل الدهر كله وصدق الله الذي يقول :
- { إنما يخشى الله من عباده العلماء } ، { وقل رب زدني علماً }
- 16- أخذ هذا الدين بعمومه وشموله ، دون التخلي عن شئ منه ، فإن ذلك يضمن الدوام والاستمرار ، حتى تنقضي الحياة ونلقى الله .
- 17- محاسبة النفس و التفتيش فيها دائماً ، فإن ذلك مما يبصر بالعيوب في بدايتها ، فتسهل معالجتها :
- { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنتظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون }

الآفة الثانية

الإسراف

والآفة الثانية التي تصيب العالمين ولا بد أن يتخلصوا منها وأن يتحصنوا ضدها إنما هي الإسراف ولكي يكون حديثنا عن إسراف العالمين واضحاً محدد المعلم سنجعله يدور على النحو التالي :

أولاً : معنى الإسراف

لغة : الإسراف في اللغة يطلق ويرد به :

(أ) ما نفق من غير طاعة .

(ب) أو التبذير ومجاوزة الحد .³⁴

اصطلاحاً : أما في اصطلاح الدعاة فيراد به مجاوزة حد الاعتدال في الطعام والشراب واللباس والسكنى ونحو ذلك من الغرائز الكامنة في النفس البشرية .

ثانياً أسباب الإسراف :

وللإسراف أسباب وبواعث توقع فيه وتؤدي إليه ونذكر منه :

(1) النشأة الأولى :

فقد يكون السبب في الإسراف إنما هي النشأة الأولى أي الحياة الأولى ذلك أن المسلم قد ينشأ في أسرة حالها الإسراف والبذخ فما يكون منه سوى الاقتداء والتأسي إلا من رحم الله على حد قول القائل :

وينشئ ناشئ الفتيان منا على ما كان عوده أبوه

ولعلنا بهذا ندرك شيئاً من أسرار دعوة الإسلام وتأكيد على ضرورة إنصاف الزوجين والتزامهم بشرع الله وهديه :

{ وأنكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم }

{ ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه }

(تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك)³⁵ .

(2) السعة بعد الضيق :

وقد يكون الإسراف سببه السعة بعد الضيق أو اليسر بعد العسر ذلك أن كثيراً من الناس قد يعيشون في ضيق أو حرمان أو شدة أو عسر وهم صابرون محتسبون بل وماضون في طريقهم إلى ربهم وقد يحدث أن تتغير الموازين وأن تتبدل الأحوال فتكون السعة بعد الضيق أو اليسر بعد العسر وحينئذ يصعب على هذا الصنف من الناس التوسط أو الاعتدال فينقلب على النقيض تماماً فيكون الإسراف أو التبذير .

ولعلنا بهذا ندرك بعض الأسرار التي من أجلها حذر الشارع الحكيم من الدنيا وأوصى بأن يكون النيل منها بقدر .

يقول النبي صلى الله عليه وسلم فابشروا وأملوا ما يسركم فو الله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها تهلككم كما أهلكتم)³⁶ .

³³ التخويف بالنار لابن رجب

³⁴ انظر القاموس المحيط 156/3 ، المعجم الوسيط 427/1 ، الصحاح في اللغة و العلوم ص 474 مادة (سرف)

³⁵ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب النكاح باب الأكل في الدين 9/7

³⁶ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقائق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا و التنافس فيها 12/8 ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الزهد و الرقائق 2273/4-2274 رقم 2961 كلاهما من حديث عمرو بن عوف عنه - صلى الله عليه وسلم - به واللفظ لمسلم

(إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء)³⁷.

(3) صحبة الميسرفين :

وقد يكون في الإسراف إنما هي صحبة الميسرفين ومخالطتهم ذلك أن الإنسان غالباً ما يتخلق بأخلاق صاحبه وخليله لاسيما إذ طالبت هذه الصحبة وكان هذا صاحب قوى الشخصية شديد التأثير . ولعلنا بذلك نذكر السر في تأكيد الإسلام وتشديده على ضرورة انتقاء الصحاب أو الخليل ولقد مرت بنا بعض النصوص الدالة على ذلك أثناء الكلام عن أسباب الفتور .

(4) الغفلة عن زاد الطريق :

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن زاد الطريق ذلك أن الطريق الموصلة إلى رضوان الله والجنة ليست طريقاً مفروشة بالحرير والورود والرياحين بل بالأشواك والدموع والعرق والدماء والجمام وولوج هذه الطريق لا يكون بالترف والنعومة والاسترخاء وإنما بالرجولة والشدة ذلك هو زاد الطريق والغفلة عن هذا الزاد توقع المسلم العامل في الإسراف . ولعلنا بذلك نذكر سر حديث القرآن المتكرر المتنوع عن طبيعة الطريق : { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب } . { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين } إلى غير ذلك من الآيات .

(5) الزوجة والولد :

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الزوجة والولد . إذ قد يتلى المسلم بزوج وولد دأبهم ودينهم الإسراف وقد لا يكون حازماً معهم فيؤثرون عليه ويمرور الأيام وطول المعاشرة ينقلب مسرفاً مع الميسرفين .

ولعلنا بذلك نفهم بعض الأسرار التي قصد إليها الإسلام حين أكد ضرورة انتقاء واختيار الزوجة وقد قدمت بعض النصوص الدالة على ذلك قريباً أثناء الحديث عن السبب الأول وحين أكد على ضرورة الاهتمام بتربية الولد والزوجة . { يأبى الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون } .

(ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم الحديث)³⁸.

(6) الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغي أن تكون :

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن طبيعة الحياة الدنيا وما ينبغي أن تكون ذلك أن طبيعة الحياة الدنيا أنها لا تثبت ولا تستقر على حال واحد بل هي متقلبة تكون لك اليوم وعليك غدا وصدق الله العظيم : { وتلك الأيام نداؤها بين الناس } . والواجب يقتضي أن نكون منها على وجل وحذر : نضع النعمة في موضعها ونذكر ما يفيض عن حاجتنا الضرورية اليوم من مال وصحة ووقت إلى الغد أو بعبارة أخرى : ندخر من يوم إقبالها ليوم إدبارها . تلك طبيعة الحياة الدنيا وهذا ما ينبغي أن تكون والغفلة عن ذلك قد توقع في الإسراف .

(7) التهاون مع النفس :

وقد يكون السبب في الإسراف التهاون مع النفس ذلك أن النفس البشرية تنقاد وتخضع ويسلس قيادها بالشدة والحزم وتتمرد وتتطلع إلى الشهوات وتلج في الانغماس فيها بالتهاون واللين وعليه فإن المسلم العامل إذا تهاون مع نفسه ولبي كل مطالبها أوقعته لا محالة في الإسراف .

ولعلنا بذلك نفهم السر في تأكيد الإسلام على ضرورة المجاهدة للنفس أولاً وقبل كل شيء :

{ إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } .

{ قد أفلح من زكاهها وقد خاب من دساها } .

³⁷ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الذكر و الدعاء و التوبة والاستغفار باب أكثر أهل الجنة الفقراء 2098/4 رقم 2742 من

حديث أبي سعيد الخدري عنه صلى الله عليه وسلم - به

³⁸ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأحكام باب قول الله تعالى { وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم } 77/9 ،

ومسلم في الصحيح ، كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل 1459/3 رقم 1829 كلاهما من حديث عبد الله بن عمر - رضى الله تعالى عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم - به واللفظ للبخاري .

{ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }.

(8) الغفلة عن شدائد وأهوال يوم القيامة :

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن الشدائد وأهوال يوم القيامة ذلك أن يوم القيامة يوم فيه من الشدائد والأهوال ما ينعقد اللسان وتعجز الكلمات عن الوصف والتصوير وحسبنا ما جاء في كتاب الله عز وجل - وسنة النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا اليوم. ومن ظل متذكراً ذلك متدبراً فيه قضى حياته غير ناعم بشيء في هذه الحياة الدنيا أما من غفل عن ذلك فإنه يصاب بالإسراف والترف بل ربما ما هو أبعد من ذلك .

ولعلنا بهذا ندرك شينا من أسرار دوام خشيته صلى الله عليه وسلم لربه وقلة تنعمه ونيله من الحياة الدنيا , يقول صلى الله عليه وسلم :

(لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا)³⁹.

وفي رواية أخرى :

(وما تلذذتم بالنساء على الفراش) .

(9) نسيان الذي تحياه البشرية عموما والمسلمون على وجه الخصوص :

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هو نسيان الواقع الذي تحياه البشرية عموما والمسلمون على وجه الخصوص : ذلك أن البشرية اليوم تقف على حافة الهاوية ويوشك أن تتزلزل الأرض من تحتها فتسقط أو تقع في تلك الهاوية وحينئذ يكون الهلاك أو الدمار أما المسلمون فقد صاروا إلى حال من الذل والهوان يرثى لها ويتحسر عليها ومن بقى مستحضرا هذا الواقع وكان متبلدا الحس ميت العاطفة فإنه يمكن أن يصاب بالترف والإسراف والركون إلى زهرة الدنيا وزينتها . ولعلنا بذلك ندرك شينا من أسرار حزنه واهتمامه صلى الله عليه وسلم بأمر البشرية قبل البعثة وبعدها حتى عاتبه ربه ونهاه عن ذلك : { فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا } . { لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين } . { فلا تذهب نفسك عليهم حسرات } .

(10) الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف :

وقد يكون السبب في الإسراف إنما هي الغفلة عن الآثار المترتبة على الإسراف ذلك أن للإسراف آثاراً ضارة وعواقب مهلكة على نحو الذي سنعرض له بعد قليل . ولقد عرف من طبيعة الإنسان : أنه غالبا ما يفعل الشيء أو يتركه إذا كان على ذكر من آثاره وعواقبه أما إذا غفل عن هذه الآثار فإن سلوكه يختل وأفعاله تضطرب فيقع أو يسقط فيما لا ينبغي ويهمل أو يترك ما ينبغي . وعليه فإن المسلم العالم إذا غفل عن الآثار المترتبة على الإسراف يكون عرضة للوقوع في الإسراف . ولعلنا بذلك نفهم السر في اهتمام الإسلام بذكر الحكم والمقاصد المنوطة بكثير من الأحكام والتشريعات .

ثالثاً : آثار الإسراف :

هذا وللإسراف آثار ضارة وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي وإليك طرفاً من هذه الآثار :

فمن آثاره على العاملين :

(1) علة البدن :

أي أن الأثر الذي يتركه الإسراف : إنما يكمن في علة البدن ذلك أن هذا البدن محكوم بطانفة من السنن والقوانين الإلهية بحيث إذا تجاوزها الإنسان بالزيادة أو بالنقص تطرقت إليه العلة وحين تتطرق إليه العلة فإنه يقعد بالمسلم عن القيام بالواجبات والمسؤوليات الملقة على عاتقه أو المنوطة به

(2) قسوة القلب :

والأثر الثاني الذي يترتب على الإسراف : إنما هو قسوة القلب ذلك أن هذا القلب يرق ويلين بالجوع أو بقلة الغذاء ويقسو ويجمد بالشبع أو بكثرة الغذاء سنة الله { ولن تجد لسنة الله تحويلاً } وحين يقسو القلب أو يجمد فإن صاحبه ينقطع عن البر والطاعات ، والويل

³⁹ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقائق باب قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم 127/8 من حديث أبي هريرة وأنس عنه صلى الله عليه وسلم - به و الترمذى في السنن كتاب الزهد باب ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم 603/6 رقم بهامش تحفة الأحوذى من حديث أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم وعقب عليه بقوله " هذا حديث صحيح "

كل الويل لمن كانت هذه حالة { فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله } وحتى لو جاهد المسلم نفسه وقام بالبر والطاعات فإنه لا يجد لها لذة ولا حلاوة بل لا يجنى من ورائها سوى النصب والتعب (... ورب قائم حظه من قيامه السهر)

(3) خمول الفكر :

والأثر الثالث الذي يترتب على الإسراف إنما هو خمول الفكر ذلك أن نشاط الفكر وخموله مرتبط بعدة عوامل ، البطنة أحدها ، فإذا خلت البطنة نشاط الفكر ، وإذا امتلأت اعتراه الخمول حتى قالوا قديما : (إذا امتلأت البطنة نامت الفطنة)
ويوم أن يصاب الفكر بالخمول يوم أن يحرم المسلم الفقه والحكمة وحينئذ يفقد أخص الخصائص التي تميزه عن باقي المخلوقات .

(4) تحريك دواعي الشر والإثم :

والأثر الرابع الذي يخلقه الإسراف إنما هو تحريك دواعي الشر والإثم ذلك أن الإسراف يولد في النفس طاقة ضخمة ووجود هذه الطاقة من شأنه أن يحرك الغرائز الساكنة أو الكامنة في هذه النفس وحينئذ لا يؤمن على المسلم العامل الوقوع في الإثم والمعصية إلا من رحم الله ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على الصوم لمن لم يكن قادرا على مؤن النكاح إذ يقول صلى الله عليه وسلم : (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)

(5) الانهيار في ساعات المحن والشدائد :

والأثر الخامس الذي يتركه الإسراف إنما هو الانهيار في ساعات المحن والشدائد ذلك أن المسرف قضى حياته في الاسترخاء والترفع فلم يألف المحن والشدائد ومثل هذا إذا وقع في شدة أو محنة لا يلقي من الله أدنى عون أو تأييد فيضعف وينهار لأن الله عز وجل لا يعين ولا يؤيد إلا من جاهد نفسه وكان صادقا مخلصا في هذه المجاهدة { لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم } .

(6) عدم الرعاية أو الاهتمام بالآخرين :

والأثر السادس الذي يتركه الإسراف إنما هو عدم الرعاية أو الاهتمام بالآخرين ذلك أن الإنسان لا يرفع ولا يهتم غالبا إلا إذا أضناه التعب وعصبته الحاجة كما أثر عن يوسف عليه السلام : أنه لما صار على خزائن الأرض ما كان يشبع أبدا فلما سئل عن ذلك قال : أخاف أن شبعته أن أنسى الجوع .
والمسرف مغمور بالنعمة من كلا جانب فأنى له أن يفكر أو يهتم بالآخرين .

(7) المساءلة غدا بين يدي الله :

والأثر السابع المترتب على الإسراف إنما هي المساءلة غدا بين يدي الله كما قال سبحانه { ثم لتسألن يومئذ عن النعيم } .
ومجرد الوقوف بين يدي الله للمساءلة والمناقشة عذاب كما قال صلى الله عليه وسلم : (... من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) .

(8) الوقوع تحت وطأة الكسب الحرام :

والأثر الثامن الذي يتركه الإسراف إنما هو الوقوف تحت وطأة الكسب الحرام ذلك أن المسرف قد تضيق به أو تنتهي موارده فيضطرب تلبية وحفاظا على حياة الترف والنعيم □ التي ألقاها إلى الواقع والعياذ بالله في الكسب الحرام وقد جاء في الحديث : (كل جسد نبت من سحت أي من حرام فالنار أولى به) .

(9) أخوة الشياطين :

والأثر التاسع يتركه الإسراف هي أخوة الشياطين كما قال سبحانه وتعالى : { إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا } .

وأخوة الشياطين تعنى الصيرورة والانضمام إلى حزبهم وإن ذلك لهو الخسران المبين والضلال البعيد { ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون } .

(10) الحرمان من محبة الله :

والأثر العاشر الذي يتركه الإسراف إنما هو الحرمان من محبة الله كما قال سبحانه : {.....إنه لا يحب المسرفين } .
على العمل الإسلامي :

وأما آثاره على العمل الإسلامي فتتخصر في :

سهولة القضاء عليه أو على الأقل تأخيرته إلى الوراء عشرات السنين نظرا لأن السلاح الوحيد الذي يواجه به المسلمون أعداء الله ألا وهو الإيمان إنما يتأثر أشد ما يكون التأثير بالإسراف والترفع والراحة والنعيم .

تلك هي آثار الإسراف على العاملين وعلى العمل الإسلامي وقد مرت بنا أثناء الحديث عن أسباب الفتور عدة نصوص من كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف تتضمن إجمالا لكل هذه الآثار .

رابعاً : الطريق لعلاج الإسراف :

ومادامت هذه آثار وعواقب الإسراف وتلك أسبابه وبواعثه فإن طريق العلاج يتخلص في :

(1) التفكير في الآثار والعواقب المترتبة على الإسراف فإن ذلك من شأنه أن يحمل على تدارك الأمر والتخلص من الإسراف قبل فوات الأوان .

(2) الحزم مع النفس وذلك بفطمها عن شهواتها ومطالبها وحملها على الأخذ بكل شاق وصعب من قيام ليل إلى صوم تطوع إلى صدقة إلى مشى على الأقدام إلى حمل الأثقال ونحو ذلك .

(3) دوام النظر في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته فإنها مليئة بالتحذير من الإسراف بل ومجاهدة النفس والأهل والعيش على الخشونة والتقشف إذ يقول صلى الله عليه وسلم :

(والمؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبع أمعاء) وفي رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضافه ضيف وهو كافر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم أخرى فشربه ثم أخرى فشربه حتى شرب حلاب سبع شياه ثم أنه أصبح فأسلم فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فشرب حلابها ثم أمر بأخرى فلم يستتمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (والمؤمن يشرب في معي واحد والكافر يشرب في سبع أمعاء) .

ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلاث لطعامه وثلاث لشربه وثلاث لنفسه .
وإذ تحكى أم عائشة رضي الله تعالى عنها لعروة بن الزبير بن أختها فتقول (إن كنا ننظر إلى الهلال ، ثلاثة أهلة في شهرين ، وما أوقدت في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، فيقول لها عروة ، ما كان يعيشكم ؟ قالت : الأسودان : التمر والماء ، إلا أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار ، كان لهم منائح ، وكانوا يمنحون رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانهم فيسقيناه) .

وإذ تقول أيضاً : (كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم وحشوه من ليف)

(ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة من طعام بر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض)⁴⁰

بل كان من دعائه صلى الله عليه وسلم : (اللهم ارزق آل محمد قوتاً)⁴¹

وأن المسلم العامل لدين الله حين يقف على ذلك ، وعلى غيره تتحرك مشاعره ، وتتأجج عواطفه فيترسم خطاه صلى الله عليه وسلم ويسير على هديه اقتداء وتأسياً وطمعاً في معيته في الجنة :

ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، ذلك الفضل من الله وكفي بالله عليمًا { .

4- دوام النظر في سيرة سلف هذه الأمة ، من الصحابة المجاهدين و العلماء العاملين فقد اقتدى هؤلاء به صلى الله عليه وسلم فكان عيشهم كفافاً ، ولا هم لهم من الدنيا إلا أنها معبر أو قنطرة توصل للأخرة .

دخل عمر بن الخطاب على ابنه عبد الله - رضي الله تعالى عنهما - فرأى عنده لحماً ، فقال : ما هذا اللحم ؟ قال : أشتهيه قال : وكلما اشتهيت شيئاً أكلته ؟ كفي بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما اشتهاه)⁴²

وأتى سلمان الفارسي أبا بكر الصديق - رضي الله تعالى عنهما - في مرضه الذي مات فيه فقال : أوصيني يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر : (إن الله فاتح عليكم الدنيا فلا يأخذن منها أحد إلا بلاغاً)⁴³

وكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - وهو على الكوفة يستأذنه في بناء بيت يسكنه فوق في كتابه :
(ابن ما يسترك من الشمس ويكنك من الغيث ، فإن الدنيا دار بلغة)⁴⁴

⁴⁰ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الرقائق باب كيف كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه 121/8 ، ومسلم في الصحيح : كتاب الزهد و الرقائق 2281/4 رقم 2970 كلاهما من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها - به .

⁴¹ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الرقائق باب كيف كان يعيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه 122/8 ، ومسلم في الصحيح : كتاب الزهد و الرقائق 2281/4 رقم 1055 من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها - به .

⁴² الأثر أورده الكاندهلوى في حياة الصحابة 284/2-285 قانلاً : 0 وأخرج عبد الرزاق ، وأحمد في الزهد و العسكري في المواعظ ، وابن عساكر عن الحسن قال : دخل عمر على ابنه وساقه بتمامه

⁴³ الأثر أورده الكاندهلوى في حياة الصحابة 287/2 قانلاً : (وعند الدينورى عن الحسن أن سلمان الفارسي أبا بكر الصديق - رضي الله تعالى عنهما - في مرضه الذي مات فيه فقال : أوصيني ...) وساقه بتمامه .

⁴⁴ الأثر أورده الكاندهلوى في حياة الصحابة 286/2 قانلاً : وأخرج ابن أبي الدنيا و الدينورى عن سفيان ابن عيينة قال وكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - وهو على الكوفة يستأذنه في بناء بيت يسكنه ... وساقه بتمامه

وحكى ميمون أن رجلاً من بنى عبد الله بن عمر - رضى الله تعالى عنهما - استكسأه إزاراً قائلاً : قد تخرق إزاري ، فقال له عبد الله : (قطع إزارك ثم اكتسه) فكره الفتى ذلك فقال له : (0) ويحك اتق الله ولا تكونن من القوم الذين يجعلون ما رزقهم الله تعالى في بطونهم وعلى ظهورهم)

إلى غير ذلك من الأخبار المودعة في بطون الكتب المنثورة هنا وهناك .
وأن المسلم العامل حين يقف على هذه الأخبار يتحرك من داخله فيتولد عنه حب السير على نفس المنهج فتراه يطرح الترف و السرف ويعيش على الخشونة و التقشف ليكون ناجياً مع الناجين .

5- الانقطاع عن صحبة المسرفين ، مع الارتقاء في أحضان ذوى الهمم العالية و النفوس الكبيرة ، الذين طرحوا الدنيا وراء ظهورهم ، وكرسوا كل حياتهم من أجل اسناف حياة إسلامية كريمة ، تصان فيها الدماء والأموال والأعراض ، ويقام فيها حكم الله عز وجل في الأرض ، غير مباليين بما أصابهم ويصيبهم في ذات الله ، فإن ذلك من شأنه أن يقضى على كل مظاهر السرف والدعة و الراحة ، بل ويجنبنا الوقوع فيها مرة أخرى ، لنكون ضمن قافلة المجاهدين وفي موكب السائرين .

6- الاهتمام ببناء شخصية الزوجة و الولد فإن ذلك من شأنه أن يقضى على كل مظاهر الترف ، وأن يحول دون التورط فيها مرة أخرى ، بل ويعين على سلوك طريق الجادة حين تنقضي هذه الحياة بأشواكها وآلامها ونرد إلى ربنا فنلقى حظنا هناك من الراحة و النعيم المقيم .

7- دوام التفكير في الواقع الذي تحياه البشرية عموماً و المسلمون على وجه الخصوص ، فإن ذلك يساعد على التخلص من كل مظاهر الإسراف بل ويحول دون التلذذ أو التمتع بشيء من هذه الحياة ، حتى يمكن لمنهج الله وترفع الراية الإسلامية من جديد .

8- دوام التفكير في الموت ، وما بعده من شدائد وأهوال ، فإن ذلك أيضاً يعين على نبذ كل مظاهر الإسراف و الترف ، ويحول دون الوقوع فيها مرة أخرى استعداداً لساعة الرحيل ويوم اللقاء .

9- تذكر طبيعة الطريق ، وما فيها من متاعب وآلام ، وأن زادها ما يكون بالإسراف والاسترخاء و الترف بل بالخشونة و الحزم و التقشف ، فإن ذلك له دور كبير في علاج الإسراف ومجاهدة النفس و القدرة على اجتياز وتخطى المعوقات و العقبات .

الآفة الثالثة الاستعجال

والآفة الثالثة التي يصاب بها بعض العاملين ولا بد أن يحذروها وأن يتخلصوا منها إنما هي (الاستعجال) ولكي يكون لدينا التصور الدقيق عن هذه الآفة سنتناولها على النحو التالي :

أولاً : معنى الاستعجال :

لغة : الاستعجال والإعجال كلها بمعنى واحد وهو : الاستحاث وطلب العجلة أي السرعة أو استعجل الرجل الرجل حثه ، وأمره أن يعجل في الأمر ومنه قوله تعالى { ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم } .
أي لو عجل الله للناس الشر إذا دعوا به على أنفسهم عند الغضب وعلى أهلهم وأولادهم واستعجلوا به كما يستعجلون بالخير فيسألونه الخير والرحمة لقضى إليهم أجلهم فماتوا) .
اصطلاحاً :

ومعناه في اصطلاح الدعاة إرادة تغيير الواقع الذي يحياه المسلمون اليوم في لحظة أو في أقل من طرفة عين دون نظر في العواقب ودون فهم للظروف والملابسات المحيطة بهذا الواقع ، ودون إعداد جيد للمقدمات أو للأساليب والوسائل .
بحيث يغمض الناس عيونهم ثم يفتحونها أو ينامون ليلة ثم يستيقظون فإذا بهم يرون كل شيء عاد إلى وضعه الطبيعي في حياتهم : زالت الجاهلية من طريقهم ، ورفعت الراية الإسلامية من جديد ، ووجد كل إنسان إنسانيته ، وخلصت الفطرة من كل ما يكرها ويعكر صفوها .

ثانياً : نظرة الإسلام إلى الاستعجال :

ولما كانت العجلة والاستعجال من طبيعة الإنسان بشهادة خالقه وصانعه ، ومدير أمره { ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً } ، { خلق الإنسان من عجل ... } فإن الإسلام ينظر إلى الاستعجال نظرة عدالة وإنصاف ، فلا يحمده بالمرة ، ولا يذمه بالمرة ، وإنما يحمده بعضه ، ويذم البعض الآخر :
فالمحمود منه : ما كان ناشئاً عن تقدير دقيق للآثار والعواقب ، وعن إدراك تام للظروف والملابسات ، وعن حسن إعداد وجودة ترتيب .

ولعل هذا النوع من الاستعجال هو المعنى في قوله تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - { وما أعجلك عن قومك يا موسى ؟ قال هم أولاء على أثرى وعجلت إليك رب لترضى } إذ الظروف مناسبة والفرصة مواتية والعاقبة محمودة والنفوس صافية مشرقة فما الذي يحمل موسى على التواني والتأخير ؟ .

المذموم منه : ما كان مجرد ثورة نفسية خالية من تقدير العاقبة ومن الإحاطة بالظروف والملابسات ، ومن أخذ الأهبة والاستعداد .
وهذا النوع الأخير هو الذي عناه رسولنا الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم - حين قال لخباب بن الأرت - رضى الله تعالى عنه - وقد جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - يشكو ما يلقاه هو وإخوانه من الأذى والاضطهاد ، ويطلب منه أن يستنصر ربه ، وأن يدعوه قال له : (كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيها فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشقق اثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله والذنب على غنمه ولكنكم تستعجلون)⁴⁵ وهو الذي نغنيه هنا أيضاً .

ثالثاً : مظاهر الاستعجال :

والاستعجال له مظاهر عديدة منها :

- 1- ضم أشخاص إلى قافلة الدعاة قبل الاستيثاق ، والتأكد من مواهبهم وقدراتهم واستعداداتهم .
- 2- الارتقاء ببعض الدعاة إلى مستوى رفيع قبل اكتمال نضجهم واستواء شخصيتهم .
- 3- القيام بتصرفات طائشة صغيرة تضر بالدعوة ولا تفيدها .

رابعاً : آثار الاستعجال

وكل هذه المظاهر المذكورة آنفاً ، وغيرها تكون لها آثار ، وعواقب

- 1- فهي قد تؤدي إلى الفتور على النحو الذي شرحنا في الآفة الأولى ، وقليل دائم خير من كثير منقطع : (.... وإن أحب العمل إلى الله أدومه وإن قل) .

⁴⁵ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام 244/4 وكتاب مناقب الأنصار باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة 56/5-57 وكتاب الإكراه باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر 25/9-26 من حديث قيس عن خباب به

2- وقد تؤدي إلى موتة غير كريمة ، وذلك حين لا يكون من ورائها عائد أو ثمرة ، وهناك تكون المسئولية و المعاقبة بين يدي الجبار الأعلى ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله و القصة التالية برهان عملي لما نقول :

(كانت الحركة الإسلامية بمصر في نهاية الثلاثينات تعيش أزهي أيامها فها هي : تشق طريقها بين جميع البيئات ، والأوساط كما تشق السفينة البحر الهادئ و الريح رخاء وها هو صوتها مسموعاً في جميع القضايا سواء على المستوى المحلي أو على المستوى العالمي ، في هذه الأثناء وقف أحد أبنائها هو : (أحمد رفعت) يعترض على كل ما تتخذه الحركة من أساليب ويدعو إلى أساليب أخرى . ولم يكن في هذا ما يلفت النظر ابتداء ، فكل عضو في الحركة الحق في نقد ما يرى أنه يستحق النقد ، ثم تكون مناقشة بين الأطراف تنتهي إلى الأصوب و الطريق الأقوم بيد أن الذي استرعى الانتباه ، ولفت النظر هو أن هذه الدعوة لقيت آذاناً صاغية واستجابة سريعة لدى كثير من شباب الحركة ، ولا نريد أن نخوض الآن في البحث عن أسباب ذلك ، وإنما الذي يعنينا هو أنه عقد لقاء لمعرفة اعتراضات ، ومطالب أحمد رفعت وانحصرت في ثلاثة :

الأول : أنه يرى أن الحركة تجامل الحكومة وتتبع سياسة اللف و الدوران ، و الواجب يقتضي مواجهة الحكومة بالحقيقة التي قررها القرآن الكريم : { ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون } .

الثاني : أنه يرى أن الحركة لم تتخذ أي إجراء عملي في موضوع سفور المرأة وتبرجها ، مكتفية بالنصيحة و الكلام ، و الواجب يقتضي أن توزع الحركة نفسها في شوارع القاهرة ومع كل واحد من أبنائها زجاجة حبر ، وكلما مرت أمامه فتاة أو امرأة متبرجة ، ألقى عليها من هذا الحبر ، حتى يلطخ ملابسها ، فيكون هذا رادعاً لها .

الثالث : أنه يرى أن وقوف الحركة في مساعدة مجاهدي فلسطين عند حد الدعاية لهم وجمع المال إنما هو تقصير في حق هذه القضية ، وقعود عن الجهاد ، وتخلف عن المعركة ، وعلى جميع أبناء الحركة أن يتركوا أعمالهم ويتطوعوا في صفوفهم وإلا كانوا من المخالفين.

وتصدى بعض الحاضرين للرد على (أحمد) بشأن المطالبين الأولين فقال :

- إن مواجهة الحكومة يجب ألا يكون إلا بعد توفر عاملين :

أ- توعية الشعب بالحقائق الإسلامية التي لا زال حتى اليوم خالي الذهن منها لا سيما علاقة الإسلام بالحكم وعلاقة الإسلام بالتشريع .

ب- اكتساب الحركة قوة شعبية تستند إلى مواجهة أي ظروف تتعرض لها ولا زالت الحركة حتى اليوم حركة وليدة في حاجة إلى تثبيت دعائمها وبسط لرواقها .

- أما موضوع المرأة فكان ردهم عليه هو أننا لو أخذنا باقتراح (أحمد) لكانت النتيجة في اليوم الأول للأخذ بهذا الأسلوب أن يلقي القبض على جميع أبناء الحركة ، ويجرى معهم التحقيق ، ويودعوا السجن حتى يحاكموا أمام القضاء الذي يقضى بالسجن و الغرامة ، وإذا قضوا العقوبة وعادوا إلى نفس الأسلوب ، فإن العقوبة تضاعف ، وما دامت التي لطخت ثيابها ستعوض ثمن هذا الثياب مضاعفاً من جيوب أبناء الحركة ، ثم ترى الذي لطخ ثيابها قد أودع السجن ، فما الذي يمنعها من لبس ما كانت تلبسه ، وإن فلا جدوى من وراء هذا الأسلوب في ردع المتبرجات السافرات .

- وأما موضوع فلسطين ، فقد أجاب عنه كتاب سماحة مفتي فلسطين السيد أمين الحسيني رَدَّ به على الحركة الإسلامية في مصر ، ومضمونه : " أن المجهود الذي تبذله الحركة في الدعاية لقضية فلسطين في مصر هو القدر المطلوب و الذي نحن في أمس الحاجة إليه ، ولا يستطيعه غيرها ، ولسنا في حاجة إلى متطوعين " .

ورغم وضوح الجواب فقد أصرَّ (أحمد) على موقفه ، وزاد عدد مؤيديه ، ووصلت بهم الحال إلى أن صاروا يسبون في الحركة الإسلامية و القانمين عليها دونما حياء أو خجل ، ولما قاطعه أبناء الحركة ، وانفض من كانوا حوله ورأي في نفسه عزلة تامة قرر السفر إلى فلسطين لينضم إلى المجاهدين في محاربة الإنجليز و اليهود .

وهنا أشفقت عليه الحركة وأرسلت له تطلب منه الحضور لتجهزه بالمال و السلاح ثم تسلمه إلى مجموعة من المجاهدين الفلسطينيين الذين كانوا يتصلون بهم حتى يؤمنوا له الطريق ، لأن المجاهدين يشكون في كل من يروونه في طريقهم - ما داموا لا يعرفونه - ويدعونه جاسوساً عليهم ويقتلونهم ، فرفض وأصر على الذهاب وحده ، وذهب فعلاً ولقي مصرعه كما كانت الحركة تتوقع - على أيدي المجاهدين .

إن هذه القصة تبين لنا عاقبة الحماس مع السطحية في فهم كتاب الله ، وتاريخ الدعوة الإسلامية ، واقع الحياة ، إن عاقبة ذلك إنما هي الاستعجال و آثار الاستعجال قد تكون موتاً غير كريم ، كما وقع لأحمد رفعت .

فإنه لم يكن له - قبل الانضمام إلى الحركة - أدنى معرفة بالإسلام ولا بالقرآن ولا بالسيرة ولا بالتاريخ الإسلامي ، وحين اقتنع بالفكرة الإسلامية انقض عليها بحماس بالغ ، وقبل أن يتزود بكل معالم الطريق اندفع اندفاعاً غير بصير ، فاصطدم وتحطم ، وكاد يحطم الحركة معه لولا العناية الإلهية ثم حكمة القانمين عليها وإخلاصهم .

3- تعطيل العمل ، أو على الأقل الرجوع به إلى الوراء عشرات السنين وذلك فيه ما فيه من استمرار تدنيس الحياة و المضي في الاعتداء على الدماء والأموال والأعراض وزيادة وضع الأحجار و العقبات على الطريق .

خامساً أسباب الاستعجال :

وإذا كانت هذه آثار الاستعجال ، فلا بد من معرفة الأسباب التي تؤدي إليه لتكون خطوة على طريق العلاج ، فما هي إذن الأسباب التي توقع في الاستعجال ؟ حقيقة هنالك أسباب كثيرة توقع في الاستعجال نخص منها :

1- الدافع النفسي :

فقد يكون الدافع النفسي هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن الاستعجال طبيعة مركوزة في فطرة الإنسان كما قال المولى تبارك وتعالى : { خلق الإنسان من عجل ... } ، { ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولاً } ، { ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم } وإذا لم يعمل الداعية على ضبط نفسه وإجامها بلجام العقل و التخفيف من غلوها فإنها تدفعه لا محالة إلى الاستعجال .

2- الحماسة أو الحرارة الإيمانية :

وقد يكون الحماس أو الحرارة الإيمانية هي السبب في الاستعجال ، ذلك أن الإيمان إذا قوى ، وتمكن من النفس ، ولّد طاقة ضخمة ، تندفع - ما لم يتم السيطرة عليها وتوجيهها - إلى أعمال تؤدى أكثر مما تفيد وتضر أكثر مما تنفع . ولعل هذا هو السر في أن الله سبحانه وتعالى تولى توجيه النبي صلى الله عليه وسلم و المؤمنين في المرحلة المكية إلى الصبر و الجلد ، وقوة التحمل فقال { واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرأ جميلاً } ، { فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون } ، { وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً } ... إلى غير ذلك من الآيات .

3- طبيعة العصر :

وقد تكون طبيعة العصر هي الباعث على الاستعجال ، ذلك أننا نعيش في عصر يمض بسرعة ويتحرك فيه كل شئ بسرعة ، فالإنسان يكون هنا وبعد ساعات يكون في أقصى أطراف الأرض ، بسبب التقدم في وسائل المواصلات ، والإنسان يضع أساس بيت اليوم ويسكنه غداً بسبب التمكن من وسائل العمارة الحديثة ، وقس على ذلك أشياء كثيرة في حياة الإنسان ، ففعل ذلك مما يحمل بعض العاملين على الاستعجال لمواكبة ظروف العصر و التمشي معه .

4- واقع الأعداء :

وقد يكون واقع الأعداء هو السبب في الاستعجال ، ذلك أنه ما يمر من يوم الآن إلا وأعداء الله يحكمون القبضة ويمسكون بزمام العالم الإسلامي ، ويلاحقون العمل الإسلامي في كل مكان لإسكات كل صوت حر نزيه ، وحسبنا أن إسرائيل كانت بالأمس فكرة في الأذهان فإذا بها اليوم واقع يحكم القبضة على جزء غال عزيز من ديار الإسلام هو فلسطين ، وينطلق منه إلى لبنان ، وسائر بلدان العالم العربي ليحقق حلم اليهود : (إسرائيل من النيل إلى الفرات) ففعل ذلك مما يحمل بعض العاملين على الاستعجال ، قبل أن يتفاهم الخطر ويصعب الخلاص .

5- الجهل بأساليب الأعداء :

وقد يكون الجهل بأساليب الأعداء هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن أعداء الله لهم أساليبهم الخبيثة ، و المتنوعة في الوصول إلى قلب العالم الإسلامي ، وإحكام القبضة عليه ، وأخطر هذه الوسائل وأشدّها دهاء ومكرأ أن يواجه المسلمين نفر من بينهم يعلنون الإسلام ويبطنون الكفر ، و الحقد و الضلال ، إن مثل هذا الأسلوب من الكيد يحول دون التعبئة العامة في الأمة ، وما أكثر هؤلاء ، لمواجهة الشر أو الباطل وإزاحته من الطريق ، بل إنه لجعل العامة معهم وفي صفهم ولقد لجأ أعداء الله لمثل هذا الأسلوب ، بعد أن جربوا زماناً طويلاً ، ومرات عديدة ، أسلوب المواجهة الصريحة السافرة ، ورأوا أنه لن يغنى عنهم من الله شيئاً ، وأنه يحمل المسلمين حتى المفرطين و المستهترين منهم على التصدي وبذل الغالي و الرخيص ، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . ففعل الجهل بمثل هذا الأسلوب وغيره من الكيد يكون سبباً من الأسباب التي توقع في الاستعجال .

6- شيوع المنكرات مع الجهل بأسلوب تغييرها :

قد يكون شيوع المنكرات مع الجهل بأسلوب تغييرها هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن الإنسان لا يتحرك حركة الآن إلا وقد أحاطت به المنكرات ، ولفته من كل جانب ، وواجب المسلم حين يرى ذلك أن يعمل على تغيير المنكر وإزالته ما في ذلك شك ، لنلا تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر و الفساد ، قال تعالى : { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ... } ، { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز } . وقال - صلى الله عليه وسلم - :

(من رأي منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فليسهه ، فإن لم يستطع فليقلبه وذلك أضعف الإيمان)⁴⁶

(مثل القائم على حدود الله و الواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً) بيد أنه ليس كل منكر تجب إزالته أو تغييره على الفور ، وإنما ذلك مشروط بالأذى الذي ينشأ من المنكر أكبر منه فإن أدى إلى منكر أكبر منه وجب التوقف بشأنه ، مع الكراهة القلبية له ، ومع مقاطعته ، ومع البحث عن أنجح الوسائل لإزالته ، والأخذ بها ، ومع العزم الصادق على الوقوف في أول الصف حين تتاح فرصة التغيير . وفي السنة و السيرة شواهد على ذلك :

فهاهو رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث والأصنام تملأ جوف الكعبة ، وتحيط بها وتعلوها من كل جانب ، ثم لا يقبل على إزالتها بالفعل إلا يوم فتح مكة في العام الثامن من الهجرة ، أي أنها بقيت منذ بعث إلى يوم تحطيمها إحدى وعشرين سنة .

⁴⁶ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح :كتاب الإيمان ، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان ... 69/1 رقم 78، 79 من حديث أبي سعيد الخدري - رضى الله تعالى عنه - به ، وأبو داود في السنن : كتاب الصلاة ، باب خطبة يوم العيد 296/1 - 297 رقم 1140 من حديث أبي سعيد أيضاً به غير أنه قال : (من رأي منكم منكراً فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده)

ليقينه صلى الله عليه وسلم بأنه لو قام بتحطيمها من أول يوم ، قبل أن يحطمها من داخل النفوس لأقبلوا على تشييدها وزخرفتها بصورة أبشع ، وأشنع فيعظم الإثم ، ويتفاقم الضرر ، لذلك تركها ، وأقبل يُعد الرجال ، ويزكى النفوس ، ويظهر القلوب حتى إذا تم له ذلك أقبل بهم يفتح مكة ، ويزيل الأصنام مردداً : {وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً} .
وها هو - صلى الله عليه وسلم يخاطب أم المؤمنين عائشة قائلاً :

(ألم ترى أن قومك لما بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد إبراهيم ؟ فقلت يا رسول الله ألا تردّها على قواعد إبراهيم ؟ ، قال : لولا حدثان قومك بالكفر لفعلت)⁴⁷

فالنبي - صلى الله عليه وسلم - هنا توقف في شأن تجديد الكعبة ، وإعادتها إلى قواعد إبراهيم خوفاً من أن يؤدي ذلك إلى منكر أكبر ، وهو الفرقة و الشقاق ، بدليل قوله في رواية أخرى : (.... ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم ...)
بل إن المسلم حين يسكت عن منكر خوفاً من أن يؤدي إلى منكر أكبر ، مع الرفض القلبي و المقاطعة ومع البحث عن الأفضل السبيل للتغيير ، ومع العزم الصادق على أنه حين تتاح الفرصة لن يكون هناك توان ولا تباطؤ ، لا يكون أثماً بذلك وصدق الله الذي يقول :
{ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ... } ، { فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا ، وأنفقوا خيراً لأنفسكم } .

فإذا نسي العامل أو الداعية فقه أسلوب تغيير المنكر وإزالته وقع - لا محالة - في الاستعجال لظنه ، أو لتصوره أن الأمر يجب تنفيذه فوراً ، وأنه آثم ومذنب إن لم يقم بذلك .

7- العجز عن تحمل المشاق ، ومتاعب الطريق :

وقد يكون العجز عن تحمل المشاق ومتاعب الطريق هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن بعضاً من العاملين يملك جرأة وشجاعة وحماساً لعمل وقتي ، ولو أدى به إلى الموت ، لكنه لا يملك القدرة على تحمل مشاق ومتاعب الطريق لزم من طويل ، مع أن الرجولة الحقة هي التي يكون معها صبر ، وجلد ، وتحمل ، ومثابرة ، وجد ، واجتهاد حتى تنتهي الحياة .
لذلك تراه دائماً مستعجلاً ليجنب نفسه المشاق و المتاعب ، وإن تزرع بغير ذلك .

وقد أفرزت الحركة الإسلامية في العصر الحاضر صنفاً من هذا ، عجز عن التحمل والاستمرار فاستعجل وانتهى ، وصنفاً آخر أؤذي في الله عشرات السنين فصبر ، وتحمل واحتسب لأن الظروف غير ملائمة ، و الفرص غير مواتية ، و العواقب غير محمودة و المقدمات ناقصة أو قاصرة ، وكانت العقوبة أن وفقهم الله وأعانهم فثبتت أقدام على الطريق ولا تزال .

8- الظفر ببعض المقدمات ، أو ببعض الوسائل مع عدم تقدير العواقب :

وقد يكون الظفر ببعض المقدمات أو ببعض الوسائل مثل العدد البشري ، ومثل الأدوات مع عدم تقدير العواقب ، من زيادة تسلط أعداء الله ومن حدوث فتنة وردة فعل ، لدى جماهير الناس قد يكون كل ذلك هو السبب في الاستعجال .
ولعل هذا هو السر في أمر الإسلام بالصبر على جور الأئمة ، ما لم يصل الأمر إلى الكفر الصريح و الخروج السافر عن الإسلام .
يقول - صلى الله عليه وسلم - :

(من رأي من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا مات ميتة جاهلية)⁴⁸

ويقول عبادة بن الصامت - رضى الله تعالى عنه - دعانا النبي - صلى الله عليه وسلم - فبايعناه ، فقال فيما أخذ علينا : (أن بايعنا على السمع و الطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)⁴⁹ .

بل حتى الكفر البواح لا يكون معه خروج إلا إذا أمنت الفتنة ، وتوفرت القدرات والإمكانات وهذا لا يمنع أن ننكر عليهم باللسان وبالقلب .
يقول الإمام النووي - رحمه الله - في شرح حديث عبادة :

" معنى الحديث : لا تنازعوا ولاية الأمور في ولايتهم ، ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام ، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم ، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين ، وإن كانوا فسقة ظالمين) .

ونقل ابن التين عن الداودي قال :

(الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب ، وإلا فالواجب الصبر)⁵⁰ .
9- عدم وجود برنامج أو منهاج يمتص الطاقات ، ويخفف من حداثها وغلوانها :

⁴⁷ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الحج : باب فضل مكة وبنائها 179/2 من حديث عائشة - رضى الله تعالى عنها - به ، وأخرجه مسلم في الصحيح كتاب الحج : باب نقض الكعبة وبنائها 969/2 رقم 399 من حديث عائشة أيضاً به

⁴⁸ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أثره وأمور تنكرونها 59/9 من حديث عبد الله بن عباس - رضى الله تعالى عنهما - به ، ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن 1477/3 رقم 55 من حديث ابن عباس أيضاً به إلا أنه قال : (فمات ميتة جاهلية)

⁴⁹ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الفتن باب قول النبي صلى الله عليه وسلم سترون بعدي أثره وأمور تنكرونها 59/9 - 60 من حديث عبادة بن الصامت - رضى الله تعالى عنه - به ، ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية من حديث عبادة بن الصامت أيضاً به

⁵⁰ انظر فتح الباري لابن حجر 8/13

وقد يكون عدم وجود برنامج أو منهج يمتص الطاقات ويخفف من حدتها وغلوانها هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن نفس الإنسان التي بين جنبه إن لم يشغلها بالحق شغلته بالباطل .

ولعل ذلك هو السر في أن الإسلام غمر المسلم ببرنامج عمل في اليوم و الليلة ، وفي الأسبوع وفي الشهر وفي السنة وفي العمر كله بحيث إذا حافظ عليه كانت خطوته دقيقة وكانت جهوده مثمرة .

ولعل السر أيضاً في تشديد الإسلام على الأئمة أن يستفرغوا كل ما في وسعهم وكل ما في طاقتهم لاستنباط ما يملأ حياة المسلمين بالعمل الجاد المثمر الخالي من الضرر والشر وإلا حرموا الجنة .

يقول - صلى الله عليه وسلم - " ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح إلا لم يدخل معهم الجنة " ⁵¹

10- العمل بعيداً عن ذوى الخبرة والتجربة :

وقد يكون العمل بعيداً عن ذوى الخبرة والتجربة هو السبب في الاستعجال ، ذلك أن الإنسان يولد ولا علم له بشيء في هذه الحياة كما قال سبحانه : { والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً } {

ثم يبدأ - عن طريق ما وهبه الله من السمع والأبصار والأفئدة - التعلم ، و التعلم لا يكون من الكتب وحدها ، بل يتم أيضاً بواسطة التجربة ، و الممارسة ، و العامل الواعي هو الذي ينتفع بخبرات وتجارب من سبقوه على الطريق ليوفر على نفسه الجهد ، و الوقت و التكاليف ، أما إذا شمع بأنفه ونأي بنفسه وبدأ العمل بعيداً عن ذوى الخبرة والتجربة فستكون له أخطاء ، وقد يكون الاستعجال واحداً منها .

ولعل السر في وصية الإسلام باحترام العلماء وكبار السن الصالحين وذوى الفضل حيث يقول - صلى الله عليه وسلم - : " يوم القوم أقرأهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سلماً ولا يؤمن الرجل الرجل في سلطانه ، ولا يقعد في بيته على تكرمته إلا بإذنه " ⁵²

11- الغفلة عن سنن الله في الكون وفي النفس وفي التشريع :

وقد تكون الغفلة عن سنن الله في الكون وفي النفس وفي التشريع هي السبب في الاستعجال ، ذلك :

أن من سنن الله في الكون : خلق السموات والأرض في ستة أيام ، وخلق الإنسان والحيوان والنبات على مراحل مع أنه قادر على خلق كل ذلك وغيره بكلمة " كن " { إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون } .

ومن سنن الله في النفس : أنها لا تضحي ولا تبذل ولا تعطى إلا إذا عولجت من داخلها ، واقتلعت منها كل الحظوظ ، وأدركت قيمة وفائدة التضحية و البذل و العطاء { قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها } وذلك لا يتم بسهولة ويسر ، وإنما لابد له من جهد ووقت وتكاليف .

ومن سنن الله في التشريع : أن الخمر حُرمت على مراحل وكذلك الربا ، وإذا نسي العامل أو الداعية هذه السنن كانت السرعة و العجلة ، أما حين تظل ماثلة أمام عينيه ، حاضرة في ذهنه وفؤاده ، فإنها تهدئ من نفسه ، وتضبط حركته ، وتبصره بموضع قدميه .

12- نسيان الغاية التي يسعى إليها المسلم :

وقد يكون نسيان الغاية التي يسعى إليها المسلم هي السبب في الاستعجال ، ذلك أن المسلم يسعى أساساً لتحقيق مرضات الله ، وهذا إنما يتحقق بالتزام منهجه ، وعدم التفريط فيه ، و الثبات على عليه إلى يوم اللقاء قدر الطاقة مع الإخلاص { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } ، { فاتقوا الله ما استطعتم ... } {

وتلك مقدمات يسأل عنها المسلم بين يدي الله يوم القيامة وعليها تكون النجاة أو عدم النجاة أما النتائج من التمكين أو عدم التمكين فلا يسأل عنها ، لأنها بيد الله يأتي بها حيث يشاء وكما يشاء .

فإن حدث ونسى العامل أو الداعية هذه الحقيقة فإنه يقع لا محالة في الاستعجال .

13- الغفلة عن سنة الله مع العصاة والمكذبين :

وقد تكون الغفلة عن سنة الله مع العصاة والمكذبين هي السبب في الاستعجال .

ذلك أن من سنة الله مع العصاة والمكذبين ، الإمهال ، وعدم الاستعجال { وأملئ لهم إن كيدي متين } ، { وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب ، بل لهم موعد لن يجدوا من دونه مؤنلاً } .

ومن سننه كذلك معهم : أنه إذا أخذهم لم يقللهم { وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة * إن أخذهم شديد } ، { ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون } .

ومن سننه أيضاً : أن أيامه ليست كأيامنا هذه { ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ، وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون } . وإذا غفل العامل أو الداعية عن هذه السنن استعجل قاتلاً: نناجزهم قبل أن يستفحل شأنهم، وقبل أن يمسخوا بزمام الأمور، فتستحيل إزاحتهم بعد ذلك من طريق الناس .

14- صحبة نفر من ذوى العجلة وعدم التاني :

⁵¹ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب الأحكام باب من استرعى رعيه فلم ينصح 80/9 من حديث معقل بن يسار بنحوه ، ومسلم في الصحيح : كتاب الإمارة باب فضل الإمام العادل 1460/3 من حديث معقل بن يسار أيضاً به .

⁵² الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة 465/1 رقم 290 من حديث أبي مسعود الأنصاري - رضى الله تعالى عنه - به

وقد تكون صحبة نفر من ذوى العجلة وعدم التأني هي السبب في الاستعجال ، ذلك أن الطبع يعدى ، و المرء على دين خليله ، وإذا لم يحسن المسلم اختيار صاحبه ، فإنه يقتدي به لا محالة في ما يعتق وفي كل ما يسلك - سيما إذا كان هذا صاحب قوى الشخصية - وقد يكون من بين ذلك الاستعجال ، ولعل هذا هو سر تأكيد الإسلام على ضرورة مراعاة الدقة والأمانة في اختيار الصديق و صاحب ، وقد قدمنا طرفاً من الأحاديث الدالة على ذلك أثناء الحديث عن " الفتور " .
تلك هي الأسباب التي توقع في الاستعجال .

سادساً : طريق علاج الاستعجال :

- وما دمننا قد وقفنا على أهم الأسباب التي تؤدي إلى الاستعجال ، فإنه صار من السهل علينا أن ندرك طريق العلاج وتتلخص في :
- 1- إمعان النظر في الآثار و العواقب المترتبة على الاستعجال ، فإن ذلك مما يهدئ النفس ويحمل على التريث و التأني .
 - 2- دوام النظر في كتاب الله عز وجل ، فإن ذلك يبصرنا بسنن الله في الكون وفي النفس ، وفي التشريع ومع العصاة و المكذبين و البصيرة بهذه السنن تهدئ النفس وتساعد على التأني و التروي ، قال الله تعالى : { ... سأريكم آياتي فلا تستعجلون } ، { ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين } ، { إن هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم } .
 - 3- دوام المطالعة في السنة و السيرة النبوية ، فإن ذلك مما يوقعنا على مقدار ما لاقى النبي - صلى الله عليه وسلم - من الشدائد و المحن ، وكيف أنه تحمل ، وصبر ولم يستعجل ، حتى كانت العاقبة له ، وللمنهج الذي جاء به .
 - و معلوم أن الوقوف على ذلك مما يضبط حركة المسلم ، إقتداء وتأسياً به - صلى الله عليه وسلم - { لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله و اليوم الآخر وذكر الله كثيراً } .
 - 4- مطالعة كتب التراجم و التاريخ ، فإن ذلك مما يعرفنا بمنهج أصحاب الدعوات و السلف في مجابهة الباطل ، وكيف أنهم تأثروا وترثوا حتى مكن لهم ، وهذا بدوره يحمل على الإقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة و المشابهة على حد قول القائل :
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم
إن التشبه بالرجال فلاح
وقد مرت بنا قصة عمر بن عبد العزيز مع ولده في هذا الشأن ، ونحن نتحدث عن علاج " الفتور "
 - 5- العمل في أحضان وفي ظل ذوى الخبرة والتجربة ممن سبقوا علي الطريق فإن ذلك من شأنه أن يجعل خطوات العاملين دقيقة محسوبة وأن يوفر عليهم الكثير من الجهد والوقت وباقي التكاليف :
 - وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم - النظر إلى ذلك حين قال : (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين)⁵³
 - 6- العمل من خلال منهاج و برنامج واضح الأركان محدد المعالم يستوعب الحياة كلها ويأخذ بيد العامل من طور إلى طور ومن مرحلة إلى مرحلة فيشبع تطلعاته و يجيب على تساؤلاته ويرفع من مستواه .
 - 7- الفهم الدقيق لأساليب ومخططات الأعداء فإن ذلك من شأنه أن يحمل العامل على النظر في عواقب الأمور وعلى التريث والتأني والتصرف بحكمة وعلى بينة .
 - 8- عدم الرهبة أو الخوف من تسلط الأعداء وإحكامهم القبضة على العالم الإسلامي لأن ذلك يمكن أن يزول في لحظات وما هو على الله بعزير : { لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد } . { الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم } . { إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون حسرة عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون } .
 - بيد أن هذا الشرط بأن تقيم الإسلام في أنفسنا وفيمن حولنا بكل ما نملك وبكل ما نستطيع : { إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } . { وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً } .
 - 9- مجاهدة النفس وتدريبها على ضرورة التريث والتأني والتروي فإنما الحلم بالتحلم ومن يتصبر يصبره الله والرجولة لا تكون إلا بذلك .
 - 10- الانتباه إلى الغاية أو الهدف الذي من أجله يحيا المسلم فإن ذلك يحول دون الاستعجال ويحمل على إتقان المقدمات والوقوف عندها وعدم تجاوزها إلى النتائج .
 - 11- الانتباه إلى موقف المسلم من المنكرات وأسلوب تغييرها فإن ذلك يبصره بمعالم الطريق ويحول بينه وبين الاستعجال .
تلك خطوات لا بد منها على الطريق العلاج .

سابعاً : الاستعجال ومنهج الحركة الإسلامية المعاصرة :

وجدير بالذكر أن نشير إلى أن الاستعجال على النحو الذي ذكرنا غير وارد في منهج الحركة الإسلامية المعاصرة بالمرّة بل أنه مرفوض صراحة والنص التالي - وهو جزء من منهج هذه الحركة يصدق ذلك :
(أيها المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم :

⁵³ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الأدب : باب : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين 38/8 من حديث أبي هريرة به ، ومسلم في الصحيح : كتاب الزهد باب : لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين 2295/4 رقم 63 من حديث أبي هريرة أيضاً .

اسمعوها منى كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر في مؤتمركم هذا الجامع إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده ولست مخالفاً هذه الحدود التي اقتنعت كل اقتناع بأنها أسلم طريق للوصول .

أجل قد تكون طريقاً طويلة ولكن ليس هناك غيرها إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجِد والعمل الدائب فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات ومن صبر معي حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره في ذلك على الله ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين : إما النصر والسيادة وإما الشهادة والسعادة .

أيها المسلمون :

أجموا نزوات العواطف بنظرات العقول وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع واكتشفوا الحقائق في أضواء الخيال الزاهية البراقة ولا تميلوا كل ميل فتدروها كالمعلقة ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلبة ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض وتراقبوا ساعة النصر وما هي منكم ببعيد .

أيها المسلمون :

إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه ذلك مكفول لكم مادمتم مخلصين ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد ونحن بعد ذلك : إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين وإما مصيبون فلنا مع ذلك ضعف أجر الفائزين المصيبين على أن التجارب في الماضي والحاضر أثبتت أنه لا خير إلا في طريقكم ولا إنتاج إلا مع خطتكم ولا صواب إلا فيما تعلمون فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم والفوز للعاملين - { وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم } .

ثامناً : الداعية بين الفتور والاستعجال :

ويظهر من حديثنا عن الفتور والاستعجال : تحديد موقع الداعية إن موقعه يجب أن يكون وسطاً بين الفتور والاستعجال عل معنى أنه مع المقدمات كخلية النحل دانب النشاط والحركة لا يقصر ولا يتوانى لحظة من ليل أو من نهار ولا يضيع فرصة تتاح له أما أوانه مع النتائج فهو هادئ متريث متأن غير متهور لا يستعجل شيئاً قبل أوانه وإلا عوقب بحرمانه .

هذا ولم يفت الحركة الإسلامية المعاصرة أن تحدد هذا الموقع وتلك كلماتها أحرف من نور ومشاعل على الطريق : (إن ميدان القول غير ميدان الخيال ، وميدان العمل غير ميدان القول ، وميدان الجهاد غير ميدان العمل ، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ

يسهل على كثيرين أن يتخيلوا ، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطيع تصويره أقوال باللسان ، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلاً من هذا الكثير يثبت عند العمل ، وكثير من هذا القليل يستطيع أن يعمل ، ولكن قليلاً منهم يقدر على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل المضني ، وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله ، وفي قصة طالوت بيان لما أقول ، فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق وامتنحوها بالعمل ، العمل القوى البغيض لديها الشاق عليها ، وافطموها عن شهواتها ومآلوفاتها وعاداتها ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل وعند ذلك يكون عون الله وتأنيده ، ونصره) .

الآفة الرابعة العزلة

و الآفة الرابعة التي يصاب بها بعض العاملين ، وعليهم أن يعملوا جاهدين على التطهر منها : إنما هي العزلة أو التفرد ، ولكي يكون لدينا إمام دقيق بأبعاد ومعالم هذه الآفة سنتناولها على النحو التالي :

أولاً : معنى العزلة أو التفرد :

لغة : العزلة أو التفرد في اللغة تعني الابتعاد أو التنحي جانباً ، قال صاحب لسان العرب : (عزل الشيء يعزله عزلاً ، وعزله فاعترل وانعزل وتعزل : نحاه جانباً ففتح ، وقوله تعالى : { إنهم عن السمع لمعزولون } معناه : أنهم لما رموا بالنجوم - كما في قوله تعالى { وإنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً } منعوا من السمع)⁵⁴ .
اصطلاحاً : أما في اصطلاح الدعاة فيراد بها إثارة حياة التفرد على حياة الجماعة ، وذلك بأن يكتفي العامل بإقامة الإسلام في نفسه ، غير مبالي بالآخرين ، وبما هم فيه من ضياع وهلكة ، أو أن يقيم الإسلام في نفسه ، ويسعى جاهداً لإقامته في الناس ، ولكن بجهود فردية بعيدة عن التعاون و التآزر من بقية العاملين في الميدان .

ثانياً : أسباب العزلة أو التفرد :

وهناك أسباب تؤدي إلى هذه العزلة أو التفرد نذكر منها :

1- الوقوف عند بعض النصوص الشرعية المرغبة في العزلة ، مع الغفلة عن موقعها من النصوص الأخرى الداعية إلى حياة الجماعة : فقد جاءت بعض النصوص الشرعية مادحة للعزلة ، ومرغبة فيها كقوله صلى الله عليه وسلم : (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شغف الجبال ، ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن)⁵⁵ وكإجابته للذي سأل : أي الناس أفضل ؟ قائلاً : (رجل يجاهد في سبيل الله بماله ونفسه ، قال : ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب يعبد الله ربه ويدع الناس من شره)⁵⁶ وكقوله في حديث حذيفة بن اليمان : (.. فاعترل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة ، حتى يدركك الموت ، وأنت على ذلك)⁵⁷ وكقوله : (من خير معاش الناس لهم : رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه ، كلما سمع هيلة أو فرعة طار عليه ، يبتغي القتل و الموت مظانة أو رجل في غنيمة في رأس شعبة من هذه الشعف ، أو بطن واد من هذه الأودية ، يقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويعبد ربه ، حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا في خير)⁵⁸ وكذلك جاءت بعض النصوص الشرعية الأخرى داعية إلى السير تحت لواء الجماعة ، و العيش في كنفها كقوله تعالى :

{ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان }
{ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ... }
{ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص }
وكقوله صلى الله عليه وسلم : (... إياكم و الفرقة ، وعليكم بالجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوة الجنة فليزم الجماعة)⁵⁹

⁵⁴ انظر لسان العرب لابن منظور 440/11 مادة " عزل "

⁵⁵ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الإيمان : باب من الدين الفرار من الفتن 11/1 وكتاب الفتن : باب التعرب في الفتنة 66/9 من حديث أبي سعيد الخدري - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به .

⁵⁶ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإمارة باب فضل الجهاد و الرباط 1503/3 من حديث محمد بن الوليد الزبيدي ، ومعمّر ، كلاهما عن الزهري عن عطاء بن يزيد اللبثي ، عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً به وبنيه .

⁵⁷ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الفتن : باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة 65/9 ومسلم في الصحيح : كتاب الإمارة : باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن 1476-1475/3 ، كلاهما من حديث حذيفة بن اليمان - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به واللفظ للبخاري ، بيد أنه ورد مختصراً هنا ومطولاً هناك .

⁵⁸ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإمارة باب فضل الجهاد و الرباط 1504-1503/3 رقم 1889 من حديث أبي هريرة مرفوعاً به

(.... وأنا أمركم بخمس : الله أمرني بهن : بالجماعة و السمع و الطاعة و الهجرة و الجهاد في سبيل الله ، فإن من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلى أن يرجع ، قالوا : يا رسول الله وإن صلى وصام ؟ قال : وإن صام و صلى وزعم أنه مسلم ⁶⁰)

(يد الله مع الجماعة)

و العامل الذي يقف عند النصوص الأولى المرغبة في العزلة ناسياً أو متناسياً صلتها بالنصوص الأخرى الداعية إلى مخاطبة الجماعة ، والعيش في رحابها ، يبتلى أو يصاب لا محالة بأفة العزلة أو التفرد .

2- الوقوف عند ظاهرة العزلة التي أثرت عن بعض السلف مع الغفلة عن الظروف التي دعت إلى ذلك :

وقد يكون الحامل على العزلة ما أثر عن بعض السلف : أنهم أثروا العزلة على مخالطة الجماعة ، ومعايشتها ، فهذا هو نبي الله إبراهيم - عليه السلام - يقول لقومه كما حكى القرآن الكريم :

{ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ... }

وقد كان الحامل له على ذلك استفاداً وسائل التغيير والإصلاح ، ثم إصرار قومه على الكفر ، الأمر الذي خشي معه الفتنة في الدين ، ففر منهم واعتزلهم .

وها هو أبو ذر ، وابن عمر ، ومعهما جمع من الصحابة يعتزلون جماعة المسلمين ، ويعيشون وحدهم لما وقعت الفتنة ، وقد كان الباعث لهم على ذلك ، صيانة أيديهم أن تغمس في دماء زاكية ، طهرها الله - عز وجل - ولا يعرف : من المصيب ومن غير المصيب . وهذا هو الإمام مالك بن أنس إمام دار الهجرة ، يقضى أخريات أيام حياته في عزلة بعيداً عن الناس ، وقد كان عذره ، تجنب مصادمة السلطات حقناً لدماء المسلمين .

وإن العامل الذي يقرأ عن هذه العزلة ، التي عاشها هؤلاء وينسى ظروفها وملابساتها يتولد في نفسه معنى الإقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة و التشبه ، فيلجأ إلى حياة العزلة ، بعيداً عن جو الجماعة حتى وإن لم يكن لهذه العزلة ما يبررها وما يدعو إليها .

3- الظن أن حياة الجماعة تلغى دائماً ذاتية المنتمى إليها ، وتؤثر على شخصيته مع الغفلة عن منهج الإسلام في التوفيق بين الفردية والجماعة :

وقد يكون الحامل على العزلة ظن بعض العاملين أنه يعيش مع الجماعة وانتمانه إليها يلغى ذاتيته ، وتذوب شخصيته فيبقى إمعة ، إن أحسن الناس أحسن ، وإن أساءوا أساء ، مع الغفلة عن منهج الإسلام في التوفيق بين الفردية و الجماعة ، إذ يقول هذا المنهج على دعوة الفرد إلى أن يعيش في كنف الجماعة ، ويستظل بظلها على النحو الذي قدمنا في الوقت الذي يؤكد فيه أنه مسئول مسئولية كاملة عن كل تصرف يقع منه فيقول له :

{ ولا تزر وازرة وزر أخرى }

{ كل نفس بما كسبت رهينة }

{ لا تجزى نفس عن نفس شيئاً }

{ بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره }

{ وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى }

وأن عليه أن يبذل النصيحة بشروطها وآدابها لكل واحد في الجماعة مهما علا كعبه ، ومهما عظمت مكانته (الدين النصيحة قلنا لمن ؟ قال الله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) ⁶¹

(المؤمن مرآة أخيه و المؤمن أخو المؤمن يكف عن ضيعته ويحوطه من ورائه) وفي رواية : (المؤمن مرآة أخيه إن رأي فيه عيباً قومه) .

ولقد عاش الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم وعاش المسلمون بعضهم مع بعض فما رأينا فرداً ذابت شخصيته أو تلاشت فرديته في الجماعة وإنما رأينا النصيحة و الشورى والأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، وما قول بعضهم لعمر : (لو رأينا فيك أعوجاجاً لقومناه بسيوفنا) عنا ببعيد .

وبهذه الدعوة ينشأ ويبنى في نفس المسلم كيان داخلي متميز واضح المعالم و الحدود ، وتبقى أعصابه صاحبة متبهاة لكل ما يمسسه ، ولو من بعيد .

إن هذا الظن ، وهذه الغفلة ينتهيان بالعامل لا محالة إلى أن يلجأ إلى العزلة ، فيصاب بأفة من أخطر الآفات .

4- الغفلة عن طبيعة تكاليف مخالطة الجماعة و العيش بين الناس :

وقد يكون الحامل على العزلة الغفلة عن طبيعة تكاليف مخالطة الجماعة و العيش بين الناس ، إذ أن طبيعة هذه التكاليف : أنها كثيرة ضخمة ، تستوعب حياة الإنسان من أول يوم إلى آخر يوم ، وقد لا تنتهي ، وغالباً ما تكون على خلاف ما تهوى الأنفس ، وما لم يكن العامل منتبهاً إلى ذلك ، فإنه يعمل نفسه من التزكية و التربية ، و المجاهدة و تسيطر عليه الأهواء و الشهوات ويمرور الأيام يضعف ويعجز عن القيام بهذه التكاليف ، وحينئذٍ يبحث عن مخرج أو ملجأ فلا يجد سوى العزلة أو التفرد

⁵⁹ الحديث أخرجه الترمذی في السنن 10/9 بهامش عارضة الأحوذی من حديث ابن عمر - رضی الله تعالی عنهما - مرفوعاً به ، وعقب عليه بقوله : (حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه)

⁶⁰ الحديث أخرجه أحمد في المسند 202/4 مرفوعاً به .

⁶¹ الحديث أخرجه أبو داود في السنن : كتاب الأدب ، باب النصيحة 286/4 رقم 4944 من حديث تميم الدار مرفوعاً نحوه .

5- التذرع بأن مخالطة الناس تشغل عن التفرغ للعبادة مع الغفلة عن المفهوم الصحيح للعبادة :
وقد يكون الحامل على العزلة التذرع بأن مخالطة الناس تشغل عن التفرغ للعبادة من صلاة إلى صيام إلى قراءة القرآن إلى ذكر إلى دعاء ، إلى استغفار إلى تفكير الخ مع الغفلة عن المفهوم الصحيح للعبادة ، إذ المفهوم الصحيح للعبادة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -

(أنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من القول والأعمال الظاهرة والباطنة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج عبادة ، والدعاء والاستغفار والذكر وتلاوة القرآن عبادة ، وصدق الحديث وأداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام عبادة و الوفاء بالعهود عبادة و الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر و الجهاد للكفار والمنافقين عبادة ، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والخدام والرحمة بالضعيف والرفق بالحيوان عبادة ، وكذلك حب اله ورسوله ، وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له ، و الصبر لحكمه والرضا بقضائه والتوكل عليه و الرجاء في رحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك كله عبادة)

...
والقرآن الكريم والسنة النبوية يصدقان هذا المفهوم الذي قاله شيخ الإسلام .
على أن مخالطة الناس لا تمنع أن يكون للمسلم أوقات يخلو فيها بنفسه ليؤدي واجباً ، أو يتقرب إلى الله بنفل أو يحفظ علماً ، أو يحقق مسألة ، أو يتلو قرآناً ، أو يذكر ويتفكر ، أو يحاسب نفسه ، وذلك هو معنى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (خذوا حظكم من العزلة)

كأن غياب المفهوم الصحيح للعبادة عن بال المسلم العامل ، وحصره العبادة في دائرة الشعائر التعبدية ، متوهماً أن حياة الجماعة تحول بينه وبين التفرغ الكامل لأداء هذه الشعائر ، كل هذا يوقع لا محالة في آفة العزلة أو التفرد .

6- الاعتذار بانتشار الشر والفساد مع الغفلة عن دور المسلم حين ينتشر الشر والفساد :
وقد يكون الحامل على العزلة الاعتذار بانتشار الشر والفساد مع الغفلة عن دور المسلم حين ينتشر الشر والفساد ، إذ أن دور المسلم في هذه الحال أن ينشط للمقاومة بكل الأساليب المتاحة ، و الوسائل الممكنة ولا يلجأ إلى العزلة إلا عند تمكن الداء وعجز الوسائل وخوف الفتنة .

وإذا ما غفل المسلم العامل عن حقيقة هذا الدور فإنه يفر لأول وهلة إلى العزلة أو التفرد ، وتحول الأرض إلى بؤرة من الشر والفساد ، وصدق الله العظيم القائل :

{ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض } .

{ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً } :
وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - الناصح : (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)⁶²

7- الاطلاع على صور من المحن والشدائد ابتلى وبيتلى بها العاملون لدين الله على مدار التاريخ ، مع الغفلة عن موقف هؤلاء العاملين من هذه الصور :

وقد يكون الحامل على العزلة الاطلاع على صور من المحن والشدائد ابتلى وبيتلى بها العاملون لدين الله على مدار التاريخ ، مع الغفلة عن موقف هؤلاء العاملين من هذه الصور ، إذ أن موقف هؤلاء إنما كان اليقين التام بأن الابتلاء سنة من سنن الله في الدعوات ، ثم الاعتراف بالتقصير واللجوء إلى الله أن يثبت أقدامهم على الطريق ، وأن ينصرهم وقد قبل الله منهم فثبتهم ونصرهم { وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين }
نعم إن العامل إذا اطلع على هذه الصور ، وكان في غفلة عن موقف أولئك الممتحنين يسيطر عليه الخوف والهلع ، ويحاول أن يجد مخرجاً ، وحينئذ تسول له نفسه ، ويزين له الشيطان أن المخرج إنما يكون في العزلة أو التفرد فيركن إلى ذلك .

8- صحبته نفر من المسلمين منهجه العزلة ، وسيرتهم التفرد :
وقد يكون الحامل على العزلة صحبته نفر من المسلمين منهجه العزلة ، وسيرتهم التفرد نظراً لأن المرء شديد التأثر بقرينه ، لاسيما إذا كان هذا القرين ذا شخصية مؤثرة وممن يقتدي أو يتأسى به .

يقول صلى الله عليه وسلم : (الرجل على دين خليله فلينظر أحداكم من يخال) .

9- تعدد الهيئات والجماعات العاملة لدين الله :
وقد يؤدي تعدد الهيئات والجماعات العاملة لدين الله إلى أن يقع المسلم العامل في حيرة من أمره ، مع أي من هذه الهيئات وتلك الجماعات يعمل ، وعن أي منها يبتعد ؟ وتنتهي به هذه الحيرة إلى العزلة أو التفرد ، لاسيما إذا لم يكن يعرف حقيقة هذه الهيئات وتلك الجماعات وموقفه منها ، غداً أن حقيقة هذه الهيئات وتلك الجماعات أنها جميعاً على خير بيد أن هذا الخير متفاوت ، فمنها ما هو على

⁶² الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب الشركة : باب هل يقرع في القسمة ، وكتاب الشهادات باب القرعة في المشكلات 182/3 ، 237 من حديث كريب والأعمش كلاهما عن الشعبي عن النعمان بن بشير مرفوعاً به وب نحوه .

جزء يسير من الخير ، ومنها ما هو على كثير من الخير ، ومنها ما هو على الخير كله ، وأن موقفه منها يفرض عليه أن يتعرف عليها جميعاً : (أهدافاً ووسائل ، ثم يسير مع من كانت على الخير كله)

- بأن يكون هدفها تطبيق شرع الله ، ومنهجها في الأرض { إن الحكم إلا لله } ، { وأن احكم بينهم بما أنزل الله } .

- وأن تقصد بكل ما يصدر عنها من أقوال وأفعال وجه الله { قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين }

- وأن تخلعه كل ولاء إلا ولاء الله ورسوله ، و المؤمنين المتمسكين بهدى الله : { إنما وليكم الله ورسوله و الذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتول الله ورسوله و الذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون }

- وأن تفهم الإسلام فهماً وسطاً دون غلو أو تشدد ودون تفريط أو إسراف ثم تعمل به كله من السواك إلى الجهاد { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة } .

- وأن تعمل ابتداء على إيجاد الشخصية المسلمة الجامعة لكل خصال الخير ، المتأبئة على كل خصال الشر المستأهلة لعون الله وتأييده نصره { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم }

{ قد أفلح من زكاهما وقد خاب من دساها }

- وأن تتوسع في تحقيق هذه الشخصية المسلمة بحيث تنتشر وتعم المجتمع كله ، بل العالم كله : { وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }

- وأن تجتهد في الربط بين هذه الشخصيات المسلمة بحيث تصدر عن رأي واحد وتصير فكراً واحداً وقلباً واحداً وروحاً واحدة ومشاعر واحدة وإن تعددت الأجساد { واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا }

- وأن تنطلق من ترتيب واع دقيق مبني على دراسة وفهم الواقع باستمرار ثم التعامل معه بناء على هذه الدراسة ، وهذا الفهم { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنين ... } .

{ وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم إنا عاملون . }

- وأن تراعى الأولويات في العمل بحيث إذا أصيبت بضيق ذات اليد وقصرت بها إمكانياتها ووسائلها قدمت بعض الأصول على بعض ، بل والأصول على الفروع ، و الفرائض على النوافل ، و المجمع عليه على المختلف فيه ، كما صنع - رسول الله صلى الله عليه وسلم - حين سعى إلى تحطيم الأصنام الموجودة بداخل النفس البشرية قبل تحطيم الأصنام التي كانت في جوف الكعبة وعلى سطحها .

- وألا تتساهل أو تتهاون في الأصول المجمع عليها ، مع التماس الأعذار في الفروع المختلف فيها وبذلك تفتح الباب للتعاون مع جميع العاملين .

- وأن يكون لها منهاج واضح الأركان ، محدد المعالم ، يأخذ بيد الفرد من طور إلى طور ، ومن مرحلة إلى مرحلة ، فيشبع تطلعاته ، ويجيب على تساؤلاته ويرفع من مستواه .

- وأن يكون قد ظهر ثباتها أو صبرها على مشاق ومتاعب الطريق فصمدت أمام الإرهاب ، واستعلت على المحن و الشدائد وبذلك استحققت أن تكون إماماً ورانداً لباقي العاملين :

{ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم و الصابرين ونبلوا أخباركم } .

- وأن تكون قد قطعت شوطاً طويلاً في العمل ، بحيث صارت ذا دراية وخبرة بالطريق ، وبهذا توفر على من يسير معها جهداً ووقتاً ومالاً .

- وأن يكون دأبها التآني ، و التروي ، و عدم الاستعجال : { فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم } .

- وأن يكون معها من يوجهها ويرشدها بحيث يرتب العمل وتوضع الأمور في نصابها .

- وأن ينزل جميع أبنائها على رأي من يوجههم مادام في المعروف .

- وأن يكون هناك التناصح بشروطه وآدابه ، وقبول هذا التناصح و الرضا به .

- وأن تكون هناك الدقة والأمانة في اختيار العاملين ليقطع الطريق على المتربصين { ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمعتكم فيميلون عليكم ميلاً واحدة }

- وأن يكون هناك الاتباع لا الابتداع { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً } .

10- الغفلة عن الآثار المترتبة على العزلة سواء منها ما يتصل بالعاملين أو بالعمل الإسلامي :

وأخيراً قد يكون الحامل على العزلة الغفلة عن الآثار المترتبة على العزلة سواء منها ما يتصل بالعاملين أو بالعمل الإسلامي ، على النحو الذي سنعرض له بعد قليل ، إذ أن من غفل عن الآثار الضارة المترتبة على أمر ما وقع لا محالة في هذا الأمر .

ثالثاً : آثار العزلة أو التفرد :

هذا وللعزلة أو التفرد آثار ضارة ، وعواقب سيئة ، سواء على العاملين ، أو على العمل الإسلامي ودونك هذه الآثار :

= على العاملين :

فمن آثارهم على العاملين :

1- جهلهم بأبعاد ومعالم شخصيتهم :

ذلك أن الإنسان - مهما يكن ذكاؤه ، ومهما تكن فطنته - لا يمكنه وحده أن يعرف أبعاد ومعالم شخصيته معرفة دقيقة ، بل لابد من آخرين يعينونه على ذلك ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ، لا يستطيع الإنسان أن يكتشف ما في شخصيته من أثره وأثانية أو إيثار ، وتعاون ، إلا إذا عاش بين الناس وخالطهم ، ورأي أصحاب الحاجات منهم ، ثم تأمل في نفسه ، هل تقسو وتجمد ، فتشج وتبخل ؟

وحينئذ تكون الشر والآنانية ، أو ترق وتلين فتجود وتعطي ؟ وحينئذ يكون الإيثار والتعاون ، وكذلك لا يمكنه أن يقف على ما في شخصيته من حلم وأناة ، أو حمق وعجلة ، إلا إذا خالط الناس وصادف طبقات من غير أولى الكياسة ، ونظر : هل يقابل خشونة ألسنتهم باللين ، وغلظة قلوبهم بالرفق ؟ وهنا يكون الحلم والأناة ، أو يقابلها بمثلها أو أشد ؟ وهنا يكون الحمق والعجلة .
وأيضاً لا يعرف الإنسان ما لديه من الشجاعة الأدبية أو الجبن والخور إلا إذا لزم الجماعة ، ورأي من يخطئ ثم تبصر في نفسه : هل يهون عليها أن تقول لهذا المخطئ : إن الصواب في غير ما نطقك ، والحق في غير ما رأيت ، والخير في غير ما أتيت ؟ وهنالك تكون الشجاعة الأدبية ، أو يعز عليها أن تقول ذلك فتصمت وتخرس ؟ وهناك يكون الجبن والخور .
وبالمثل لا يدرك الإنسان ما تنطوي عليه شخصيته من صدق وكذب ، من أمانة وخيانة ، من نظام أو فوضى ، إلا إذا عاش في وسط الجماعة ، وحدث أفرادها ، أو انتمنوه على دمانهم وأموالهم وأعراضهم ، أو ضرب لهم موعداً ، أو أعطى من نفسه عهداً لهم ، ثم نظر :

هل يحدثهم بما يوافق الحقيقة والواقع ؟ فيكون صدوقاً ، أو بما يخالفها فيكون كذوباً .
وهل يحافظ على دمانهم وأموالهم وأعراضهم فيكون أميناً ، أو يعتدي عليها ويهدرها ؟ فيكون خانناً .
وهل يحافظ على عهده ، ويفي بوعده ؟ فيكون دقيقاً منضبطاً منظمًا أو يهمل ويخلف ؟ فيكون فوضوياً غير دقيق ولا منظم ولا منضبط .
كان المسلم إذا عاش في عزلة أو مفرداً فإن شخصيته تبقى مجهولة لديه ، وذلك هو الخسران بعينه ، إذ ربما يفعل الشر ظاناً أنه الخير ، وربما يترك الخير ، معتقداً أنه الشر { قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا } .

ولعل هذا الأثر هو المفهوم من قوله - صلى الله عليه وسلم - (المؤمن مرآة المؤمن ...)
ومن قول عمر - رضى الله عنه - : (أهديت إلينا عيوبنا)⁶³
أي أن الطريق التي يعرف بها المسلم أبعاد ومعالم شخصيته من كمال أو نقص ، قوة أو ضعف - فينمى نواحي الكمال والقوة ، ويستكمل ويقوى نواحي النقص والضعف - إنما هي الجماعة ، وبغيرها يعيش المسلم في عمية وعلى غير هدى .
2- حرمانهم من المعين الذي يمكن أن يأخذ بأيديهم ، ويساعدهم على إصلاح عيوبهم ، ذلك أن الإنسان قد يهدى إلى عيوبه ، لكنه قد يكون من ضعف الإرادة ، وخور العزيمة بحيث يعجز بمفرده عن إصلاح وتقويم هذه العيوب ، ولا بد له من معين ، يعينه على نفسه ، وحين يختار العزلة أو التفرد يحرم هذا المعين ، ويبقى طوال حياته غارقاً في المعاصي والسيئات .
ولعل هذا الأثر هو المفهوم مما جاء : (المؤمن مرآة أخيه إذا رأي فيه عيباً أصلحه)⁶⁴
(من أراد الله به خيراً رزقه خليلًا صالحاً ، إن نسي ذكره ، وإن ذكر أعانه)⁶⁵

3- تعطيل بعض طاقاتهم وإمكاناتهم ، الأمر الذي يجعلهم فريسة لإغواء الشيطان وإضلاله ، ووسوسته ، فضلاً عما يلحق شخصيتهم من الانفصام أو الخلل ، ذلك أن الإنسان - كما هو معلوم - مؤلف من جسد وعقل وروح ، أو بعبارة أخرى من مادة وروح ، والروح مزود بطاقة من الغرائز تشبه الخيوط الدقيقة المتقابلة المتوازية ، كل غريزتين منهما متجاورتين في النفس ، وهما في الوقت ذاته مختلفتان في الاتجاه ، الخوف والرجاء ، الحب والكراهة ، الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال ، الطاقة الحسية والطاقة المعنوية ، الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بما لا تدركه الحواس ، حب الالتزام والتمويل إلى التطوع ، الفردية والجماعية ، السلبية والإيجابية الخ كلها غرائز متوازية ، ومتقابلة - كما ترى - وهي بتوازيها وتقابلها - تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشري بالحياة ، كأنما هي أوتاد متفرقة ، متقابلة تشد الكيان كله ، وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط ، وهي في الوقت ذاته توسع أفقه وتفسح مجال حياته ، فلا ينحصر في نطاق واحد ، ولا في مستوى واحد ، بيد أن تحقيق التوازن والتكامل في حياة الإنسان مرهون بإعطاء كل غريزة من هذه الغرائز حقها ، دون زيادة أو نقص .

والجماعة هي المجال الوحيد الذي يوظف سائر طاقات المسلم ويعمل كل الغرائز بدرجات متساوية ومتوازية في نفس الوقت ، فتتكون الشخصية السوية المتكاملة ، الخالية من أي انفصام أو اعوجاج والمحصنة ضد كيد الشيطان وإغوانه .
وإذا حدث أن ابتعد المسلم عن الجماعة وأثر حياة العزلة أو التفرد فإنه تتعطل - لا محالة - بعض طاقاته وإمكاناته ، وحينئذ يكون الخلل أو الانفصام في شخصيته ، فضلاً عن وجود الفراغ الذي يمكن أن يستغله شياطين الإنس والجن في إغوانه وإضلاله ، ولعل هذا الشر هو ما لفت النبي - صلى الله عليه وسلم - النظر إليه بقوله :
(... فمن أحب منكم بحبوبة الجنة فليلزم الجماعة ، فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ...)
4- قلة رصيدهم من الخبرات والتجارب التي تعينهم على مواجهة كل ما يعترض طريقهم من صعاب وعقبات :

⁶³ الأثر أورده ابن قدامة في مختصر منهاج القاصدين الفصل الثالث : علامات مرض القلب ص 171
⁶⁴ الحديث أخرجه البخاري في الأدب المفرد : باب المسلم مرآة أخيه ص 107 رقم 238 من حديث أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - ومرفوعاً إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بلفظ : (المؤمن مرآة أخيه والمؤمن أخو المؤمن يكف عن ضيعته ويحوطه من ورائه) وهو عند أبي داود في السنن كتاب الأدب : باب في النصيحة والحيطة 280/4 باللفظ المرفوع ، إلا أن فيه : (المؤمن مرآة المؤمن) بدل المؤمن مرآة أخيه .

⁶⁵ الحديث صحيح وانظر في تخريجه سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني المجلد الأول 431 .

ذلك أن العمل لدين الله طريق مليئة بالأشواق محفوفة بالمخاطر ، و المسلم الحصيف الذكي هو الذي تكون لديه الخبرة أو التجربة التي تمكنه من التغلب على هذه المخاطر ، و النجاة من تلك الأشواق .

وليس هناك مجال أرحب وأوسع - يكتسب فيه المسلم الخبرات ويتعلم التجارب - سوى العيش مع الناس ومخالطتهم .
وحين ينأى المسلم العامل بنفسه عن الجماعة ، ويرضى بالعزلة أو التفرد فإنه يحرم هذه الخيرات ، وتلك التجارب ، ويبقى طول حياته ضيق الأفق قاصر النظر ، لا يعرف كيف يواجه أبسط المشكلات ، فضلاً عن أمهاتها وعظائرها .
ولعل هذا الثر هو ما نفهمه من قوله صلى الله عليه وسلم :

(إنما مثل الجليس الصالح و الجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك : إما أن يحذيك ، وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة) .

5- سيطرة اليأس و القنوط على نفوسهم ، الأمر الذي قد ينتهي بهم إلى الفتور ، ذلك أن المسلم العامل لدين الله - لاسيما في هذا العصر - يأتيه الشيطان بين الحين و الحين ويلقى عليه هذه التساؤلات :
ما المخرج وأعداء الله - في داخل الأمة الإسلامية وفي خارجها - كثير ؟ وهم الآن ممسكون بخناق العالم الإسلامي ، ولديهم خطط مأكرة و أساليب خبيثة ؟

و يستطيع المسلم المخالط للناس و العامل من خلال جماعة دفع هذه التساؤلات ، بأنه ليس وحيداً في هذا الميدان ، وإنما هناك آخرون سواه يسرون في نفس الطريق ، وأولئك لهم من الأساليب والإمكانات ما يعينهم على مواجهة أعدائهم ، وإحباط مكائدهم ومخططاتهم .
أما إذا كان في عزلة أو يعمل وحده ، فإن هذه التساؤلات تظل تلح عليه وليس هناك ما يدفعها به ، حينئذ يدب اليأس في قلبه و القنوط إلى نفسه فيفتن وربما ترك العمل لدين الله .

6- قلة رصيدهم من الأجر و الثواب :

ذلك أن الذي يعيش مع الناس ويخالطهم يجد أمامه مجالات رحية ، وميادين واسعة لتحصيل الأجر و الثواب ، فهناك مجالس العلم للإفادة أو الاستفادة ، وهناك عيادة المرضى وزيارة الإخوان تأكيداً لمودتهم أو تهنئة بنعمة ، أو تعزية على مصيبة ، وهناك إرشاد للناس وتوجيههم إلى الخير ، ومد يد المعونة على ما يسد حاجاتهم ، أو تقوى به شوكتهم وهكذا .
أما الذي يعيش منفرداً أو منعزلاً فإنه يحرم من هذه الميادين وتلك المجالات ، وبالتالي يقل رصيده من الأجر و الثواب .

7- عدم تمكنهم من إقامة دين الله في أنفسهم اليوم أو غداً :

ذلك أن الباطل لا يفتأ لحظة عن العمل بهدف أن تتحول الأرض إلى بؤرة من الشر و الفساد ، فلا يستطيع المسلم العامل أن يؤدي دوراً أو أن يقوم بواجب ، وما يمكن أن يتحقق للباطل مثل ذلك ، إلا إذا فرَّ أهل الحق من الميدان ، أو عملوا متفرقين ، و المعتزل واحد فرَّ من الميدان ، أو أثر أن يعمل وحده ، ومن كان كذلك فإنه سيضيق عليه حتماً اليوم أو غداً .
ولعل ذلك هو ما أشارت إليه تلك النصوص التي ذكرناها آنفاً في أسباب العزلة أو التفرد :

{ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ... } ، { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز } .

(مثل القائم على حدود الله و الواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً)

8- تعريضهم أنفسهم للآثم و الغضب الإلهي - بسبب اعتزالهم الناس ومفارقتهم الجماعة ، وأنى للمسلم أن يطيق ذلك أو يتحملة ؟
ولعل هذا الأثر هو ما تفهمه من قوله صلى الله عليه وسلم :

(من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة فمات ، مات ميتة جاهلية ...)

تلكم أهم آثار العزلة أو التفرد على العاملين وهي في جملتها مستفادة من قوله صلى الله عليه وسلم :

(من فارق الجماعة شبراً ، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه)⁶⁶

وكانه يعني بذلك أن من خرج عن الجماعة وفارقها في الأمر المجمع عليه .

فقد عرض نفسه للهلاك والضياع إذ لا يؤمن عليه حينئذ الوقوع في جميع الآثار المذكورة آنفاً أو على الأقل في بعضها ، تماماً كما يحدث للدابة إذا جعلت الربة أو الطوق الذي يجعل في عنقها لنلا تشرد فإنه لا يؤمن عليها الهلاك والضياع .

على العمل الإسلامي :

أما آثارها على العمل الإسلامي فتدور حول :

(1) سهولة ضربه والقضاء عليه أو على الأقل إجهاضه فلا يؤتى ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة وزمن طويل نظراً لضعفه بسبب تفرق العاملين وعدم تضامنهم ولعل ذلك هو السر في حرص أعداء الله على أن يظل المسلمون منقسمين على أنفسهم تحت شعار : (فرق تسد) .

⁶⁶ أخرجه البخاري

ولعله السر أيضا في الأمر بالوحدة ونبذ الفرقة والتنازع :
{ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا } .
{ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم } .
{ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان } .

(2) الحرمان من العون أو المدد الإلهي :

ذلك أن العمل الإسلامي مهما تكن طاقاته وإمكاناته فهو بحاجة إلى عون وتأييد من الله عز وجل وقد وعد الله أنه لا يعطى هذا العون وذلك التأييد إلا إذا كان القانمون على العمل الإسلامي متضامنين متكاتفين ,
يقول النبي صلى الله عليه وسلم :
(يد الله مع الجماعة)

ولئن ترتب على هذا الحرمان امتحان أو ابتلاء فإنه يكون رحمة وبركة على العاملين المتضامنين ونقمة وعذابا على القاعدين وكذلك على العاملين المتفرقين :
{ والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعماله سيديهم ويصلح بهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم } .
(إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بعثوا على أعمالهم)⁶⁷.

رابعاً : الطريق للخلاص والوقاية من العزلة :

ومادامنا قد وقفنا على أسباب العزلة وآثارها فإن من السهل أن ندرك طريق الخلاص والوقاية منها وتتلخص في :
(1) الفهم التام للعلاقة أو الصلة القائمة بين النصوص الشرعية المرغبة في العزلة والأخرى الداعية إلى مخالطة الناس ولزوم الجماعة:

فإن ذلك الفهم كفيل بانتزاع المسلم إن كان صادقا مع نفسه من حياة العزلة وإلقائه في أحضان الجماعة نظراً لأن مخالطة الجماعة هي الأصل والعزلة أمر طارئ لا يكون إلا عند الضرورة التي لا يبقى معها دين ولا حياة .

(2) الفهم التام للظروف أو الأسباب التي دعت بعض السلف إلى العزلة أو التفرد :
فإن ذلك الفهم كثيراً ما يحول بيننا وبين الاقتداء بهم في هذا الشأن لا سيما إذ عرفنا أن عزلة هؤلاء لم يكن من ورائها ضرر فقد كانت دولة الإسلام قائمة والراية مرفوعة والدين كله لله أما عزلتنا الآن فمن ورائها ضرر كثير نظراً لغياب دولة الإسلام وإمساك أعداء الله بخناقنا وصددهم عن سبيل الله كثيراً وحاجتنا إلى سواد كثير وجهود ضخمة متآزرّة لإعادة السلطان لله.

(3) الإمام الدقيق بمنهج الإسلام في التوفيق بين الفردية والجماعية :
فإن ذلك كفيل بدفع السلم إلى أن يعيش في أحضان الجماعة في الوقت الذي يحافظ فيه على ذاتيته أو فرديته .

(4) الوقوف على المفهوم الصحيح للعبادة :
فإنه كاف في القضاء على العزلة والحمل على ملازمة الجماعة ومخالطة الناس دون أن يكون هناك أدنى حرج في أن الأوقات تنفق في غير الطاعة والعبادة .

(5) مجاهدة النفس وأخذها دوماً بالشدة والحزم :
لنلا تسيطر عليها الأهواء وتستبد بها الشهوات فتدفعها إلى العزلة والفرار من تكاليف مخالطة الجماعة والعيش بين الناس .

(6) فهم الدور الواجب على المسلم حين ينتشر الشر ويعم الفساد :
فإن ذلك كاف في إخراج أي عامل من عزلته وحمله على مخالطة الناس واقتحام الخطوب من أجل القضاء على الشر ومقاومة الفساد أو على الأقل تحجيمهما .

(7) اللجوء التام إلى الله عز وجل والاستعانة الصادقة به فإن من يستعين بالله يعينه الله :
{ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون } .

(8) التخلص من صحبة من كان منهجهم العزلة وسيرتهم التفرد مع ملازمة صف العاملين : فإن ذلك له دور كبير في القضاء على العزلة .

(9) الإمام التام بحقيقة الهيئات والجماعات العاملة لدين الله : فإن ذلك سينتهي به حتماً إلى نبذ حياة العزلة والسير مع من كانت على الخير كله وقائمة بالحق جميعه.

(10) الوقوف على حقيقة المنهج الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تشييد صرح ودولة الإسلام الأولى فإن ذلك يعين على التخلص من العزلة ويحمل على الانحياز للجماعة اقتداءً وتأسياً به صلى الله عليه وسلم :
{ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً } .

⁶⁷ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الفتن باب إذا أنزل الله بقوم عذاباً 71/9 من حديث عبد الله بن عمر - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعاً به إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

(11) إدراك أن أعداء الله من الكافرين والمنافقين يتعاونون فيما بينهم ويعملون لضرب الإسلام مجتمعين لا متفرقين في شكل أحلاف عسكرية : (حلف وارسو - حلف الأطلنطي) وفي شكل أسواق تجارية : (السوق الأوروبية المشتركة) وفي شكل برلمانات وهيئات سياسية : (البرلمان الأوروبي) وفي شكل اتحادات جمهورية وولاياته (جمهوريات الاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة الأمريكية). وإذا كان هذا شأن أعداء الله وهم على الباطل وبينهم من خلافت جوهريّة فأولى بنا نحن المسلمين لا سيما أننا على الحق وليس لدينا خلافت جوهريّة أن نواجههم بنفس الأسلوب أي مجتمعين لا متفرقين :

{ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير } .
(12) التأمل في حياة المخلوقات المحيطة بنا الموجودة حولنا فإن ذلك التأمل سيقودنا حتما إلى أن هذه المخلوقات ما تعيش في عزلة وإنما تعيش مجتمعة متعاونة لتؤدي دورها فيها هي المجموعة الشمسية تتعاون لتوفير الضياء والدفع لسانر الكائنات الحية وها هي جماعة النحل تتعاون في بناء بيوتها وتنظيفها وتوفير الحماية لها ثم تسرح لتمتص رحيق الأزهار ولتخرجه في النهاية عسلا مصفي فيه شفاء للناس ومثل ذلك يحدث لجماعة النمل وباقي المخلوقات مما حدا بالشاعر أن يقول :

النمل تبني قراها في تماسكها والنحل تجنى رحيق الشهد أعوانا
وإذا كان هذا شأن المخلوقات التي لا عقل لها فكيف بنا نحن بني آدم الذين ميزنا الله بالعقل والحرية والإرادة وجعلنا سادة في هذا الكون وهكذا يمكن أن يؤدي مثل هذا التأمل إلى نبذ حياة العزلة والعيش مع الجماعة وبين الناس .
(13) الوقوف على حقيقة الآثار المترتبة على العزلة أو التفرد وقد ذكرناها آنفا فإن ذلك يقود من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد إلى العيش بين الناس ومخالطتهم حذرا من الوقوع في هذه الآثار أو تلك العواقب .

الآفة الخامسة

الإعجاب بالنفس

والآفة الخامسة التي يصاب بها بعض العاملين وعليهم أن يعملوا جاهدين على مداواة أنفسهم وتحريرها بل والاحتراز والتوقي منها : إنما هي الإعجاب بالنفس .

ولكي يكون حديثنا عن هذه الآفة واضح الأبعاد محدد المعالم سنجعله يدور على النحو التالي :

أولاً : معنى الإعجاب بالنفس :

لغة : يطلق الإعجاب بالنفس في اللغة ويراد به :

(أ) السرور والاستحسان تقول : أعجبه الأمر : سره وأعجب به : سر به ومنه قوله تعالى: {ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم}.

{ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث }.

{ كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً }.

(ب) الزهو أو الإعظام والإكبار تقول : أعجبه الأمر أي زها به وعظم عنده وكبر لديه ، ورجل معجب أي مزهر أو معظم ومكبر لما يكون منه حسناً أو قبيحاً ومنه قوله تعالى : { ويوم نحين إذ أعجبكم كثرتم فلم تغن عنكم شيئاً }.

اصطلاحاً : أما في اصطلاح الدعاة أو العاملين فإن الإعجاب بالنفس هو : السرور أو الفرح بالنفس وبما يصدر عنها من أقوال أو أعمال من غير تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس سواء أكانت هذه الأقوال وتلك الأعمال خيراً أو شراً محموداً أو غير محموداً فإن كان هناك تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس باحتقار واستصغار ما يصدر عنهم فهو الغرور أو شدة الإعجاب وإن كان هناك تعد أو تجاوز إلى الآخرين من الناس باحتقارهم في أشخاصهم وذواتهم والترفع عليهم فهو التكبر أو شدة الإعجاب⁶⁸.

ثانياً : أسباب الإعجاب بالنفس

للإعجاب بالنفس أسباب تؤدي إليه وبواعث توقع فيه نذكر منها :

1- النشأة الأولى :

فقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي النشأة الأولى .

ذلك أن الإنسان قد ينشأ بين أبوين يلمس منهما أو من أحدهما : حب المحمدة ودوام تركية النفس أن بالحق وإن بالباطل والاستعصاء على النصح والإرشاد ونحو ذلك من مظاهر الإعجاب بالنفس فيحاكبهما

وبمرور الزمن يتأثر بهما ويصبح الإعجاب بالنفس جزء من شخصيته إلا من رحم الله .

ولعل ذلك السر في تأكيد الإسلام على التزام الأبوين بمنهج الله على النحو الذي قدمنا الآفة الثانية ((آفة الإسراف)).

إذ منهج الله وحده هو الذي يحمي الأبوين من أي انحراف وبذلك يصلح أن يكونا قدوة للأولاد.

2- الإطراء والمدح في الوجه دون مراعاة للآداب الشرعية المتعلقة بذلك :

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هو الإطراء والمدح في الوجه دون مراعاة للآداب الشرعية المتعلقة بذلك :

ذلك أن هناك فريقاً من الناس إذا أطرى أو مدح في وجهة دون تقيد بالآداب الشرعية في هذا الإطراء وذلك المدح اعتراه أو ساوره لجهله بمكاند الشيطان خاطر : أنه ما مدح وما أطرى أي أنه يملك من المواهب ما ليس لغيره وما يزال هذا الخاطر يلاحقه ويلج عليه حتى يصاب والعياذ بالله بالإعجاب بالنفس ولعل ذلك هو السر في ذمه صلى الله عليه وسلم للثناء والمدح في الوجه بل وتأكيد عليه ضرورة مراعاة الآداب الشرعية إن كان ولا بد من ذلك⁶⁹.

جاء عن مجاهد عن أبي معمر أنه قال : قام رجل يثني على الأمير من الأمار فجعل المقداد بن الأسود في وجهة التراب وقال : ((أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحثي في وجوه المداحين التراب))⁷⁰

وجاء عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه قال : مدح رجل رجلاً عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : ((ويحك قطعت عنق صاحبك قطعت عنق صاحبك)) مرارا ((إذا كان أحدكم مادحاً لا محالة فليقل : أحسب فلاناً والله حسيبه ولا زكي على الله أحسبه إن كان يعلم ذلك كذا وكذا))⁷¹.

3- صحبة نفر من ذوي الإعجاب بأنفسهم :

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي الصحبة والملازمة لنفر من ذوي الإعجاب بأنفسهم

⁶⁸ انظر مختصر منهاج القاصدين ص 247 - 248 بتصرف .

⁶⁹ الآداب الشرعية المتعلقة بالإطراء والمدح كما استنبطها العلماء من الكتاب والسنة ثلاثة : الأول : ألا يكون في المدح إفراط أو مجاوزة للحد ، الثاني : أن يكون بالحق لا بالباطل ، الثالث : ألا يكون مع من يخشى عليه الفتنة من إعجاب وغيره فإذا توافرت هذه الآداب جاز المدح ، بل قد يصير مستحباً إذا كانت من ورائه مصلحة أو منفعة كالتشجيع لفعل الخير ، أو الزيادة منه أو الاستمرار عليه ، أو الاقتداء والتأسي ونحو ذلك ، انظر منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للإمام النووي ، كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح 126/18 بتصرف .

⁷⁰ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على

الممدوح 2297/4 رقم 3002 من حديث المقداد بن الأسود مرفوعاً به .

⁷¹ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الأدب باب ما يكره من التمداح 22/8 ، ومسلم في الصحيح : كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن المدح إذا كان فيه إفراط وخيف منه فتنة على الممدوح 2296/4 رقم 3000 كلاهما من حديث خالد الحذاء عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه مرفوعاً واللفظ لمسلم .

ذلك أن الإنسان شديد المحاكاة والتأثر بصاحبه لا سيما إذا كان هذا الصاحب قوى الشخصية ذا خبرة ودارية بالحياة وكان المصاحب غافلاً على سجيته يتأثر بكل ما يلقي عليه وعليه فإذا كان الصاحب مصاباً بداء الإعجاب فإن عدواه تصل إلى قرينه فيصير مثله ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على ضرورة انتقاء واختيار الصاحب لتكون الثمرة طيبة والعواقب حميدة وقد قدمنا طرفاً من النصوص الشرعية المتعلقة بذلك أثناء الحديث عن آفة ((الفتور)) .

4- الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم :

وقد يكون السبب في الإعجاب : إنما هو الوقوف عند النعمة ونسيان المنعم : كذلك أن هناك صنفاً في العاملين إذا حباه الله نعمة من المال أو علم أو قوة أو جاه أو نحوه وقف عند نعمة ونسى المنعم وتحت تأثير بريق المواهب وسلطانها تحدثه نفسه أنه ما أصابته هذه النعمة إلا لما لديه من ولا يزال هذا الحديث على حد قول قارون : ((إنما أوتيته على علم عندي)) ولا يزال هذا الحديث يلح عليه حتى يرى أنه بلغ الغاية أو المنتهى ويسر ويفرح بنفسه وبما يصدر عنها ولو كان باطلاً وذلك هو الإعجاب بالنفس .

ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على أن مصدر النعمة أي نعمة إنما هو الله عز وجل : { وما بكم من نعمة فمن الله } . { والله أخرجكم منبطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم سمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون } . { ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة } .

{ يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم } . بل وعلى أن ينجي المسلم ربه كل صباح ومساءً قانلاً ثلاث مرات :

اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر)) ⁷²

5- الصدارة للعمل قبل النضج وكمال التربية :

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي الصدارة للعمل قبل النضج وكمال التربية : ذلك أن ظروف العمل الإسلامي قد تفرض أن يتصدر بعض العاملين للعمل قبل أن يستوي عودهم وقبل أن تكتمل شخصيتهم وحينئذ يأتي الشيطان فيلقى في روعهم أنهم ما تصدروا للعمل وما وضعوا في الموقع الذي هم فيه الآن إلا لما يحملون من مؤهلات ما لديهم من مواهب وإمكانات وقد ينطلي عليهم لجهلهم بمكاند الشيطان وحيله مثل هذا الإلقاء فيصورونه حقيقة ويرفعون من قدر نفوسهم فوق ما تستحق حتى يكون الإعجاب بها والعياذ بالله.....

ولعل هذا هو السر حرص الإسلام على الفقه فقه وعلى أن يكون هذا الفقه قبل الصدارة أو القيادة إذ يقول الله تعالى : { فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون } . { يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً } .

وإذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم :-

((من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)) ⁷³ .

وإذ يقول عمر رضي الله تعالى عنه :- ((تفقهوا قبيل تسودوا)) يعني : تعلموا العلم قبل أن تصيروا سادة أو أصحاب مسئولية لتدركوا ما في السيادة أو ما في المسئولية من آفات فتتقوها .

6- الغفلة أو الجهل بحقيقة النفس :

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي الغفلة والجهل بحقيقة النفس : ذلك أن الإنسان إذا غفل أو جهل حقيقة نفسه ، وأنها من ماء مهين خرج من مخرج البول ، وأن النقص دائماً طبيعتها وسمتها ، وأن مردها أن تلقى في التراب ، فتصير جيفة منتنة ، تنفر من رائحتها جميع الكائنات ، إذا غفل الإنسان أو جهل ذلك كله ربما خطر بباله أنه شيء ، ويقوى الشيطان فيه هذا الخاطر حتى يصير معجباً بنفسه .

ولعل هذا هو السر في حديث القرآن و السنة المتكرر عن حقيقة النفس الإنسانية بدءاً ، ونهاية .

⁷² المناجاة أو الدعاء جاء فيه حديث أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الأدب باب ما يقول إذا أصبح 318/4 رقم 5073 من حديث عبد الله بن غنم البياضي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بي من نعمة فمن وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته) ، وإذ يقول بشر بن جحاش القرشي ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال : قال الله تعالى : (يا ابن آدم أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين ، ولأرض منك وثيد فجمعت أو منعت ، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق وأنى أوان الصدقة) الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند .

⁷³ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين 27/1-28 وكتاب فرض الخمس : باب قول الله تعالى فأن الله خمس 103/4 وكتاب الاعتصام بالكتاب و السنة باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق 125/9 ومسلم في الصحيح كتاب الإمارة : باب قوله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق 1524/3 رقم 175 وكتاب الزكاة ، باب النهي عن المسألة 718/2 رقم 1037 كلاهما من حديث معاوية بن أبي سفيان - رضي الله تعالى عنهما - مرفوعاً به

إذ يقول الحق سبحانه { الذي أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين } ، { ألم نخلقكم من ماء مهين } ، { ثم أماته فأقبره } .

7- عراقة النسب أو شرف الأصل :

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هي عراقة النسب ، أو شرف الأصل ، ذلك أن بعض العاملين قد يكون سليل بيت عريق النسب ، أو شريف الأصل ، وربما حملته ذلك على استحسان نفسه وما يصدر عنها ، ناسياً أو متناسياً أن النسب أو الأصل لا يقدم ولا يؤخر ، بل المعول عليه إنما هو العمل المقرون بالجهد والعرق ، وهكذا تنتهي به عراقة نسبه أو شرف أصله إلى الإعجاب بنفسه ، ولعل ذلك هو سر تأكيد الإسلام على العمل والعمل وحده :

إذ يقول الحق سبحانه { فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون } { ليس بأمانيتكم ولا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجز به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها } .

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لما أنزل عليه { وأنذر عشيرتك الأقربين } ، (يا معشر قريش : اشتروا أنفسكم من الله لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا بنى عبد المطلب : لا أغنى عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً ، يا فاطمة بنت رسول الله : سليني ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئاً)⁷⁴

8- الإفراط أو المبالغة في التوقير والاحترام :

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس ، إنما هو الإفراط أو المبالغة في التوقير والاحترام ، ذلك أن بعض العاملين قد يحظى من الآخرين بتوقير واحترام فيهما مبالغة أو إفراط يتعارض مع هدى الإسلام ، ويأبأها شرع الله الحنيف ، كدوام الوقوف طالما أنه قائم أو قاعد ، وكتقبيل يده والاحتناء له و السير خلفه ... الخ .

وإزاء هذا السلوك قد تحدثه نفسه أنه ما حظي بهذا التوقير والاحترام إلا لأن لديه من المواهب ، و الخصائص ما ليس لغيره ، ويظل هذا الحديث يقوى ويشد إلى أن يكون الإعجاب بالنفس - و العياذ بالله - ولعل هذا هو سر نهيه - صلى الله عليه وسلم - أصحابه : أن يقوموا له ، وأن يعظموه كما يعظم الأعاجم ملوكهم فيقول : (من أحب أن يتمثل له الناس فليتبوأ مقعده من النار)⁷⁵ ويخرج صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه يوماً متوكناً على عصا فيقومون له فيقول : (لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضاً)⁷⁶

9- الإفراط أو المبالغة في الانقياد ، و الطاعة :

وقد يكون السبب في الإعجاب بالنفس إنما هو الإفراط أو المبالغة في الانقياد ، و الطاعة ، ذلك أن بعض العاملين قد يلقي من الآخرين انقياداً وطاعة فيهما إفراط أو مبالغة لا تتفق ومنهج الله ، كأن يكون هذا الانقياد وهذه الطاعة في كل شئ سواء كان معروفاً أو منكراً ، خيراً أو شراً .

وتبعاً لذلك قد تسول له نفسه أنه ما كان الانقياد ، وما كانت الطاعة إلا لأنه يملك من الخصائص ، و المزايا ما لا يملك غيره ، وربما صدق فكان الإعجاب بالنفس .

ولعل ذلك هو بعض السر في تأكيد الإسلام على أن يكون الانقياد و الطاعة في المعروف ، وليس في المعصية .

يقول - صلى الله عليه وسلم - : (على المرء المسلم السمع و الطاعة فيما أحب وكره ، إلا أن يؤمر بمعصية ، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة)⁷⁷

10- الغفلة عن الآثار المترتبة على الإعجاب بالنفس :

وأخيراً قد يكون السبب في الإعجاب بالنفس ، إنما هي الغفلة عن الآثار و العواقب ، ذلك أن سلوك الإنسان في الحياة غالباً ما يكون نابعاً من إدراكه أو عدم إدراكه لعواقب و آثار هذا السلوك .

وعليه فإن العامل أو الداعية إذا لم يدرك العواقب المترتبة على الإعجاب بالنفس فإنه قد يصاب به ، ولا يراه إلا أمراً بسيطاً هيناً ، لا يحتاج منه أن يقف عنده ، أو أن يضيع فيه وقته .

ولعل ذلك السر في حرص هذا الدين على عرض مبادئه ومقاصده مقرونة بآثارها وعواقبها .

ثالثاً : آثار الإعجاب بالنفس :

هذا وللعجب بالنفس آثار سيئة ، وعواقب وخيمة ، سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي ، ودونك طرفاً من هذه الآثار ، وتلك العواقب :

⁷⁴ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب التفسير : سورة الشعراء 140/6 ، ومسلم في الصحيح : كتاب الإيمان : باب في قوله تعالى { وأنذر عشيرتك الأقربين } 192/1-193 كلاهما من حديث أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً ، واللفظ لمسلم

⁷⁵ الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب : باب في قيام الرجل للرجل 358/4 رقم 5229 من حديث معاوية مرفوعاً به

⁷⁶ الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب : باب في قيام الرجل للرجل 358/4 رقم 5230 من حديث أبي أمامة مرفوعاً به

⁷⁷ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية 1469/3 رقم 1839 من حديث ابن عمر مرفوعاً به .

على العاملين :

فمن آثاره على العاملين :

1- الوقوع في شرك الغرور بل والتكبر :

أي أن الأثر الأول للإعجاب بالنفس ، إنما هو الوقوع في شرك الغرور بل والتكبر ، ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما يؤدي به الإعجاب إلى أن يهمل نفسه ، ويلغيه من التفقش والمحاسبة ، وبمرور الزمن يستفحل الداء ، ويتحول إلى احتقار واستصغار ما يصدر عن الآخرين ، وذلك هو الغرور ، أو يتحول إلى الترفع عن الآخرين ، واحتقارهم في ذواتهم وأشخاصهم وذلك هو التكبر . وللغرور والتكبر آثارهما الخطيرة ، وعواقبهما المهلكة التي سنقف عليها بالتفصيل عند الحديث عن هاتين الأفتين إن شاء الله تعالى .

2- الحرمان من التوفيق الإلهي :

أي أن الأثر الثاني للإعجاب بالنفس ، إنما هو الحرمان من التوفيق الإلهي : ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما ينتهي به الإعجاب إلى أن يقف عند ذاته ، ويعتمد عليها في كل شئ ناسياً أو متناسياً خالقه وصانعه ، ومدير أمره ، و المنعم عليه بسائر النعم الظاهرة والباطنة .

ومثل هذا يكون مآله الخذلان ، وعدم التوفيق في ظل ما يأتي وفي كل ما يدع ، لأن الحق - سبحانه - مضت سنته في خلقه ، أنه لا يمنح التوفيق إلا لمن تجردوا من ذواتهم ، واستخرجوا منها حظ الشيطان ، بل ولجأوا بكليتهم إليه ، تبارك اسمه ، وتعاضمت آلاؤه ، وقضوا حياتهم في طاعته وخدمته ، كما قال في كتابه { و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا } . وكما قال في الحديث القدسي : (.... وما يزال عبيد يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشى بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنه) .

3- الانهيار في أوقات المحن والشدائد :

أي أن الأثر الثالث للإعجاب بالنفس ، إنما هو الانهيار في أوقات المحن والشدائد : ذلك أن المعجب بنفسه كثيراً ما يهمل نفسه من التزكية ، و التزود بزد الطريق ، ومثل هذا ينهار ويضعف مع أول شدة أو محنة يتعرض لها ، لأنه لم يتعرف على الله في الرخاء حتى يعرفه في الشدة ، وصدق الله إذ يقول : { إن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون } ، { وإن الله لمع المحسنين } . وصدق النبي صلى الله عليه وسلم إذ ينصح عبد الله بن عباس فيقول : (... احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ...)⁷⁸

4- النفور والكراهية من الآخرين :

أي أن الأثر الرابع للإعجاب بالنفس ، إنما هو النفور والكراهية من الآخرين ، ذلك أن المعجب بنفسه قد عرّض نفسه بصنيعه هذا لبغض الله له ، ومن ابغضه الله أبغضه أهل السموات ، و بالتالي يوضع له البغض في الأرض ، فترى الناس ينفرون منه ، ويكرهونه ولا يطيقون رؤيته بل ولا سماع صوته جاء في الحديث : (إن الله إذا أحب عبداً ، دعا جبريل فقال : إني أحب فلاناً فأحبه ، قال : فيحبه جبريل ، ثم ينادي في السماء فيقول : إن الله يحب فلاناً فأحبه فيحبه أهل السماء ، قال : ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول : إني أبغض فلاناً فأبغضه ، قال فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء ، إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال : فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الأرض)⁷⁹ .

5- العقاب أو الانتقام الإلهي عاجلاً أو آجلاً :

أي أن الأثر الخامس للإعجاب بالنفس ، إنما هو العقاب أو الانتقام الإلهي عاجلاً أو آجلاً : ذلك أن المعجب بنفسه قد عرّض نفسه بهذا الخلق إلى العقاب والانتقام الإلهي عاجلاً بأن يخسف به كما كان في الأمم الماضية ، أو على الأقل يصاب بالقلق ، و التمزق والاضطراب النفسي ، كما في هذه الأمة ، أو آجلاً بأن يعذب في النار مع المعذبين وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : (بينما رجل يمشى في حلة تعجبه نفسه ، مرجل جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة)⁸⁰

على العمل الإسلامي :

وأما آثاره على العمل الإسلامي فتدور حول :

⁷⁸ الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند

⁷⁹ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب بدء الخلق باب الملائكة 135/4 وكتاب الأدب : باب المقت من الله تعالى 17/8 ، وكتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع جبريل 173/9 - 174 من حديث نافع وأبي صالح كلاهما عن أبي هريرة مرفوعاً ، ومسلم في الصحيح ، كتاب الأدب : باب إذا أحب الله عبداً 2030/4 رقم 2637 من حديث أبي صالح عن أبي هريرة مرفوعاً واللفظ لمسلم .

⁸⁰ مرجل جمته : أي مسرح ما سقط على المنكبين من شعر رأسه ، إذ الجملة من شعر الرأس ما سقط على المنكبين ، انظر النهاية 179/1 ، يتجلجل : أي يغوص في الأرض يخسف به ، و الجلجلة حركة مع صوت ، انظر النهاية 170/1 الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب اللباس ، باب من جرّ ثوبه من الخلاء 183/7 ، ومسلم في الصحيح ، كتاب اللباس و الزينة : باب تحريم التبخر في المشي مع إعجابه بثيابه 1653/3 - 1654 كلاهما من حديث أبي هريرة مرفوعاً واللفظ للبخاري .

1- سهولة اختراقه وبالتالي ضربه ، أو على الأقل إجهاضه ، فلا يؤتى ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة ، وزمن طويل ، نظراً لانهايار العاملين المعجبين بأنفسهم في أوقات المحن و الشدائد ، بل وحرمانهم من خاصية نفاذ البصيرة ، تلك التي تساعد على معرفة الأدعياء ، وتمييز الدخلاء من غيرهم .

2- توقف أو على الأقل بطء كسب الانتصار والأصدقاء ، نظراً لنفور الناس وكرهيتهم للعاملين المعجبين بأنفسهم وهذا فيه ما فيه من طول الطريق وكثرة التكاليف ، تلكم هي آثار الإعجاب بالنفس على العاملين ، وعلى العمل الإسلامي .

رابعاً : مظاهر الإعجاب بالنفس :

ويمكن اكتشاف هذا الداء من خلال المظاهر التالية :

1- تزكية النفس :

أي أن المظهر الأول للإعجاب بالنفس ، إنما هو دوام التزكية للنفس و الثناء عليها ، و العرف من قيمتها ، مع نسيان أو تناسي قول الله عز وجل { فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى } .

2- الاستعصاء على النصيحة :

و المظهر الثاني للإعجاب بالنفس ، إنما هو الاستعصاء على النصيحة بل و النفور منها ، مع أنه لا خير في قوم لا يتناصحو ولا يقبلون النصيحة .

3- الفرح بسماع عيوب الآخرين لاسيما أقرانه :

و المظهر الثالث للإعجاب بالنفس إنما هو الفرح بسماع عيوب الآخرين لاسيما أقرانه ، حتى قال الفضيل بن عياض - رحمه الله - (إن من علامة المنافق : أن يفرح إذا سمع بعيب أحد من أقرانه)⁸¹

خامساً : الطريق لعلاج الإعجاب بالنفس :

وما دمننا قد وقفنا على أسباب وباعث الإعجاب بالنفس ، فإن من السهل معرفة طريق علاج واقتلاع هذا الداء ، بل الوقاية منه ، وتتلخص في :

1- التذكير دائماً بحقيقة النفس الإنسانية ، وذلك بأن يفهم المعجب بنفسه أن نفسه التي بين جنبيه لولا ما فيها من النفخة الإلهية ما كانت تساوى شيئاً ، فقد خلقت من تراب تدوسه القدام ، ثم من ماء مهين يأنف الناظر إليه من رؤيته ، وسترى إلى هذا التراب مرة أخرى ، فتصير جيفة منتنة ، يفر الخلق كله من رائحتها ، وهي بين البدء والإعادة تحمل في بطنها العذرة أي الفضلات ذات الروائح الكريهة ، ولا تستريح ولا تهدأ إلا إذا تخلصت من هذه الفضلات .

إذ أن مثل هذا التذكير يساعد كثيراً في ردع النفس ، وردّها عن غيها ، واقتلاع داء الإعجاب منها ، بل وحمايتها من التورط فيه مرة أخرى .

وقد لفت أحد السلف النظر إلى هذه الوسيلة حين سمع معجباً بنفسه قائلاً : (أتعرف من أنا ؟ فرد عليه بقوله : نعم : أعرف من أنت ، لقد كنت نطفة قذرة وستصير جيفة قذرة ، وأنت بين هذا وذاك تحمل العذرة) .

2- التذكير دائماً بحقيقة الدنيا والآخرة ، وذلك بأن يعرف المعجب بنفسه أن الدنيا مزرعة للآخرة ، وأنه مهما طال عمرها فإنها إلى زوال ، وأن الآخرة إنما هي الباقية ، وأنها هي دار القرار ، إذ أن مثل هذا التذكير يحمل الإنسان على أن يعدل من سلوكه ، أو يقوم عوج نفسه ، قبل أن تنتهي الحياة ، وقبل أن تضيع الفرصة ، ويفوت الأوان .

3- التذكير بنعم الله التي تغمر الإنسان ، وتحيط به من أعلى إلى أدنى كما قال سبحانه { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها } ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة } ، فإن هذا التذكير من شأنه أن يشعر الإنسان بضعفه وفقره ، وحاجته إلى الله دائماً ، وبالتالي يظهر نفسه من داء الإعجاب ، بل ويقيه أن يبتلى به مرة أخرى .

4- التفكير في الموت : وما بعده من منازل ، من شدائد وأهوال ، فإن ذلك كفيل باقتلاع الإعجاب من النفس ، بل وتحصينها ضده ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

5- دوام الاستماع أو النظر في كتاب الله عز وجل وسنة النبي - صلى الله عليه وسلم - فإن فيهما البيان الشافي ، و التحليل الدقيق لكل ما يتصل بالوسائل الأربع المذكورة آنفاً ، وبهما يتخلص الإنسان - إن كان موضوعياً وصادقاً مع نفسه - من كل داء .

6- دوام حضور مجالس العلم ، لاسيما تلك التي تدور حول علل النفس وطريق الخلاص منها ، فإن أمثال هذه المجالس كثيراً ما تعين على تطهير النفس ، بل وصيانتها من داء الإعجاب .

7- الإطلاع على أحوال المرضى وأصحاب العاهات بل و الموتى ، لاسيما في وقت غسلهم وتكفينهم ودفنهم ، ثم زيارة القبور بين الحين و الحين و التفكير في أحوال أهلها ومصيرهم ، فإن ذلك يحرك الإنسان من داخله ، ويحمله على اقتلاع العجب ونحوه من كل العلل والأمراض النفسية أو القلبية .

8- وصية الأبوين أن يتحررا من داء الإعجاب بالنفس ونحوه ، وأن يكونا قدوة صالحة أمام الولد ، وأن يفهما بأن ما وقع منهما كان خطأ وأنهما قد أقلعا عن هذا الخطأ ، وعليه أن يقلع عنه مثلهما ويتوب إلى الله عز وجل .

⁸¹ العوائق للأستاذ / محمد أحمد الراشد ص 53 .

- 9- الانقطاع عن صحبة المعجبين بأنفسهم مع الارتقاء في أحضان المتواضعين العارفين أقذارهم ، ومكانتهم ، فإن ذلك يساعد في التخلص بل وفي التوقي من الإعجاب بالنفس .
- 10- التوصية و التأكيد على ضرورة اتباع الآداب الشرعية في الثناء و المدح في التوقير والاحترام ، في الانقياد و الطاعة ، مع الإعراض والزرع الشديد لكل من يخرجون على هذه الآداب ، فإن ذلك له دور كبير في مداواة النفس وتحريرها من الإعجاب .
- 11- التأخير عن المواقع الأمامية بعض الوقت ، إلى أن تستقيم النفس ويصلب عودها ، وتستعصي على الشيطان فإن ذلك يسهل طريق العلاج .
- 12- دوام النظر في سير السلف ، وكيف كانوا يتعاملون مع أنفسهم حين يرون منها مثل هذا الخلق ، فإن ذلك يحمل على الاقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة ، و المشابهة في استئصال هذا الداء ، وقطع الطريق عليه أن يعود إلى النفس مرة أخرى .
- 13- تعريض النفس بين الحين و الحين لبعض المواقع التي تقتل كبرياءها وتضعها في موضعها الصحيح ، كأن يقوم صاحبها بخدمة إخوانه الذين هم أدنى منه في المرتبة ، أو أن يقوم بشراء طعامه من السوق ، وحمل أمتعته بنفسه ، على نحو ما أثر عن كثير من السلف .
- فقد روى عن عمر - رضى الله تعالى عنه - أنه لما قدم الشام عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيره ونزع خفيه وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة عامر بن الجراح : لقد صنعت اليوم صنعا عظيماً عند أهل الأرض ، فصك صدره وقال : أوّه ، لو غيرك قال هذا يا أبا عبيدة ، إنكم كنتم أذل الناس وأحقر الناس فأعزكم الله برسوله فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله) .
- وجاء في رواية أخرى : (أنه لما قدم الشام استقبله الناس ، وهو على بعيره ، فقيل له ، لو ركبت برذوناً تلقى بع عظماء الناس ووجوههم ؟ فقال عمر - رضى الله تعالى عنه - لا أراكم ههنا ، إنما الأمر من ههنا - وأشار بيده إلى السماء - خلوا سبيل جملي) .
- 14- متابعة الآخرين له ، ووقوفهم بجانبه حتى يتمكن من التخلص من هذه الآفة .
- 15- محاسبة النفس أولاً بأول ، حتى يمكن الوقوف على العيوب وهي لا تزال في بداياتها فيسهل علاجها و الوقاية منها .
- 16- إدراك العواقب والآثار المترتبة على الإعجاب بالنفس ، فإنها ذات أثر فعال في علاج هذه الآفة و التحصن ضدها .
- 17- الاستعانة بالله - عز وجل - وذلك بواسطة الدعاء والاستغاثة و اللجوء إليه ، أن يأخذ الله بيده ، وأن يطهره من هذه الآفة ، وأن يقيه شر الوقوع فيها مرة أخرى ، إذ أن من استعان بالله أعانه الله ، وهذاه لصراطه المستقيم .
- 18- التأكيد على المسؤولية الفردية ، بغض النظر عن الأحساب والأنساب ، فإن ذلك له دور كبير في علاج النفس ، بل وحفظها من أن تقع مرة أخرى في آفة الإعجاب .

الآفة السادسة الغرور

والآفة السادسة التي يبتلى بها بعض العاملين ، وعليهم أن يعملوا جاهدين على التحرر منها ، وعدم الوقوع فيها مرة أخرى إنما هي : الغرور ، ولكي يكون حديثنا عن هذه الآفة واضح الأبعاد ، محدد الملامح و المعالم سنجعله يدور على النحو التالي :

أولاً : معنى الغرور :

لغة : يطلق الغرور في اللغة على عدة معان أهمها :
أ- الخداع سواء أكان للنفس أو للغير ، أو للنفس وللغير معاً ، نقول : غره ، يغرّه ، غروراً أي خدعه ، وغرّ نفسه يغرّها غروراً تعنى خدعها .
ومنه قوله تعالى { وما يعدم الشيطان إلا غروراً } {

ب- ما يؤدي إلى الغرور ، وما يوقع فيه ، قال الجوهرى ، و الغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا .
ومنه قوله سبحانه { يا أيها الناس إن وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } .
اصطلاحاً : أما في اصطلاح الدعاة أو العاملين فإن الغرور : هو إعجاب العامل بنفسه إعجاباً يصل إلى حد احتقار أو استصغار كل ما يصدر عن الآخرين بجانب ما يصدر عنه ، ولكن دون النيل من ذواتهم أو الترفع على أشخاصهم .
ولا شك أن من كان بهذه المثابة فهو مخدوع ، وتبعاً لذلك فإننا يمكن أن نفهم مدى التلاقي بين المعنى الاصطلاحي و المعنى اللغوي .

ثانياً : أسباب الغرور

ولما كان الغرور شدة الإعجاب بالنفس ، فإن أسبابه التي تؤدي إليه وبواعثه التي توقع فيه هي في جملتها أسباب الإعجاب بالنفس ويزاد عليها :

(1) إهمال النفس من التفتيش والمحاسبة :

إذ قد يكون السبب في الغرور إنما هو إهمال النفس من التفتيش والمحاسبة ذلك أن بعض العاملين قد يبتلى بالإعجاب بالنفس وإهماله نفسه من التفتيش والمحاسبة يتمكن الداء منه ويتحول إلى احتقار أو استصغار ما يقع من الآخرين بالإضافة إلى ما يقع منه وبذلك يصير مغروراً ولعل هذا هو السر في وصية الإسلام بالتفتيش في النفس ومحاسبتها أولاً بأول :
{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنتظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون }
(2) الإهمال أو عدم المتابعة والأخذ باليد من الآخرين :

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو الإهمال أو عدم المتابعة والأخذ باليد من الآخرين :
ذلك أن بعض العاملين قد يصاب بأفة الإعجاب بالنفس ويكون من ضعف الإرادة وخور العزيمة وفطور الهمة بحيث لا يستطيع التطهر بذاته من هذه الآفة وإنما لابد له من متابعة الآخرين ووقوفهم بجواره وأخذهم بيده وقد لا يلتفت الآخرين إلى ذلك فيقعون عن أداء دورهم وواجبهم وحينئذ تتمكن هذه الآفة من النفس وتتحول بمرور الزمن إلى غرور والعياذ بالله 0
ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على النصيحة حتى جعل الدين كله منحصراً فيها وراجعاً إليها : إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (الدين النصيحة) قلنا : لمن ؟ قال : الله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسميين وعامتهم)⁸² ولعله السر أيضاً في دعوته إلى التضامن والتعاون بين المسلمين : إذ يقول الله تعالى { وتعاونوا على البر والتقوى } ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : (المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورانه)

(3) الغلو أو التشدد في الدين :

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو الغلو أو التشدد في الدين ذلك أن بعض العاملين قد يقبل على منهج الله في غلو وتشدد وبعد فترة من الزمان ينظر حوله فيرى غيره من العاملين يسلكون المنهج الوسط فيظن لغفلته أو عدم إدراكه طبيعة هذا الدين أن ذلك منهم تفريط أو تضيق ويتمادى به هذا الظن إلى جد الاحتقار والاستصغار لكل ما يصدر عنهم بالإضافة إلى ما يقع منه وذلك هو الغرور ولعل ذلك هو بعض السر في دعوة الإسلام إلى الوسطية بل وتحذيره من الغلو أو التشدد في الدين :

إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم للرهط الذين عزموا على التبتل واعتزال الحياة : (أنتم قلتم كذا وكذا : أما والله إنني لأخشاكم الله وأتقاكم له لكنني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)⁸³ ويقول : (هلك المتنتعون)⁸⁴ قالها ثلاثاً يعنى : المتعمقين المجاوزين الحدود في أقوالهم (إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين) (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا 000 الحديث)⁸⁵

(4) التعمق في العلم لاسيما غرائب وشواذ المسائل مع إهمال العمل :

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو التعمق في العلم لاسيما غرائب وشواذ المسائل مع إهمال العمل : ذلك أن بعض العاملين قد يكون كل همه التعمق في العلم لاسيما غرائب وشواذ المسائل مع إهماله العمل وربما لاحظ أثناء طرح هذه المسائل غفلة بعض العاملين عنها وعدم إلمامهم بها إنما لأنها ثانوية لا يضر الجهل بها وإما لأنه لا يترتب عليها عمل فيخطر بباليه أن هؤلاء لا يتقنون من مسائل العلم شيئاً وإن أتقنوا فإنما هو قليل في جانب ما لديه من الغرائب والشواذ وما يزال هذا الخاطر يتردد في نفسه ويلح عليه حتى يتحول إلى احتقار واستصغار ما لدى الآخرين بالإضافة إلى ما عنده وذلك هو داء الغرور 0

⁸² الحديث أخرجه مسلم في الصحيح : كتاب الإيمان ، باب : بيان أن الدين النصيحة 74/1-75 رقم 55 ، وأبو داود في السنن ، كتاب : الأدب ، باب النصيحة 286/4 رقم 4944 من حديث تميم الداري - رضى الله عنه - مرفوعاً واللفظ لمسلم .

⁸³ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح 2/7 ، ومسلم في الصحيح ، كتاب النكاح 584/1 ، و النسائي في السنن كتاب النكاح باب النهي عن التبتل 49/6-50 ، وأحمد في المسند 241/3 ، 259 ، 285 كلهم من حديث أنس بن مالك - رضى الله عنه - مرفوعاً واللفظ للبخاري .

⁸⁴ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب العلم ، باب : هلك المتنتعون 2055/4 رقم 2670 من حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به .

⁸⁵ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الإيمان ، باب : الدين يسر 16/1 من حديث أبي هريرة - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به .

ولعل ذلك هو السر في دعوة الإسلام إلى أن يكون السعي في طلب العلم دائما حول النافع والمفيد إذ كان من دعائه صلى الله عليه وسلم (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها)⁸⁶ بل وفي تأكيده على أن يكون هذا العلم مقرونا بالعمل وإلا كان الهلاك والبوار إذ يقول الله سبحانه وتعالى : { يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون }

{ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون }
وإذ يقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم : (يجئ بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون : أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟ قال كنت آمرم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية)⁸⁷
(5) الوقوف عند الطاعات مع نسيان المعاصي والسيئات :

وقد يكون السبب في الغرور إنما هو الوقوف عند الطاعات مع نسيان المعاصي والسيئات ذلك أننا جميعا بشر وشأن البشر سوى النبيين الصواب والخطأ وإذا غفل العامل عن ذلك فإنه كثيرا ما يقف عند الطاعة أو الصواب في الوقت الذي ينسى فيه المعصية أو الخطأ وتكون العقوبة الإعجاب بالنفس المقرون باحتقار ما يقع فيه الآخرون إلى جانب ما يصدر عنه وهذا هو الغرور ولقد لفت المولى سبحانه وتعالى النظر إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث وهو يمدح صنفا من المؤمنين يؤدي الطاعة ويخاف أن يكون قد وقع منه ما يحول بينه وبين قبولها فقال : { إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون } تقول عائشة رضي الله تعالى عنها قلت يا رسول الله : (والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة) هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل ؟ قال : (لا يا بنت الصديق ولكنه الذي يصلى ويصوم ويتصدق وهو يخاف الله عز وجل)⁸⁸

كما لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى ذلك حين دعا إلى أن يكون التعويل بعد الفراغ من العمل على فضل الله ورحمته لا على العمل نفسه وإلا كان الغرور والضياح فقال : (لن ينجي أحدا منكم عمله) قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : (ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدا وروحوا وشئ من الدلجة والقصد تبلغوا)⁸⁹ وقد عبر عن ذلك كله بوضوح سيدنا عبد الله بن مسعود حين بين أثر تذكر الذنب ونسيانه على سلوك الإنسان فقال (إن المؤمن من يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به هكذا أي نحاه بيده ودفعه عنه)⁹⁰ .

(6) الركون إلى الدنيا :
وقد يكون السبب في الغرور هو الركون إلى الدنيا : ذلك أن بعض العاملين قد يفتن إلى أنه مبتلى بأفة الإعجاب بالنفس بيد أنه لركونه إلى الدنيا وانغماسه فيها ربما يعتريه الكسل فلا يستطيع أن يجمع همته لمداواة نفسه بل قد يأخذ في التسويف وتأخير التوبة وبمرور الزمن يتحول الإعجاب بالنفس إلى داء أكبر وأبعد ألا وهو الغرور وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث من خلال ذم الدنيا والتحذير منها إذا اتخذها الناس هدفا أو غاية فقال { اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما }

{ واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا } { إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون }

وقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة : إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد أخذ بعنان فرسه في سبيل الله وأشعت رأسه مغبرة قدماء إن كان في الحراسة كان في الحراسة

⁸⁶ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب : الذكر و الدعاء و التوبة والاستغفار ، باب : التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل 2088/4 من حديث زيد بن أرقم - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به ، بيد أنه زاد قبله : (اللهم إني أعوذ بك من العجز و الكسل و الجبن و البخل ، و الهرم و عذاب القبر ، اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها)

⁸⁷ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح كتاب بدء الخلق ، باب : صفة النار وأنها مخلوقة 147/4 ، ومسلم في الصحيح ، كتاب : الزهد و الرقائق ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهي عن المنكر ويفعله 2290/4-2291 رقم 2989 من حديث أسامة بن زيد - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعاً به واللفظ للبخاري .

⁸⁸ الحديث أخرجه الترمذى في السنن ، كتاب تفسير القرآن ، باب من سورة المؤمنون 327/5-328 رقم 3175 من حديث عائشة - رضى الله تعالى عنها - مرفوعاً به ، وعقب عليه بقوله : (وقد روى هذا الحديث عن عبد الرحمن بن سعيد ، عن أبي حازم ، عن أبي هريرة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - نحو هذا .

⁸⁹ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق ، باب القصد و المداومة على العمل 122/8 ، 123 ومسلم في الصحيح كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب لن يدخل الجنة أحد بعمله 2169/4 رقم 71-78 من حديث أبي هريرة وعائشة - رضى الله تعالى عنهما - مرفوعاً به وبنحوه واللفظ للبخاري

⁹⁰ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الدعوات ، باب التوبة 83/8-84 من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه - موقوفاً عليه ، وادعى بعضهم أنه مرفوع ، وهو وهم ، انظر فتح الباري 105/11

وإن كان في الساقفة كان في الساقفة إن استأذن لم يؤذى له وإن شفع لم يشفع)⁹¹ وقلما كان صلى الله عليه وسلم يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه :

(اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منها واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصرنا على من عادانا ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا تسلط علينا من لا يرحمنا)⁹² .

ولقد وعى سلف الأمة ما يجره الركود إلى الدنيا والاطمئنان إليها على المرء من وبال فأعرضوا عنها إلا بمقدار ما يتزودون منه للأخرة وجرى ذلك كثيرا على ألسنتهم يقول على رضى الله تعالى عنه :

(ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الآخرة مقبلة ولكل واحدة منهم بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل)⁹³ .

ويقول الحسن رحمه الله :-

(من نافسك في دينك فنافسه فيه ومن نافسك في دنياك فألقها في نحره)⁹⁴ .

ويصور بعضهم هذا الوعي وذلك الإحساس قائلا :

إن الله عبادا فطنا	طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا	أنها ليست لحى وطنا
جعلوه لجة واتخذوا	صالح العمال منها سفنا ⁹⁵

7- رؤية بعض ذوى الأسوة والقُدوة على حال دون الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها :-

وقد يكون السبب في الغرور إنما هي رؤية بعض ذوى الأسوة والقُدوة على حال دون الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها .

ذلك أن بعض ذوى الأسوة والقُدوة قد ينزلون لسبب أو لآخر عن الحال التي ينبغي أن يكونوا عليها من أخذ أنفسهم بالعزيمة في غالب الأحيان إلى حال أقل منها من أخذ أنفسهم بالرخص في بعض الأوقات .

وربما رأى ذلك من يحاول الإقتداء والتأسي بهم ولقطة رصيده من الفقه أو لعدم اكتمال تربيته يتوهم أو يظن أنهم بذلك دونه في العمل بمراحل ويظل هذا الوهم أو هذا الظن يلاحقه ويلح عليه حتى يتحول والعياذ بالله إلى الإعجاب بالنفس ثم الغرور .

ولعل ذلك هو بعض السر في دعوة الإسلام إلى البعد عن مواطن التهم من خلال بيان وجه حق في سائر التصرفات المباحة التي ربما تؤدى إلى سوء الظن :

عن صفية بنت حبي زوج النبي صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها أنها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد في العشر الأواخر من رمضان فتحدثت عنده ساعة ثم قامت تنقلب فقام النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها حتى إذا بلغت باب المسجد عند باب أم سلمة مر رجلان من الأنصار فسلما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم (على رسلكما : إنما هي صفية بنت حبي) فقالا : سبحان الله يا رسول الله وكبر عليهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الشيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدم وإنى خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا)⁹⁶ .

وصلى يزيد الأسود مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام شاب فلما صلى إذا رجلان لم يصليا في ناحية المسجد فدعا بهما فجئ بهما ترعد فرائصهما فقال : (ما منعكما أن تصليا معنا) ؟ قالا : قد صلينا في رحالنا فقال : لا تفعلوا إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الإمام ولم يصل فليصل معه فاتها له نافلة)⁹⁷ .

ولذا قال ابن دقيق العيد .

⁹¹ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الجهاد ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله 41/4-42 ، كتاب الرقائق : باب ما يتقى من فتنة المال 114/8-115 وابن ماجه في السنن ، كتاب الزهد ، باب في المكثرين 1385/2-1386 رقم 4135-4136 من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً به .

⁹² الحديث أخرجه الترمذى في السنن ، كتاب الدعوات ، باب منه 528/5 رقم 3502 من حديث ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما -

مرفوعاً به وعقب عليه بقوله : (هذا حديث حسن غريب)

⁹³ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الرقاق : باب في الأمل وطوله 110/8 من حديث على - موقوفاً عليه به .

⁹⁴ انظر إحياء علوم الدين 207/3

⁹⁵ الأبيات أوردها الإمام النووي في مقدمته لكتاب رياض الصالحين ص 2 دون أن يعزوها لأحد

⁹⁶ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب الاعتكاف ، باب هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد ؟ 64/3-65 ومسلم في

الصحيح ، كتاب السلام : باب بيان أنه يستحب لمن روى خالياً بامرأة وكانت زوجة أو محرماً له ... 1712/4-1713 رقم 23 ، 24 ، 25

من حديث صفية - رضى الله تعالى عنها - مرفوعاً به

⁹⁷ الحديث أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب الصلاة باب فيمن صلى في منزله ، ثم أدرك الجماعة يصلى معهم 136/1 و الترمذى في

السنن ، كتاب الصلاة باب ما جاء في الرجل يصلى وحده ثم يدرك الجماعة 424/1-426 رقم 219 ، وقال عتبة : حديث يزيد بن الأسود

حديث حسن صحيح ، و النسائي في السنن : كتاب الإمامة باب إعادة الصلاة مع الجماعة بعد صلاة الرجل لنفسه 87/2 من حديث يزيد بن

الأسود - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به .

(وهذا أي التحرز من كل ما يوقع في التهم متأكد في حق العلماء ومن يقتدي بهم فلا يجوز لهم أن يفعلوا فعلا يوجب سوء الظن بهم وإن كان لهم فيه مخلص لأن ذلك سبب إلى إبطال الانتفاع بعلمهم وقد قالوا : أنه ينبغي للحاكم أن يبين وجه الحق للمحكوم عليه إذا خفي عليه وهو من باب نفي التهمة بالنسبة إلى الجور في الحكم).

8- مبالغة بعض العاملين في إخفاء ما يصدر عنهم من أعمال :

وقد يكون السبب في الغرور إنما هي مبالغة بعض العاملين في الإخفاء ما يصدر عنهم من أعمال :
ذلك أن بعض العاملين قد يحملهم الحرص على تحقيق معنى الإخلاص إلى أن يبالغ في إخفاء ما يصدر عنه من عمل فلا يظهر منه إلا أقل القليل وربما لا حظ أو رأي بعض من لم تتضح تربيتهم بعد هذا الذي يظهر فقط فيتوهم أن عمل هؤلاء قليل في جنب عمله ويظل هذا الوهم يساوره ويلح عليه حتى يقع في أحبولة الإعجاب بالنفس ثم الغرور .

ولعل دعوة الإسلام إلى إبراز الأعمال الطيبة والتعرض بها للناس فوق كونها تحريضا لهم على الإقتداء والتأسي فيها إشارة إلى هذه السبب أو إلى هذا الباعث مع بيان طريق الخلاص منه : إذ يقول الله تعالى:

{ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم..... }.

وإذا يقول النبي صلى الله عليه وسلم _ :

(صلاة الجماعة تفضل صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة) .

(من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شئ الحديث)⁹⁸

9- تفرقة بعض ذوي الأسوة والقدوة في معاملة المتأسين أو المقتدين :

وقد يكون السبب في الغرور إنما هي : تفرقة بعض ذوي الأسوة والقدوة في معاملة المتأسين أو المقتدين :
ذلك أن بعض ذوي الأسوة والقدوة قد تغيب عن بالهم الأسلوب الأمثل في معاملة المتأسين أو المقتدين فتراهم يقربون البعض ويفسحون صدورهم له ويتغاضون عن هفواته وأخطائه في الوقت الذي يعرضون فيه عن البعض الآخر ويضيقون به ذرعا ويفتحون عيونهم على أدنى الهفوات والزلات التي تقع منه وربما كان في الصنف الأول من لم تكتمل تربيتهم ولم تتضح شخصائهم بعد ويشاهد هذه الفرقة في المعاملة فيخطر بباله أنها نابعة مما لديه من إمكانيات ومواهب لا توجد عند الآخرين ويظل هذا الخاطر يلح عليه حتى يكون الإعجاب بالنفس ثم الغرور .

ولقد سد النبي صلى الله عليه وسلم هذا الباب من خلال حرصه على معاملة أصحابه بالسوية إذ كان من هديه صلى الله عليه وسلم كما يقول واصفوه :

(أن يعطى كل جلسائه نصيبه ولا يحسب جلسيه أن أحد أكرم عليه منه)⁹⁹.

ويوم أن كانت الحاجة تلجؤه صلى الله عليه وسلم إلى التفرقة في المعاملة ولا يفهم جلسيه الحكمة من وراء ذلك يبين صراحة إذ يروى سعد بن أبي وقاص فيقول :

(أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وأنا جالس فترك رجلا هو أعجبهم إلى فقلت يا رسول الله مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : (أو مسلما) فسكت قليلا ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقاتلي فقلت : مالك عن فلان فو الله إني لأراه مؤمنا وعاد صلى الله عليه وسلم ثم قال : (يا سعد إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلى منه خشية أن يكبه الله في النار)¹⁰⁰

⁹⁸ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة 704/2-706 رقم 1017 من حديث جرير بن عبد الله البجلي مرفوعاً به وبنيه .

⁹⁹ الحديث جزء من حديث مطول أخرجه الترمذ في الشمائل المحمدية ، باب ما جاء في خلق الرسول - صلى الله عليه وسلم -18-23 من حديث سفيان بن وكيع عن جميع بن عمير بن عبد الرحمن ، عن رجل من بنى تميم من ولد أبي هالة ، عن ابن أبي هالة عن الحسن بن علي بن أبي طالب رضى الله عنه به ، وإسناده ضعيف لضعف سفيان وجميع وجهالة الرجل الذي من بنى تميم ، إلا أن له شواهد أخرى تجبر هذا الضعف وترفعه إلى درجة المقبول .

¹⁰⁰ الحديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الإيمان : باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة 13/1-14 من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه مرفوعاً به .

الآفة السابعة التكبر

والآفة السابعة التي تصيب بعض العاملين وهي ذات أثر خطير في حياتهم وعليهم أن يجاهدوا أنفسهم للتطهر منها بل وأن تصير لديهم حصانة ضدها إنما هي : آفة التكبر ، وحتى يكون حديثنا عن هذه الآفة واضحا محدد الأبعاد والمعالم فإننا سنتناولها على النحو التالي :

أولا معنى التكبر :

لغة : التكبر في اللغة هو التعظم أي إظهار العظمة قال صاحب اللسان : (والتكبر والاستكبار : التعظم ومنه قوله تعالى { سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق }
أي : أنهم يرون أنهم أفضل الخلق وأن لهم من الحق ما ليس لغيرهم)¹⁰¹
اصطلاحاً : أما في اصطلاح الدعاة أو العاملين فإن التكبر هو إظهار العامل إعجابه بنفسه بصورة تجعله يحتقر الآخرين في أنفسهم وينال من ذواتهم ويترفع عن قبول الحق منهم جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لا يدجل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال : أن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس)¹⁰².

ثانيا : الفرق بين التكبر وبين العزة :

والفرق بين التكبر والعزة واضح إذ التكبر ترفع بالباطل والعزة ترفع بالحق أو أن التكبر : كران النعمة وجحودها والترفع : اعتراف بالنعمة وتحدث بها على نحو ما تضمنه الحديث المذكور آنفاً 0

ثالثا : أسباب التكبر :

ولما كان التكبر شدة الإعجاب بالنفس المؤدية إلى احتقار الناس والترفع عليهم فإن أسبابه التي تؤدي عليه وبواعثه التي ينشأ منها هي بعينها : أسباب وبواعث الإعجاب بالنفس والغرور إذا أهملت ولم تعالج وهي لا تزال في مهدها أو في أوانها ويزاد عليها :

(1) مبالغة الآخرين في التواضع :

فقد يكون السبب أو الباعث على التكبر : إنما هي مبالغة الآخرين في التواضع وهضم النفس ذلك بعض الناس قد تحملهم المبالغة في التواضع على ترك التجمل والزينة في اللباس ونحوه وعلى عدم المشاركة بفكر أو برأي في أي أمر من الأمور بل والعزوف عن التقدم للقيام بمسؤولية أو تحمل أمانة وقد يرى ذلك من لم يدرك الأمور على حقيقتها فيؤسوس له الشيطان وتزين له نفسه أن عزوف الآخرين عن كل ما تقدم إنما هو للفقر أو لذات اليد ، وإلا لما تأخروا أو توانوا لحظة ، وتظل مثل هذه الوسواس وتلك التزيينات تلح عليه وتحيط به من هنا وهناك حتى ينظر إلى الآخرين نظرة ازدراء وسخرية في الوقت الذي ينظر فيه إلى نفسه نظرة إكبار وإعظام وقد لا يكتفي بذلك ، بل يحاول إبراز هفي كل فرصة تتاح له أو في كل مناسبة تواتيه وهذا هو التكبر .

وقد لفت القرآن الكريم والسنة النظر إلى هذه السبب أو إلى هذا الباعث من خلال دعوتها إلى التحدث بنعمة الله تعالى إذ يقول سبحانه :

{ وأما بنعمة ربك فحدث }.

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم :-

(إن الله جميل يحب الجمال)

(واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا).

¹⁰¹ انظر لسان العرب 129/5 مادة (كبر)

¹⁰² الحديث أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه 93/1 رقم 147 من حديث عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - مرفوعاً به ، ومعنى (بطر الحق) إنكار الحق ودفعه ترفعاً وتجبراً ، أما (غمط الناس) فإن معناه : احتقارهم انظر النهاية في غريب الحديث والأثر 83/1 ، 171/3

وعن مالك بن نضلة الجشمي قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في ثوب دون فقال : ألك مال ؟ قال : نعم قال : من أي المال ؟ قال : قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيول والرقيق قال : فإذا أتاك اله مالا فليز أتركه عليك وكرامته ¹⁰³ وقد فهم السلف ذلك فحرصوا على التحدث بما يفيض الله عليهم من نعم وعابوا على من يغفل هذا الأمر من حسابه قال الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما : (إذا أصبت خيراً أو عملت خيراً فحدث به الثقة من إخوانك) ¹⁰⁴ وقال بكر بن عبد الله المزني : (من أعطى خيراً فلم ير عليه سمي بغض الله معادياً لنعم الله)

2- اختلال القيم أو معايير التفاضل عند الناس :

وقد يكون السبب أو الباعث على التكبر غمما هو اختلال القيم أو معايير التفاضل عند الناس ، ذلك أن الجهل قد يسود في الناس إلى حد اختلال القيم أو معايير التفاضل عندهم ، فتراهم يفضلون صاحب الدنيا ، ويقدمونه حتى لو كان عاصياً أو بعيداً عن منهج الله ، في الوقت الذي يحتقرون فيه البائس المسكين الذي أدارت الدنيا ظهرها له حتى وإن كان طائعاً ملتزماً بهدي الله ، ومن يحيا في هذا الجو يتأثر به لا محالة - إلا من رحم الله - ويتجلى هذا التأثير في احتقار الآخرين و الترفع عليهم . وقد ألمح القرآن و السنة إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث من خلال رفض هذا المعيار ، ووضع المعيار الصحيح مكانه ، إذ يقول الله سبحانه وتعالى - :

{ أيعسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون } .
{ وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين ، قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى ، إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون } .
وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه ، وقد مرّ عليه رجل : ما تقولون في هذا الرجل ؟ قالوا : رأيك في هذا ، نقول هو من أشرف الناس ، هذا حري إن خطب أن يخطب ، وإن شفع أن يشفع ، وإن قال أن يسمع لقوله ، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ، ومرّ رجل آخر فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هذا ؟ قالوا : نقول والله يا رسول الله ، هذا من فقراء المسلمين ، هذا حري إن خطب لم ينكح ، وإن شفع لا يشفع ، وإن قال لا يسمع لقوله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (لهذا خير من ملء الأرض مثل هذا) ¹⁰⁵
3- مقارنة نعمته بنعمة الآخرين ونسيان المنعم :

وقد يكون السبب في التكبر إنما هو مقارنة نعمته بنعمة الآخرين ونسيان المنعم ، ذلك أن من الناس من يحبوه الله - لحكمة يعلمها - بنعم يحرم منها الآخرين ، كالصحبة أو الزوجة أو الولد أو المال أو الجاه أو المركز أو العلم أو حسن الحديث أو الكتابة أو التأليف أو القدرة على التأثير ، أو كثرة الانتصار والأتباع ... الخ ، وتحت بريق وتأثير هذه النعم ينسى المنعم ، ويأخذ في الموازنة أو المقارنة بين نعمته ونعمة الآخرين فيراهم دونه فيها ، وحينئذ يحتقرهم ويزدرهم ويضع من شأنهم وهذا هو التكبر .
وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى هذا السبب ، أو إلى هذا الباعث من خلال حديثه عن قصة صاحب الجنيتين فقال :
{ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً * كلتا الجنيتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً }
4- ظن دوام النعمة وعدم التحول عنها :

وقد يكون السبب في التكبر إنما هو ظن دوام النعمة وعدم التحول عنها ، ذلك أن بعض الناس قد تأتيه النعمة من الدنيا ، وتحت تأثيرها وبريقها يظن دوامها أو عدم التحول عنها ، وينتهي به هذا الظن إلى التكبر أو الترفع أو التعالي على عباد الله ، كما قال صاحب الجنيتين لصاحبه :

{ ... ما أظن أن تبديد هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً } ، وكما قال الله عن الإنسان :
{ ... ولئن أدقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما أظن الساعة قائمة ، ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى } .
5- السبق بفضيلة أو أكثر من الفضائل :

وقد يكون السبب في التكبر إنما هو السبق بفضيلة أو أكثر من الفضائل ، كالعلم أو الدعوة أو الجهاد أو التربية أو نحو ذلك .
ذلك أن بعض الناس قد يحبهم القدر بفضيلة السبق في بعض خصال الخير ، وإذا بهم ينظرون إلى اللاحق نظرة ازدراء واحتقار ، ولسان حالهم أو مقالهم ينطق في استكبار : ومن هؤلاء الذين يعملون الآن ؟ لقد كانوا عدماً أو في حكم العدم يوم أن مشينا على الأشواك ، وتحملنا مشاق ومتاعب الطريق ، حتى عبدناهم لهم ولغيرهم من الناس .
وقد لفت المولى سبحانه إلى هذا السبب أو إلى هذا الباعث حين بين : أن السبق لا يعتبر ، ولا قيمة له إلا إذا كان معه الصدق ، فقال :

{ و السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم } .

¹⁰³ الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب اللباس باب في غسل الثوب وفي الخلقان 51/4 رقم 4063 من حديث أبي الأحوص عن أبيه مرفوعاً به

¹⁰⁴ انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 102/20

¹⁰⁵ الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن كتاب الزهد ، باب فضل الفقراء 1379/2 - 1380 رقم 4120 من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه - مرفوعاً به

{ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون } إلى قوله { ربنا إنك رؤوف رحيم } .

ولم ينظر المولى سبحانه إلى سبق هؤلاء إلا من خلال ما قدموه من الأدلة على صدقهم وثباتهم على الحق ، مثل : الهجرة و النصره واتباع سبيل المؤمنين ، وحسن الصلة بالله ومعرفة الفضل لذويه ... وهلم جراً .

وهكذا صار مبدأ الإسلام : (ليس الفضل لمن سبق ، بل لمن صدق) وصدق الله :

{ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً }

6- الغفلة عن الآثار المترتبة على التكبر :

وقد يكون السبب في التكبر ، إنما هو الغفلة عن الآثار الخطيرة و العواقب المهلكة المترتبة على التكبر في الأرض بغير الحق ، ذلك أن من غفل عن الآثار الضارة لعلة من العلل ، أو آفة من الآفات ، فإنه يصاب بها

وتتمكن من نفسه ، ولا يشعر بذلك إلا بعد فوات الأوان ، وبعد الاستعصاء على القلع و العلاج .

رابعاً : مظاهر التكبر :

هذا وهناك مظاهر للتكبر يعرف أو يستدل عليه بها ، نذكر منها :

1- الاختيال في المشية مع لي صفحة العنق وتصغير الخد ، قال تعالى { ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله } ، { والله لا يحب كل مختال فخور } ، { ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور } .

2- الإفساد في الأرض عندما تتاح الفرصة مع رفض النصيحة ، والاستكفاف عن الحق ، قال تعالى : { ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث و النسل والله لا يحب الفساد * وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم ... }

3- التقعر في الحديث ، يقول النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - :

(إن الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه ، كما

تخلل البقرة بلسانها)¹⁰⁶ ، (ألا أنبئكم بشراركم ؟ فقال : هم الثرثارون المتشدقون)¹⁰⁷

4- إسبال الإزار بنية الاختيال و التكبر ن يقول النبي - صلى الله عليه وسلم - :

(من جر ثوبه خيلاء لم ينظر صلى الله عليه وسلم إليه يوم القيامة) قال أبو بكر : إن أحد جانبي إزاري يسترخي ، إني لأتعاهد ذلك منه ، قال : لست ممن يفعله خيلاً¹⁰⁸

5- محبة أن يسعى الناس إليه ، ولا يسعى هو إليهم ، وأن يمثلوا له قياماً

إذا قدم أو مر بهم ، وقد جاء في الحديث : (من أحب أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)¹⁰⁹

6- محبة التقدم على الغير في المشي أو في المجلس أو في الحديث أو نحو ذلك .

خامساً آثار التكبر :

وللتكبر في الأرض بغير الحق آثار ضارة ، وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي :

على العاملين :

1- الحرمان من النظر والاعتبار :

أي أن الأثر الأول الذي يتركه التكبر على العاملين : إنما هو الحرمان من النظر والاعتبار ، ذلك أن المتكبر - بترفعه وتعاليه على عباد الله - قد اعتدى من حيث يدرى أو لا يدرى على مقام الألوهية ، ومثل هذا لا بد له من عقوبات ، وأول هذه العقوبات : الحرمان من النظر والاعتبار فتراه يمر على آيات الله المبتوثة في النفس وفي الكون ، وهو في إعراض تام عنها { وكأين من آية في السموات والأرض

¹⁰⁶ الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب ، باب ما جاء في المتشدد في الكلام 301/4-302 رقم 5005 عن محمد بن سنان الباهلي العوفي ، و الترمذي في السنن ، كتاب الاستئذان ، باب ما جاء في الفصاحة و البيان 141/5 رقم 2853 عن محمد بن عبد الأعلى ، عن عمر بن علي المقدمي ، وأحمد في المسند (الفتح الرباني 271/19) عن يزيد كلهم عن نافع عن بن عمر ، عن بشر بن عاصم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعاً به و الذي يتخلل بلسانه هو الذي يتشدد في الكلام ، ويفخم به لسانه ويلفه كما تلف البقرة الكلاً بلسانها ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر .

¹⁰⁷ الحديث أخرجه الإمام أحمد في المسند (الفتح الرباني 271/19 من حديث أبي هريرة مرفوعاً به ، وعقب عليه صاحب الفتح الرباني بقوله : (لم أقف عليه بهذا اللفظ لغير الإمام أحمد من حديث أبي هريرة وسنده جيد وله شاهد من حديث أبي ثعلبة الخشني في المسند أيضاً 76/19 .

¹⁰⁸ الحديث أخرجه أبو داود في السنن ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزار 56/4-57 رقم 4085 عن سالم بن عبد الله ، عن أبيه مرفوعاً به .

¹⁰⁹ الحديث أخرجه أبو داود في السنن كتاب الأدب ، باب في قيام الرجل للرجل 258/4 رقم 5229 من حديث معاوية بن أبي سفيان مرفوعاً به .

يمرون عليها وهم عنها معرضون { ، ومن حرم النظر والاعتبار ، كانت عاقبته البوار والخسران المبين ، لأنه سيبقى مقيماً على عيوبه وأخطائه ، غارقاً في أحواله ، حتى

تنتهي الحياة ، كما عقب النبي - صلى الله عليه وسلم حين قرأ الآيات الأخيرة من سورة آل عمران { إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ... } إلى قوله سبحانه ففتنا عذاب النار { عقب بقوله : (ويل لمن قرأ هذه الآيات ثم لم يتفكر فيها)¹¹⁰ وقد صرح المولى - سبحانه وتعالى - بهذا الأثر في قوله : { سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق ... } .

2- القلق والاضطراب النفسي :

وأما الأثر الثاني الذي يتركه التكبر على العاملين ، فإنما هو القلق والاضطراب النفسي ، ذلك أن المتكبر يحب - إشباعاً لرغبة الترفع والتعالي أن يحنى الناس رؤوسهم له ، وأن يكونوا دوماً في ركابه ، ولأن أعزة الناس وكرامهم يابون ذلك ، بل ليسوا مستعدين له أصلاً ، فإنه يصاب بخيبة أمل ، تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي ، هذا فضلاً عن أن اشتغال هذا المتكبر بنفسه يجعله في إعراض تام عن معرفة الله وذكره ، وذلك له عواقب أدهاها في هذه الدنيا القلق والاضطراب النفسي .

وصدق الله إذ يقول :

{ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ... }

{ ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً ... }

3- الملازمة للعيوب والنقائص :

وأما الأثر الثالث الذي يتركه التكبر على العاملين ، فإنما هي ملازمة العيوب والنقائص ، ذلك أن التكبر لظنه أنه بلغ الكمال في كل شئ لا يفتش في نفسه ، حتى يعرف أبعادها ومعالمها ، فيصلح ما هو في حاجة منها إلى إصلاح ، ولا يقبل كذلك نصحاً أو توجيهاً أو إرشاداً من الآخرين ، ومثل هذا يبقى غارقاً في عيوبه ونقائصه ، ملازماً لها إلى أن تنقضي الحياة ، ويدخل النار مع الداخلين :

{ قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا }

{ بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون }

4- الحرمان من الجنة :

وأما الأثر الرابع الذي يتركه التكبر على العاملين ، فإنما هو الحرمان من الجنة ، وذلك أمر بدهي ، فإن من يعتدي على مقام الألوهية ، ويظل مقيماً على عيوبه وردائله ، ستنهي به الحياة حتماً وما حصل خيراً يستحق به ثواباً أو مكافأة فيحرم الجنة مؤبداً أو مؤقتاً ، وصدق الله ورسوله إذ يقول الحق في الحديث القدسي :

(الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم)¹¹¹ ، وإذ يقول النبي - صلى الله عليه وسلم :

(لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثال ذرة من كبر ..)¹¹²

(ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ متكبر)¹¹³ .

على العمل الإسلامي :

ومن آثاره على العمل الإسلامي :

1- قلة كسب الأنصار بل والفرقة والتمزق :

¹¹⁰ الحديث جزء من حديث طويل أورده بن كثير في تفسيره 440/1-441 من طريقين عن عطاء الأولى : بلفظ : انطلقت أنا وابن عمر ، وعبيد بن عمير إلى عائشة - رضى الله تعالى عنها - فدخلنا عليها ، وبيننا وبينها حجاب ، فقالت يا عبيد : ما يمنعك من زيارتنا ؟ قال : قول الشاعر : (زر غياً تزد حباً) فقال بن عمر : ذرنا ، أخبرينا بأعجب ما رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت ، وقالت : (كل أمره كان عجباً ، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي ثم قال : 0 ذريني أتعبد لربي عز وجل ، قالت فقلت : والله إنني لأحب قربك ، وإنني أحب أن تعبد ربك ، فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء ثم قام يصلي ، فبكي حتى ابتلت لحيته ، ثم سجد فبكي حتى بل الأرض ، ثم اضطجع على جنبه فبكي ، حتى إذا أتى بلال يؤذنه بصلاة الصبح قالت : فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : وبحك يا بلال وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل الله علي في هذه الليلة { إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب } ثم قال : (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) و الطريق الأخرى بنحوه ، ثم عزاها - أي ابن كثير - إلى ابن مردويه ، وعبد بن حميد ، وابن أبي حاتم وابن حبان .

¹¹¹ الحديث أخرجه ابن ماجه في السنن كتاب الزهد باب البراءة من الكبر والتواضع 1397/2 رقم 4174 من حديث أبي هريرة مرفوعاً به

¹¹² الحديث أخرجه مسلم في الصحيح ، كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه 93/1 رقم 149 من حديث ابن مسعود مرفوعاً به .

¹¹³ الحديث شطر من حديث أخرجه البخاري في الصحيح : كتاب الأدب ، باب الكبر 7/ من حديث حارثة بن وهب الخزاعي مرفوعاً والجواظ وهو الجموع المنوع

ذلك أن القلوب جبلت على حب من ألان لها الجانب ، وخفض لها الجناح ، ونظر إليها من دون لا من عل ، أما من ترفع عليها واحتقرها أو ازدراها ونال منها ، فإنها تبغضه وتنفر منه ، بل وتحاول الابتعاد عنه ، وتكون العاقبة خواء ذات اليد من الأنصار من ناحية ، ووقوع الفرقة و التمزق بين من هو نصير وظهير بالفعل من ناحية أخرى .

ويوم ينتهي الأمر بالعمل الإسلامي إلى انعدام النصير من الخارج ووقوع الفرقة و التمزق من الداخل ، فإنه يسهل ضربه ، أو على الأقل إجهاضه فلا يوتى ثمره إلا بعد تكاليف كثيرة وزمن طويل .

وقد لفت القرآن الكريم النظر إلى هذا الأثر ، وهو يتحدث عن المنافقين فقال : { ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون } . وكذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ، ولا يبغي أحد على أحد ¹¹⁴ .

2- الحرمان من العون والتأييد الإلهي :

ذلك أن الحق سبحانه مضت سنته أنه لا يعطى عونه وتأييده ، إلا لمن هضموا نفوسهم حتى استخرجوا حظ الشيطان من نفوسهم بل حظ نفوسهم من نفوسهم ، و المتكبرون قوم كبرت نفوسهم ، ومن كانت هذه

صفته ، فلا حق له في عون أو تأييد إلهي ، ولعل ذلك هو المفهوم من قوله تعالى { ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ... } حيث ربط نصره لهم بحالهم التي كانوا عليها من المسكنة و التواضع وهضم النفس ، وكان هذه الحال إذا انعدمت أو غابت غاب معها العون والتأييد سادساً .

علاج التكبر :

هذا وعلاج التكبر - بحيث تطهر منه النفس ، ولا يعود إليها مرة أخرى - إنما يكون باتباع الأساليب و الوسائل التالية :

1- تذكير النفس بالعواقب والآثار المترتبة على التكبر ، سواء كانت عواقب ذاتية أو متصلة بالعمل الإسلامي ، وسواء كانت دنيوية أو أخروية على النحو الذي قدمنا ، فلعن هذا التذكير يحرك النفس من داخلها ، ويحملها على أن تتوب ، وتتدارك أمرها قبل ضياع العمر وفوات الأوان .

2- عيادة المرضى ، ومشاهدة المحتضرين وأهل البلاء وتشجيع الجنائز ، وزيارة القبور ، فلعن ذلك أيضاً يحركه من داخله ، ويجعله يرجع إلى ربه بالإخبات ، و التواضع .

3- الانسلاخ من صحبة المتكبرين ، والارتقاء في أحضان المتواضعين المخبتين ، فربما تعكس هذه الصحبة بمرور الأيام شعاعها عليه ، فيعود له سناؤه ، وضيأوه الفطري كما كان عند ولادته .

4- مجالسة ضعاف الناس وفقرائهم ، وذوى العاهات منهم ، بل ومواكلتهم ومشاربتهم ، كما كان يصنع النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه الكرام ، وكثير من السلف ، فإن هذا مما يهذب النفس ويجعلها تفلح عن غيها ، وتعود إلى رشدتها .

5- التفكير في النفس ، وفي الكون ، بل وفي كل النعم التي تحيط به من أعلاه إلى أدناه ، من مصدر ذلك كله ؟ ومن ممسكه ؟ وبأي شيء استحقه العباد ؟ وكيف تكون حاله لو سلبت منه نعمة واحدة فضلاً عن باقي النعم ؟؟؟ فإن ذلك التفكير لو كانت معه جدية ، يحرك النفس ويجعلها تشعر بخطر ما هي فيه ، إن لم تبادر بالتوبة والرجوع إلى ربها .

6- النظر في سير وأخبار المتكبرين ، كيف كانوا ؟ وإلى أي شيء صاروا ؟ من إبليس و النمرود إلى فرعون ، إلى هامان ، إلى قارون ، إلى أبي جهل ، إلى أبي بن خلف ، إلى سائر الطغاة و الجبارين و المجرمين ، في كل العصور و البيئات فإن ذلك مما يخوف النفس ويحملها على التوبة والإقلاع ، خشية أن تصير إلى نفس المصير ، وكتاب الله - عز وجل - وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وكتب التراجم و التاريخ خير ما يعين على ذلك .

7- حضور مجالس العلم التي يقوم عليها علماء ثقات نابھون ، لاسيما مجالس التذكير و التزكية ، فإن هذه المجالس لا تزال بالقلوب حتى ترق وتلين وتعود إليها الحياة من جديد .

8- حمل النفس على ممارسة بعض الأعمال التي يتأفف منها كثير من الناس ممارسة ذاتية ما دامت مشروعة ، كأن يقوم هذا المتكبر بشراء طعامه وشرابه وسائر ما يلزمه بنفسه ، ويحرص على حمله

و المشي به بين الناس ، حتى لو كان له خادم ، على نحو ما كان يصنع النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحبه و السلف ، فإن هذا يساعد كثيراً في تهذيب النفس وتاديبها ، و الرجوع بها إلى سيرتها الأولى الفطرية ، بعيداً عن أي التواء أو اعوجاج .

9- الاعتذار لمن تعالى وتطاول عليهم بسخرية أو استهزاء ، بل ووضع الخد على التراب وإصافه به ، وتمكينه من القصاص على نحو ما صنع أبو ذر مع بلال لما عاب عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - تعبيره بسواد أمه .

10- إظهار الآخرين بنعمة الله عليهم ، وتحديثهم بها - لاسيما أمام المستكبرين - علهم يثوبون إلى رشدهم وصوابهم ، ويتوبون ويرجعون إلى ربهم ، قبل أن يأتيهم أمر الله .

11- التذكير دوماً بمعايير التفاضل و التقدم في الإسلام :

{ إن أكرمكم عند الله أتقاكم }

(كلكم بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخرون بأبائهم ، أو ليكونن أهون على الله - تعالى - من الجعلان) ¹¹⁵

¹¹⁴ الحديث أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها 2198/4-2199 رقم 2865 (64) من حديث عياض بن حمار مرفوعاً

12- المواظبة على الطاعات : فإنها إذا واطب عليها ، وكانت متقنة لا يراد بها إلا وجه الله ، طهرت النفس من كل الرذائل ، بل زكّتها

الفهرس

الموضوع	الصفحة
آفات على الطريق	5
الآفة الأولى : الفتور	9
الفتور لغة واصطلاحاً	9
أسبابه	10
آثاره	23
علاجه	25
الآفة الثانية : الإسراف	35
أولاً : معنى الإسراف	35
ثانياً : أسباب الإسراف	35
ثالثاً : آثار الإسراف	43
على العاملين	44
على العمل الإسلامي	48
رابعاً : الطريق لعلاج الإسراف	48
الآفة الثالثة : الاستعجال	57
أولاً : معنى الاستعجال	57
ثانياً : نظرة الإسلام إلى الاستعجال	58
ثالثاً : مظاهر الاستعجال	59
رابعاً : آثار الاستعجال	59
خامساً : أسباب الاستعجال	63
سادساً : علاج الاستعجال	76
سابعاً : الاستعجال ومنهج الحركة الإسلامية المعاصرة	80
ثامناً : الداعية بين الفتور والاستعجال	81
الآفة الرابعة : العزلة أو التفرد	85
أولاً : معنى العزلة أو التفرد	85
ثانياً : أسباب العزلة أو التفرد	85
ثالثاً : آثار العزلة أو التفرد	100
على العاملين	100
على العمل الإسلامي	108
رابعاً : الطريق للخلاص و الوقاية من العزلة	110
الآفة الخامسة : الإعجاب بالنفس	117
أولاً : معنى الإعجاب بالنفس	117
ثانياً : أسباب الإعجاب بالنفس	118

¹¹⁵ الحديث أورده ابن كثير في تفسيره 217/4 من حديث حذيفة وعزاه الى أبي بكر البزار - عقب عليه بقوله : " لا نعرفه عن حذيفة إلا من هذا الوجه "

128	ثالثاً : آثار الإعجاب بالنفس
128	على العاملين
132	على العمل الإسلامي
133	رابعاً : مظاهر الإعجاب بالنفس
141	الآفة السادسة : الغرور
141	أولاً : معنى الغرور
142	ثانياً : أسباب الغرور
158	الآفة السابعة : التكبر
158	أولاً : معنى التكبر
160	ثانياً : الفرق بين التكبر وبين العزة
160	ثالثاً : أسباب التكبر
167	رابعاً : مظاهر التكبر
169	خامساً : آثار التكبر
169	على العاملين
172	على العمل الإسلامي
174	سادساً : علاج التكبر
179	الفهرس

آفات على الطريق

الجزء الثاني

دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع المنصورة ش.م.م

آفات على الطريق

بسم لله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى آله وأصحابه والسالكين سبيله والداعين بدعوته إلى يوم الدين بعد

فإن توضيح معالم الطريق أمام العاملين الفارين بدينهم إلى ربهم كي يعدوا لكل أمر عدته يأخذوا لكل شئ أهبتة فلا ينقطعوا ولا يتوانوا ولا يتأخروا عن ركب النجاة ضرورة لا مفر منها ولا محيص عنها توجبها الدعوة إلى الله والجهد من أجل التمكن لدينه في الأرض . ولعل من أهم هذه المعالم : أن هناك آفات يمكن أن يصاب بها بعض العاملين بل قد تصيبهم بالفعل فتقعدهم عن أداء دورهم والقيام بواجبهم .

وقد استعرضنا في الجزء الأول من الكتاب سبعة من هذه الآفات وهي :

- الفتور - الإسراف - الاستعجال - العزلة - الإعجاب بالنفس - الغرور - التكبر

ونستعرض في هذا الجزء (الثاني) من الكتاب سبعة آخر من الآفات هي :

الرياء أو السمعة - واتباع الهوى - و التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة - وضيق الأفق أو قصر النظر ، وضعف أو تلاشى الالتزام - وعدم التثبث أو التبين ، و التفریط في عمل اليوم و الليلة .
ويطيب لنا في هذا المقام : أن نعرض لهذه الآفات بشيء من التحليل و البيان كي يحذرنا العاملون ويتطهروا منها .
وعلى الله قصد السبيل

أبو عبد الرحمن

الآفة الثامنة - الرياء أو السمعة

والآفة الثامنة التي يبتلى بها بعض العاملين والتي تعد من أخطر الآفات وأشدّها فتكا بهم وعليهم أن يجاهدوا أنفسهم فوراً للتخلص والتطهر منها وإلا ضلّ سعيهم في الدنيا والآخرة إنما هي : الرياء أو السمعة .
ولكي يكون لدينا تصور واضح أو قريب من الواضح عن هذه الآفة وآثارها وسبيل الخلاص منها فإننا سنتناولها على النحو التالي:

أولاً : مفهوم الرياء أو السمعة :

الرياء والسمعة لغة : الرياء في اللغة مشتق من الروية تقول : أ رأيت الرجل : إذا أظهر عملاً صالحاً ليبراه الناس ومنه قوله تعالى: { يرأون ويمنعون الماعون } { بطراً ورئاء الناس }
والسمعة مشتقة من سمع يقول : سمع الناس بعمله أي أظهره لهم بعد أن كان سراً .

الرياء والسمع اصطلاحاً : أما مفهوم الرياء أو السمعة في اصطلاح الدعاة وعلماء السلوك والأخلاق : فهو إطلاع المسلم الناس على ما يصدر منه من الصالحات طلباً للمنزلة والمكانة عندهم أو طمعاً في دنياهم فإن وقعت أمامهم ورأوها فذلك هو الرياء وإن لم تقع أمامهم لكنه حدثهم بها فتلك هي السمعة ، و فرق العلامة عز الدين بن عبد السلام بين الرياء والسمعة قائلاً :
الرياء : (أن يعمل لغير الله والسمعة أن يخفي عمله لله ثم يحدث به الناس) وكأنه يرى أن الرياء كله مذموم أما السمعة فقد تكون مذمومة إذا قصد بالحديث عن عمله وجه الناس ، ومحمودة إذا قصد بذلك وجه الله وابتغاء مرضاته وذلك الذي قاله ابن عبد السلام هو ما تصدقه النصوص الشرعية إذ يقول الله عز وجل : { يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى كالذي ينفق ماله رياء الناس } وإذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم (من سمع سمع الله به ومن يراني يراني الله به) ، (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا : وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذي كنتم ترأون في الدنيا فانظروا : هل تجدون عندهم الجزاء ؟) وإذ يسمع الرسول صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ ويرفع صوته بالذكر فيقول : (إنه أواب) فإذا هو المقداد بن الأسود .

هذا وللرياء أو السمعة أسباب أو بواعث توقع فيه وتؤدي إليه نذكر منها :

(1) النشأة الأولى :

إذ قد ينشأ الولد في أحضان بيت دأبه ودينه الرياء أو السمعة فما يكون منه إلا التقليد والمحاكاة وبمرور الزمن تتأصل هذه الآفة في نفسه وتصبح وكأنما هي جزء لا يتجزأ من شخصيته ولعل هذا هو السر في وصية الإسلام بأن يكون الدين هو أساس اقتران الرجل بالمرأة إذ يقول صلى الله عليه وسلم (فاطر بذات الدين تربت يداك) (وإذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه) .

(2) الصحبة أو الرفقة السيئة :

وقد تحتويه صحبة أو رفقة سيئة لا هم لها إلا الرياء أو السمعة فيقلدهم ويحاكيهم لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية شديد التأثير بغيره وبتوالي الأيام يتمكن هذا الداء من نفسه ويطبّعها بطابعه وذلك هو سر ما قدمناه فيما مر من آفات من ضرورة أن تكون الصحبة طيبة تحترم شرع الله وتعمل به .

(3) عدم المعرفة الحقيقية بالله عز وجل :-

وقد يكون عدم المعرفة الحقيقية بالله عز وجل هو السبب أو الباعث على الرياء أو السمعة إذ أن الجهل بالله أو نقصان المعرفة به يؤدي إلى عدم تقديره حق قدره : ومن ثم يظن هذا الجاهل بالله الذي لم يعرفه حق المعرفة ولم يقدره أن العباد يملكون شيئا من الضر أو النفع فيحرص على مراعاتهم وتسميعهم كل ما يصدر عنه من الصالحات ليمنحوه شيئا مما يتصور أنهم مالكوه ولعل ذلك هو السر في دعوة الإسلام إلى المعرفة بالله أولا : { فاعلم أنه لا إله إلا الله } بل وتطبيقه ذلك حيث دار القرآن المكي وعمل الرسول صلى الله عليه وسلم طوال المرحلة المكية حول التعريف بأصول العقيدة وتأكيد ما وترسيخها في النفس .

(4) الرغبة في الصدارة أو المنصب :

وقد تدفع الرغبة في الصدارة أو في المنصب إلى الرياء أو السمعة حتى يثق به من بيدهم هذا الأمر فيجعلوه في الصدارة أو يبنونه المنصب ولعل ذلك هو السر في تأكيد الإسلام على اختيار أو ابتلاء الناس قبل الوثوق بهم أو الركون إليهم لا سيما إذا كانوا على حال تدعو إلى ذلك إذ يقول الله عز وجل : { وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم } { يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن }

(5) الطمع فيما في أيدي الناس :

وقد يحمله الطمع فيما بين أيدي الناس والحرص على الدنيا على الرياء أو السمعة ليثق به الناس وترق قلوبهم له فيعطونه ما يملأ جيبه ويشبع بطنه وفي سؤال الأعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم (والرجل يقاتل للمغنم) وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر (من غزا لا يبغي إلا عقلا فله ما نوى) ما يشير إلى هذا السبب .

(6) إشباع غريزة حب المحمدة أو الثناء من الناس :

وقد يدعو حب المحمدة أو الثناء من الناس إلى الرياء أو السمعة حتى يكون حديث كل لسان وذكر كل مجلس فتنتفش نفسه وتنتفخ بذلك والعياذ بالله وإلى هذا السبب يشير بقية الحديث المتقدم : (.... والرجل يقاتل ليذكر ويقاقل ليرى مكانه من في سبيل الله ؟ ...)

(7) شدة ذوى المسؤولية في المحاسبة :

وقد تكون شدة ذوى المسؤولية في المحاسبة هي السبب في الرياء أو السمعة لاسيما إذا كان هناك ضعف في الإرادة وفتور في العزيمة وكأنه يحاول بهذا الرياء أو بهذه السمعة ستر ضعفه وفتوره وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى إذ يقول لعائشة (إن الرفق لا يكون في شئ إلا زانه ولا ينزع من شئ إلا شانه) .

(8) إظهار الآخرين إعجابهم به وبما يصدر عنه من أعمال :

وقد يكون إظهار الآخرين إعجابهم به وبما يصدر عنه من أعمال هو الباعث على الرياء أو السمعة كي يكون هناك مزيد من هذا الإعجاب .

وحتى يحمي الإسلام البشر من هذا الداء منع إبراز هذا الإعجاب فإن كان ولا بد فليكن معه الاحتراز والحيلة بان يقول : ((أحسب فلانا كذا والله حسيبه ولا أزكى على الله أحدا)) .

(9) الخوف من قالة الناس لا سيما الأقران :

وقد يكون الخوف من قالة الناس لا سيما الأقران هو الباعث على الرياء أو السمعة حتى يظهر أمامهم بالصورة التي ترضيهم وتسكت ألسنتهم عنه وإذا ما خلا بنفسه انتهك محارم الله { يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا } .

(10) الجهل أو الغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة :

وأخيرا قد يكون الجهل أو الغفلة عن العواقب أو الآثار الناجمة عن الرياء أو السمعة هي السبب في مراعاة الناس أو تسميعهم فإن من جهل أو غفل عن عاقبة شئ ما لاسيما إذا كانت هذه العاقبة ضارة تعاطى هذا الشئ ولازمه حتى يصير خلقا له .

ثالثاً : سمات أو علامات الرياء أو السمعة :

وحتى يدرك المسلم موقعه من الرياء أو السمعة فإن هناك سمات أو علامات يعرف بها وهذه السمات أو تلك العلامات هي :

(1) النشاط في العمل ومضاعفة الجهد إذا كان هناك ثناء أو مدح والكسل والتقصير إذا كان هناك عيب أو ذم .

(2) النشاط في العمل ومضاعفة الجهد إذا كان مع الناس والكسل والتقصير حال التفرد أو البعد عن الناس وإلى هاتين السمتين أو يشير سيدنا على رضي الله تعالى عنه : فيقول :

((للمرائي علامات : كسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس ويزيد في العمل إذا أثنى عليه وينقص إذا ذم)) .

(3) الحفاظ على محارم الله ورعايتها إذا كان مع الناس وانتهاك هذه المحارم والتطاول عليها إذا كان وحد أو بعيدا عن الناس وإلى هذه السمة أو العلامة يشير النبي صلى الله عليه وسلم قائلا :

((لأعملن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)) .

رابعاً : آثار الرياء أو السمعة

وللرياء أو للسمعة آثار ضارة وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي وإليك طرفا من هذه الآثار وتلك العواقب :

أ- آثار الرياء على العاملين :

فمن آثاره على العاملين :

1 - الحرمان من الهداية والتوفيق :

ذلك أن الله عز وجل هو وحده الذي يملك الهداية والتوفيق وهو وحده الذي يمن بهما على من يشاء ويمنعها ممن يشاء لا راد لقضائه ولا معقب لحكمته وقد مضت سنته وجرى قضاؤه أنه لا يمنحهما إلا لمن علم منه الإخلاص وصدق التوجه إليه { ويهدي إليه من أناب } . { ويهدي إليه من ينيب } والمراني أو السمع بدد هذا الإخلاص وضيع ذلك الصدق فأنى له الهداية والتوفيق ؟ وصدق الله الذي يقول : { فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين } .

2 - الضيق أو الاضطراب النفسي :

ذلك أن المراني أو المسمع إنما يفعل طلباً لمرضاة لناس وطمعاً فيما بأيديهم وقد يحول قضاء الله وقدره دون تحقيق ذلك نظراً لأن الأمور عنده سبحانه تجري بالمقادير : { وكل شئ عنده بمقدار } . وحينئذ يعتريه الضيق والاضطراب النفسي فلا هو الذي ظفر برضا الله عز وجل ولا هو بالذي حصل ما كان يؤلمة ويرجوه من الناس : { ومن أعرض عن ذكرى الله فإن له معيشة ضنكا } { ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا } .

3 - نزع الهيبة من قلوب الناس :

ذلك أن الله وحده هو الذي يملك غرس هذه الهيبة في قلوب من يشاء من عباده بيد أن ذلك مرهون بتقديم الإخلاص بين يدي كل سلوك أو تصرف والمراني أو المسمع أضاع هذه الرهينة فيضيع الله عليه الهيبة ونزعها من قلوب الناس فصار هينا عليهم : { ومن يهن الله فما له من مكرم } .

ولقد وعى السلف ذلك فكانوا أحرص الناس على الإخلاص العمل لله حتى تبقى هيبته ومكانتهم مستقرة في الصدور أو في القلوب والأخبار الواردة عنهم في ذلك أكثر من أن تحصي وحسبنا منها ما أوصى به عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه أبا موسى الأشعري إذا قال له : ((من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس)) .

وما أثر عن الحسن البصري من كثرة مجاهداته لنفسه بالليل والناس نيام ثم محاولة إخفاء ذلك عنهم ما استطاع إلى ذلك سبيلا حتى هابه ذووا السلطان والجاه .

فقد نال من الحجاج - ذات مرة - لظلمة وطغيانه فوجه الحجاج بعض شرطه وأمرهم أن يأتوه به ليقتله وما هو إلا قليل حتى جاء الحسن فشخصت نحوه الأبصار ووجفت عليه القلوب وأقبل على الحجاج وعليه جلال المؤمن وعزة المسلم ووقار الداعية فلما رآه الحجاج على حاله هذه هابه أشد الهيبة وقال له : هاهنا يا أبا سعيد هاهنا ثم مازال يوسع له ويقول : هاهنا والناس ينظرون إليه في دهشة واستغراب حتى أجلسه على فراشه ولما أخذ الحسن مجلسه التفت إليه الحجاج وجعل يسأله عن بعض أمور الدين والحسن فقال له الحجاج يجيبه عن كل مسألة بجناب ثابت وبيان ساهر وعلم واسع فقال له الحجاج : أنت سيد التابعين يا أبا سعيد ثم أذن له بالعودة إلى بيته معززا مكرما .

4 - الإعراض من الناس وعدم التأثر :

ذلك أن القلب هو محل التأثر من الإنسان والقلوب بيد الرحمن يقلبها كيف يشاء ومن راعى أو سمع بعمله فقد قطع ما بينه وبين الله وأنى لذلك أن يمنحه الله إقبالا من الناس أو تأثيرا فيهم لذا تره إذا تكلم لا يسمع وإذا عمل لا يحرك والحوار التالي يكشف لنا عن حقيقة ذلك بجلاء ووضوح :

كان عمر بن هبيرة الفزاري واليا على العراقيين في عهد الخليفة الأموي : يزيد بن عبد مالك وكان يزيد يرسل إليه بالكتاب تلو الكتاب ويأمره بإنفاذ ما في هذه الكتب ولو كان مجافيا بحق أحيانا فدعا ابن هبيرة كلا من الحسن البصري وعامر بن شراحبيل المعروف بالشعبي يستفتيهما في ذلك وهل له من مخرج فيدين الله ؟

فأجاب الشعبي جوابا فيه ملاطفة للخليفة ومسايرة للوالي والحسن ساكت فالتفت عمر ابن هبيرة إلى الحسن وقال : ما تقول أنت يا أبا سعيد فقال : يا ابن هبيرة خف الله في يزيد ، ولا تخف يزيد في الله ، واعلم أن الله عز وجل يمنحك من يزيد ، وأن يزيد لا يمنحك من الله ... يا ابن هبيرة إنه يوشك أن ينزل بك ملك غليظ لا يعصى الله ما أمره فيزيك عن سريرك هذا وينقلك من سعة قصرك إلى ضيق قيرك ، حيث لا تجد هناك يزيد ، وغنما تجد عملك الذي خالفت فيه رب يزيد ... يا ابن هبيرة إنك إن تك مع الله تعالى وفي طاعته يكفك بانقة يزيد بن عبد الملك في الدنيا والآخرة ، وإن تك مع يزيد في معصية الله تعالى فإن الله يكلك إلى يزيد .

واعلم يا ابن هبيرة أنه لا طاعة لمخلوق كائناً ما كان في معصية الخالق - عز وجل - فبكى عمر بن هبيرة حتى بللت دموعه لحبته ومال عن الشعبي إلى الحسن ، وبأخ في إعظامه وإكرامه ، فلما خرجا من عنده توجهوا إلى المسجد ، فاجتمع عليهما الناس ، وجعلوا يسألونهما عن خبرهما مع أمير العراقيين ، فالتفت الشعبي إليهم وقال : أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله - عز وجل - على خلقه في كل مقام فليفعل ، فوالذي نفسي بيده ما قال الحسن لعمر بن هبيرة قولاً أجعله ولكني أردت فيما قلته وجه ابن هبيرة ، وأراد فيما قاله وجه الله ، فأقصاني الله من ابن هبيرة وأدناه منه وحببه إليه .

5- عدم إتقان العمل :

ذلك أن المراني أو المسمّع إنما يراقب الخلق لا الخالق ، و الخلق مهما كانت طاقاتهم وإمكاناتهم ، عاجزون عن المتابعة في كل بينة وفي كل وقت ، وفي كل ظرف أو ملابسة ، لذا فإن عجزهم هذا ينتهي بالمراني أو بالمسمّع إلى عدم إتقان العمل ، الأمر الذي يفقده ثقة الناس ويكون بذلك قد ضيّع نفسه من حيث أراد مصلحتها أو منفعتها ، وصدق الحق - تبارك وتعالى - إذ يقول { ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله } ، ولقد أشار المولى - عز وجل إلى هذا الأثر وهو يتحدث عن المنافقين فقال : { وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلاً } .

6- الفضيحة في الدنيا وعلى رؤوس الأشهاد يوم القيامة :

ذلك أن المراني أو المسمّع إنما يقصد بعمله هذا خداع غيره ليعطيه هذا الغير زمامه ، وليسلم إليه قياده ، ويأبى الله - عز وجل - ذلك نظراً لما يمكن أن يصنعه هذا المراني أو المسمّع من إفساد في الأرض وإهلاك للحرث و النسل { ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام * وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث و النسل والله لا يحسن الفساد } .
لذا فإنه يفضحه في الدنيا ولو بعد حين ، حتى يحذر الناس ، ولا يغتروا به ، أما في الآخرة فإن الفضيحة تكون مزيداً من الانتقام و العذاب .

وقد سبق التصريح بهذا السبب في قول النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص ، وقد سأله عن الجهاد و الغزو : (يا عبد الله بن عمرو إن قاتلت صابراً محتسباً ، بعثك الله صابراً محتسباً ، وإن قاتلت مرانياً مكاثراً ، بعثك الله مرانياً مكاثراً ، يا عبد الله بن عمرو على أي حال قاتلت أو قتلت بعثك الله على تيك الحال) .

7- الوقوع في غوائل الإعجاب بالنفس ، ثم الغرور ثم التكبر :

ذلك أن المراني أو المسمّع يخدع كثيراً من الناس فترة زمنية معينة ، وخلال هذه الفترة تلهج ألسنة الناس وأفئدتهم بحمده و الثناء عليه ، وقد يحمل ذلك على الإعجاب بنفسه ، ثم الغرور ، ثم التكبر ، ثم يعيث في الأرض فساداً ، ويؤكد ذلك ما نشاهده في الوقت الحاضر من أن كثيراً من ذوي القيادة في أمتنا ، يسلكون سبيل الرياء و التسميع حتى إذا انخدع بهم الدهماء و العامة ، وسبحوا بحمدهم انقلبوا إلى معجبين بأنفسهم ، ثم مغرورين ، ثم متكبرين ، ثم سلطوا على الذين يفهمونهم منذ اللحظة الأولى يسومونهم سوء العذاب ، وأخيراً يسلطون على أولئك الذين ضيعوهم ، فيأكلونهم ، وصدق الله العظيم الذي يقول { ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار * جهنم يصلونها وبنس القرار } .

8- بطلان العمل :

ذلك أن الحق - سبحانه - مضت سنته في خلقه ألا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له ، وابتغى به وجهه { فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً } .
و المراني جعل لنفسه وللناس حظاً من عمله ، وأنى لذلك أن يقبل الله منه عملاً ، أو أن يثيبه عليه ، وصدق الله { وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً } { وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً } وصدق النبي - صلى الله عليه وسلم - : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟ قال : الرياء يقول الله عز وجل يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم : اذهبوا إلى الذي كنتم ترءون في الدنيا فانظروا : هل تجدون عندهم لجزاء) ، ويقول الله تعالى في الحديث القدسي : (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فأنا منه بريء وهو للذي أشرك) .
وهكذا ينتهي الرياء أو السمعة بصاحبه إلى بطلان العمل ورده وعدم قبوله .

9- العذاب الشديد في الآخرة :

وأخيراً ... فإن من حبط عمله على النحو الذي قدمنا ، ليس له من جزاء إلا العذاب الشديد في الآخرة ، ولذلك العذاب صور أبرزها صورتان :

الأولى : أنه يكون أول من تسعر بهم النار ، فإن وقودها كما قال الله في كتابه ، الناس و الحجارة ، { يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس و الحجارة } ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم - إن أول الناس يقضى عليه يوم القيامة ، رجل استشهد ، فأتى به فعرفه نعمته فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جري ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل تعلم العلم و علمه و قرأ القرآن ، فأتى به فعرفه نعمته فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن ، قال كذبت ، ولكنك تعلمت العلم لي قال إنك عالم ، وقرأت القرآن لي قال : قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله ، فأتى به فعرفه نعمته فعرفها ، فقال : ما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك ، قال كذبت ، ولكنك فعلت لي قال : هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي به في النار) .

الأخرى : الإلقاء في النار بحيث تخلع مفاصله وتتفكك أوصاله ، وتسقط أعضاؤه ، ويدور بها على مشهد ومرأى من أهل النار جميعاً ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (يوتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع عليه أهل النار ، فيقولون يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت أمر بالمعروف ولا آتية ، وأنهى عن المنكر وآتية) .

ب- آثار الرياء على العمل الإسلامي :

وإذا كان للرياء أو للسمعة تلك الآثار التي قدمنا على العاملين ، فإنها بدورها تنعكس على العمل الإسلامي ، وتتلخص هذه الآثار المتعلقة بالعمل الإسلامي فيما يأتي :

ذلك أن قوماً أخلاقهم الرياء ، وصفاتهم التسمّع لا يمكن أن يُمكنَ لهم إلا بعد طول ابتلاء وكثرة تحييص : { ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب ... } ، { ... أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين } ، { أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون } .

خامساً : طريق علاج الرياء و السمعة

هذا ... و الطريق لعلاج الرياء أو السمعة تتلخص في :

- 1- تذكر عواقب الرياء أو السمعة الدنيوية والأخروية على النحو الذي قدمنا آنفاً ، فإن ذلك له أثر كبير في تحريك القلوب ، لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، ثم إقلاعها عن هذه الآفة ، أو عن هذا الداء الخطير .
 - 2- الانسلاخ من الصحبة المعروفين بالرياء أو بالسمعة ، ثم الارتقاء في أحضان المخلصين الصادقين ، فإن ذلك له دوره في إقلاع النفس عن هذه الآفة حتى تبرأ منها تماماً .
 - 3- معرفة الله - عز وجل - حق المعرفة ، فإن هذه المعرفة تعين على تقدير الله حق قدره ، الأمر الذي يؤدي إلى التخلص من الرياء أو السمعة ، ثم التحلي بالإخلاص ، وسبيل ذلك معايشة الكتاب و السنة .
 - 4- مجاهدة النفس ، حتى تهذب من الغرائز التي تملئ على الإنسان الرياء أو السمعة و التي من جملتها الرغبة في الصدارة أو المنصب ، وكذلك الطمع فيما في أيدي الناس ، وحب الثناء أو المحمدة .
 - 5- رفق ذوى المسئولية في المحاسبة ، فإن الرفق ما كان في شئ إلا زانه ، وما نزع من شئ إلا شأنه .
 - 6- الالتزام بأداب الإسلام في المعاملة فلا غلو في الاحترام و التقدير ، ولا إهمال ولا تقصير ، وإنما هو الأمر الوسط ، وخير الأمور أوسطها .
 - 7- الوقوف على أخبار المرانين ، ومعرفة عواقبهم ، فإن ذلك مما يساعد على تجنب هذا الداء ، أو هذه الآفة ، لنلا تكون العاقبة كعاقبة هؤلاء .
 - 8- دوام النظر أو السماع للنصوص المرغبة في الإخلاص ، و المحذرة من الرياء ، فإن بداية الإقلاع عن الأخطاء والالتزام بالصواب تكون بوضوح الرؤية ، ودقة التصور ، إذ من جهل شيئاً عاداه ، كما قال الله عز وجل { بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله } .
 - 9- محاسبة النفس أولاً بأول للوقوف على عيوبها ، ثم التخلص من هذه العيوب .
 - 10- اللجوء التام إلى الله ، والاستعانة به ، فإن من لجأ إلى الله واستعان به ، وكان صادقاً في ذلك ، أيده الله ، وأعانه ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ خطب ذات يوم فقال : (أيها الناس اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل ، فقال له من شاء أن يقول ، وكيف نتقيه ، وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله ؟ قال : (قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه) .
 - 11- التذكر بأن كل شئ يجري في هذا الكون بقضاء وقدر :
- { ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير } ، وأن الخلق مهما كانت قوتهم ، ومهما كان سلطانهم فإنهم عاجزون عن أن يجلبوا لأنفسهم نفعاً أو يدفعوا عنها ضرراً فضلاً عن أن يملكون هذا لغيرهم { إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين } ، { إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً } .

الآفة التاسعة - إتباع الهوى

والآفة التاسعة التي تصيب بعض لعاملين ويصطلح بناره العمل الإسلامي إنما هي : ((إتباع الهوى)) .
وحتى يتطهر منها من ابتلوا وأصيبوا ويتحصن من غوائله وخطرها من عافاهم الله عز وجل منها فإنه لابد من الوقوف على أبعاده ومعالجتها وتقديم تصور واضح لها .
ولكي نقف على هذه الأبعاد وتلك المعالم ويكون لدينا تصور واضح أو قريب من الواضح عن هذه الآفة فإننا سنتناولها على النحو التالي :

أولاً : مفهوم اتباع الهوى :

اتباع الهوى لغة : لا يمكن أن ينجلي أو يظهر المراد باتباع الهوى لغة إلا إذا فسر المراد بالهوى فماذا يراد بالهوى ؟.... يطلق الهوى على عدة معان نذكر منها :
(أ) ميل النفس إلى ما تشتهي .
(ب) إرادة النفس ما تحب .
(ج) عشق الشيء وتمكنه من القلب .
وحقيقة الحال أن هذه المعاني جميعا متقاربة وإن اختلفت العبارة أو اللفظ إذا المعنى الأول والثاني يصوران الهوى في بدايته على أنه مجرد ميل وإرادة قلبية دون تمكن واستقرار أما المعنى الثالث فيصوره في وسطه على أنه حب أو غلبة قلبية يمكن أن تزول بقليل من الجاهدة أما المعنى الرابع والأخير يصوره في نهايته على أنه عشق وهيام يسيطران على القلب ويتمكنان منه ولا يمكن زوالهما بالجاهدة إلا بعد جهد جهيد وزمن طويل .
ولما كان معنى من المعاني المذكورة أنفا صالحا لأن يكون في الخير وصالحا لأن يكون في الشر فقد علماء اللغة : إن الهوى إذا أطلق انصرف إلى ما كان شرا أو ما كان مذموما فإذا أريد به ما كان يقال : هوى حسن وهوى موافق للصواب .
وإذا انتهينا الآن من تحديد المراد بالهوى لغة فإننا نقول : أن اتباع الهوى في اللغة هو السير وراء ما تهوى النفس وما تشتهي بل ما تحب .
اتباع الهوى اصطلاحا : أما المراد باتباع الهوى في اصطلاح الشرعي والدعوة فهو السير وراء ما تهوى النفس وتشتهي أو النزول على حكم العاطفة من غير تحكيم العقل أو الرجوع إلى شرع أو تقدير لعاقبة .

ثانيا : حقيقة اتباع الهوى في الميزان الإسلام :

واتباع الهوى ليس مذموما كله في نظر الإسلام بل منها ما هو مذموما وهو المذكور في المعنى الاصطلاحي وهو الذي عناه القرآن الكريم في قول الله عز وجل :-
{ فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا } .
{ ولا تتبع الهوى فيظلك عن سبيل الله } .
{ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى } .
{ وأما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى } .
{ ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه } .
{ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله } .
أخرى كثيرة .
كما عناه النبي صلى الله عليه وسلم في قوله :
(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله) .
بل انتصروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وديننا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام
والآخر أسود مربادا كالكوثر مجخيا لا يعرف معرفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه وأنه سيخرج من أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه .
وعناه بعضهم بقوله :

بالنيل من قوس لها توتير
يارب أنت على الخلاص قدير

إني بليت بأربع يرميني
إبليس والدنيا ونفسي والهوى

ومنه ما هو محمود وهو الموقف لشرع الله ومنهجه وهديه وهو الذي عناه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله :
لن يستكمل مؤمن إيمانه حتى يكون هواه تبعاً لما جنتكم به كما عنته عائشة رضي الله تعالى عنها بقولها للنبي صلى الله عليه وسلم لما
أنزل الله تعالى قوله : { ترجى من تشاء منه وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك } :
(ما أرى إلا يسارع في هواك) .

ثالثاً : أسباب اتباع الهوى تؤدي إليه وبواعث توقع فيه نذكر منها :

1- عدن التعويد على ضبط الهوى منذ الصغر :

أي أن السبب الأول لاتباع الهوى إنما يدور حول عدم التعويد على ضبط هذا الهوى منذ الصغر :
ذلك أن الإنسان قد يلقي من أبويه منذ الصغر حبا مفرطاً وحناناً فوق المطلوب بحيث يطغى هذا الحب وذلك الحنان على تنمية الضوابط
الفطرية والشرعية التي لابد منها لتنظيم الرغائب أو الدوافع وحينئذ يكبر هذا الإنسان ويكبر معه الانسياق وراء العواطف والرغائب
حتى لو كانت مخالفة للمشروع إذ من شىء على شىء شاب عليه إلا من رحم الله عز وجل .
جاء في منهج التربية الإسلامية قول كاتبه :

والأم التي ترضع طفلها كلما بكى لكي يسكت أو لأنها لا تطيق أن تسمعه يبكي تضربه بذلك لأنها لا تعينه على ضبط رغباته ولا تعود
على ذلك الضبط في صغره فلا يتعود في كبره ومن منا تتركه ظروف الحياة لرغباته يشبعها كما يشاء ؟ وذلك فضلاً عن أن المسلم
بالذات ينبغي أن يتعلم الضبط ويتعوده منذ باكراً عمره لأن الجهاد في سبيل الله لا يستقيم في النفس التي لا تستطيع ضبط رغباتها
فتنساك معها وكيف يمكن الجهاد بغير ضبط في ذاته ولكنه يصبح إثماً حين يشغل عن الجهاد في سبيل الله :
{ قل أن كان أبائكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم
من الله لا يهدي القوم الفاسقين } .

فكل ما ذكرته الآية ليس محرماً في ذاته ولكنه صار فسقاً وحراماً حين أصبح سبباً في القعود عن الجهاد في سبيل الله وحين رجحت
كفته في الميزان القلب على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله .
فما الوسيلة للاستقامة على ميزان الله إلا ضبط هذه الرغبات ، والاستغناء عنها حين تحول بين الإنسان وبين سبيل الله .
و الضبط مقدرة يتدرب الإنسان عليها ، وعادة يتعلمها وكلما تدرب عليها وهو صغير كان أقدر عليها ، وأكثر تمكناً منها فيجدها حاضرة
في أعصابه حين تفجوه الأحداث .

2- مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم :

و السبب الثاني لاتباع الهوى ، إنما هو مجالسة أهل الأهواء ومصاحبتهم ، ذلك أن العواطف أو الدوافع تنمو بالمجالسة وطول الصحبة
، وعليه فمن لازم مجالسة أهل الأهواء وأدام صحبتهم ، فلا بد من تأثره بما هم عليه ، لاسيما إذا كان ضعيف الشخصية ، وعنده قابلية
التأثر بغيره من أولئك الناس .
وقد وعى السلف - رضوان الله عليهم - هذا السبب ، فأكثروا من التحذير من مجالسة أهل الأهواء ، بل و التعامل معهم أثر عن أبي
قلاية قوله :

(.... لا تجالسوا أهل الأهواء ، ولا تجادلوه ، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم ، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون .

وأثر عن الحسن وابن سيرين قولهما :

(ولا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تجادلوه ، ولا تسمعوا منهم) .

3- ضعف المعرفة الحقبة بالله و الدار الآخرة :

و السبب الثالث لاتباع الهوى إنما هو ضعف المعرفة الحقبة بالله وبالدار الآخرة ، ذلك أن من ضعفت معرفته بالله ، وأنه وحده له الحكم
، وإليه المرجع والمآب ، وهو أسرع الحاسبين ، كما قال سبحانه عن نفسه { ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين } من كان كذلك لا يقدر
ربه حق قدره ، وبالتالي يفعل ما يفعل غير مبال بما إذا كان ذلك يرضى الله أو يغضبه ، ينجيه أو يهلكه .
وقد لفت الحق سبحانه النظر إلى ذلك وهو يتحدث عن الضالين والمكذبين ، مبيناً أن السبب في ضلال هؤلاء وتكذيبهم إنما يعود إلى
عدم معرفتهم بالله حق المعرفة ، وبالتالي عدم تقديرهم له حق قدره ، إذ يقول سبحانه :
{ وما قدرُوا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ ... } { يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون
الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ، وغن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدرُوا الله حق قدره إن الله
لقوى عزيز } { قل أغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ، ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن
من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ، وما قدرُوا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون } .

4- تقصير الآخرين في القيام بواجبهم نحو صاحب الهوى :

و السبب الرابع لاتباع الهوى إنما هو تقصير الآخرين في القيام بواجبهم نحو صاحب الهوى ، ذلك أن صاحب الهوى إذ رأى ممن حوله استحساناً لما هو عليه ، أو سكوتاً وعدم إنكار بأي من وسائل الإنكار ، فإنه يمشى ويتمادى فيما هو عليه ، حتى يتمكن الهوى من قلبه ، ويسيطر على كل سلوكياته وتصرفاته .

ولعل هذا هو السر في تأكيد الإسلام على مقاومة المنكرات ، وعدم السكوت عنها ولكن بالأسلوب المناسب ، ومع التكرار ، نظراً لأن غالبها ناشئ عن اتباع الهوى ، إذ يقول الحق سبحانه { ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون } ، { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن } ، { وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً } .

ولعله السر كذلك في حرص النبي صلى الله عليه وسلم على مجانبة من لمح فيهم ميلاً إلى الهوى ، وعدم رحابة الصدر لهم ، لعلمهم يتوبون أو يذكرون .

جاء عن عبد الله بن كعب أنه قال : سمعت كعب بن مالك ، وذكر ابن السرح قصة تخلفه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك ، قال :

ونهي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ، حتى إذا طال تسورت جدار حائط أبي قتادة ، وهو ابن عمي ، فسلمت عليه ، فوا الله ما رد علي السلام ، ثم ساق خبر توبته .

وجاء عن عائشة - رضي الله تعالى عنها - أنه اعتل بغير لصفية بنت حبي ، وعند زينب فضل ظهر ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أعطيتها بغيراً ، فقالت : أنا أعطيت تلك اليهودية ؟؟ فغضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهجرها ذا الحجة و المحرم وبعض صفر .

وجاء عن عمار بن ياسر أنه قال :: قدمت على أهلي ، وقد تشقق يداي ، فخلفوني بزعران ، فغدوت على النبي - صلى الله عليه وسلم - فسلمت عليه ، فرد علي ، وقال : (اذهب فاغسل عنك هذا) .

5- حب الدنيا و الركون إليها مع نسيان الآخرة :

و السبب الخامس لاتباع الهوى إنما هو حب الدنيا و الركون إليها مع نسيان الآخرة ، ذلك أن من أحب الدنيا ، و ركن إليها ونسى الآخرة يتولد عنده سعى حثيث لتلبية كل ما يفرضه هذا الحب ، وذلك الركون ، حتى وإن كان مخالفاً لمنهج الله ، وذلك بعينه هو اتباع الهوى ، وقد لفت المولى النظر إلى هذا السبب في قوله :

{ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ، و الذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون } . كما لفت النبي - صلى الله عليه وسلم - النظر في الحديث المذكور آنفاً : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، و العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله)

6- الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى :

و السبب السادس لاتباع الهوى إنما هو الجهل بالعواقب المترتبة على اتباع الهوى ، ذلك أن من جهل عواقب محذور من المحظورات وقع في هذا المحذور دون أدنى اهتمام أو مبالاة ، ولعل هذا هو السر في اهتمام الشارع الحكيم بالتذكير بالعواقب المترتبة على المأمورات و المنهيات ، كما أشرنا إلى ذلك غير مرة فيما تقدم من آفات .

رابعاً : آثار اتباع الهوى :

ولاتباع الهوى آثار ضارة ، و عواقب مهلكة ، سواء كانت على العاملين أو على العمل الإسلامي ودونك هذه الآثار :

أ- آثار اتباع الهوى على العاملين :

فمن آثاره على العاملين :

1- نقصان بل تلاشي الطاعة من النفس :

ذلك أن صاحب الهوى أو المتبع لهواه يعز عليه ، بل يكبر في نفسه أن يطيع غيره ، خالقاً كان هذا الغير أو مخلوقاً ، بسبب أن هذا الهوى قد تمكن من قلبه ، وملك عليه أقطار نفسه ، فصار أسيراً لديه ودافعاً له في نفس الوقت إلى الغرور ، و التكبر ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، فإما أن يطيع ربه ، وغما أن يطيع نفسه وهواه ، وشيطانه ، وهو ليس بمطيع ربه ، فلن يبق إلا أن يكون مطيعاً لهواه .

2- مرض القلب ثم قسوته وموته :

ذلك أن صاحب الهوى غارق من مفرق رأسه إلى أخمص قدميه في المعاصي و السيئات ، وهذه بدورها لها آثار خطيرة على القلب ، إذ أنها تنتهي به إلى المرض ثم القسوة أو الموت ، كما قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن زاد زادت ، حتى يعلو قلبه ذاك الرين الذي ذكره الله - عز وجل - في القرآن { كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون } ، وإذا مات القلب وهو لب الإنسان وجوهه ، فماذا بقي لهذا الإنسان ؟!! إنه لا يبقى له سوى

الشحم و اللحم ، أو بالأحرى الجانب الطيني وهو جانب حقير لا قيمة له في ميزان الله ، وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول :
(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) .

3- الاستهانة بالذنوب والآثام :

وذلك أن المتبع لهواه قد قسا قلبه ومات على النحو الذي قدمنا ، ويوم تقسو القلوب وتموت تكون الاستهانة والاستهتار بالذنوب والآثام كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - :
(إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه فقال به هكذا)
والاستهانة بالذنوب والآثام هي عين الهلاك ، و البوار و الخسران المبين .

4- عدم جدوى النصيح والإرشاد :

وذلك أن المتبع لهواه قد ركب رأسه ، وصار عبد لشهواته ، وأني لهذا أن يستجيب لنصح أو ينفع فيه توجيه وإرشاد !!؟ ولا خير في قوم لا يتناصحون ولا يقبلون النصيحة ، { فإن لم يستجيبوا لك فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ... } .

5- الابتداع في دين الله :

وذلك أن صاحب الهوى يميل كغيره من البشر إلى إثبات ذاته ووجوده وهو لا يرضى منهج الله طريقاً لتحقيق هذا الميل ، فلم يبق إلا أن يبتدع منهاجاً يوافق هواه وشهواته ، يقول حماد بن سلمة : (حدثني شيخ لهم تاب - يعنى الرافضة - قال : (كنا إذا اجتمعنا فاستحسننا شيئاً جعلناه حديثاً) والابتداع هو الضلال وكل ضلال في النار كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم (... إياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) .
(... أما بعد ، فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة)

6- التخطي وعدم الهداية إلى الطريق المستقيم :

وذلك أن صاحب الهوى بعبوديته لشهواته وميوله ، قد أعرض عن مصدر الهداية و التوفيق ، فمن أين يأتيه التوفيق ، و الهداية إلى الطريق المستقيم ؟ وصدق الله - سبحانه وتعالى - الذي يقول :
{ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على قلبه غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون } .

7- إضلال الآخرين وإبعادهم عن الطريق :

ولا تقتصر هذه الآثار الضارة على صاحب الهوى ، بل كثيراً ما تتعداه إلى الآخرين لاسيما السقوط أو البعد عن الطريق سهل مرغوب فيه ، وقد لغت المولى - سبحانه وتعالى - النظر إلى ذلك في قوله :
{ وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم } .

8- الصيرورة إلى الجحيم وبنس المصير :

وأخيراً فإن من عوقب بكل الآثار التي قدمنا فإنما مأواه الجحيم وصدق الله العظيم :
{ فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى } .

ب- آثار اتباع الهوى على العمل الإسلامي :

وأما آثار اتباع الهوى على العمل الإسلامي ، فإنها كثيرة نذكر منها :

1- ضعف بل تلاشي كسب الأنصار :

وذلك أن العمل الإسلامي إذا قام على أكتاف ، أو كان في صفه من عرف باتباع الهوى ، فإنه بذلك يسد الباب في وجه الأنصار الجدد ، إذ ليس فيه حينئذ أسوة أو قدوة تغري بالالتحاق به ، وبذل الغالي و الرخيص في سبيل نصرته و المضي به قدماً إلى الأمام ، وهذا بدوره يؤدي إلى طول الطريق مع كثرة التكاليف .

2- تفريق أو تمزيق وحدة الصف :

وذلك أن صف العمل الإسلامي إذا اشتمل على أصحاب الأهواء ، فإنهم ينتهون به إلى التمزيق و الفرقة ، نظراً لضعف أو تلاشي مبدأ الطاعة عندهم ، وحين تقع هذه الفرقة أو هذا التمزق ، فقد صار العمل الإسلامي لقمة سائغة في فم الأعداء .
ولعمري هذا هو أهم ما يسعى إليه هؤلاء ، حتى يصير حقيقة وواقعاً في هذه الأرض ، وحينئذ يتمكنون بواسطته من ضرب العمل الإسلامي أو على الأقل إجهاضه و الرجوع إلى الوراء عشرات السنين .

3- الحرمان من العون والتأييد الإلهي :

وذلك أن سنة الله في خلقه مضت أنه لا يمنحهم العون أو التأييد إلا إذا كانوا أهلاً لذلك ، حتى إذا مكّن لهم يكونون كما قال سبحانه : (الذين إن مكانهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ...) . ولعمري فإن صاحب الهوى بمعصيته لربه ولرسوله وإمارة المسلمين ، يكون سبباً في حجب هذا العون وذلك التأييد الإلهي للعمل الإسلامي .

وما زالت وصايا عمر لأمراء الجيوش الإسلامية وجندها ، أبان الفتوحات الإسلامية ترن في الآذان ، إذ قال لسعد بن أبي وقاص حين أمره على العراق :

يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، فإن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ، وإن الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعته ، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربههم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عند الله بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه ، فإنه الأمر ، هذه عظمتي إياك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين .

كما كتب إليه ومن معه من الأجناد :

أما بعد ... فإني أمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب وأمرك ومن معك أن تكونوا أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم ، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم يكن لنا بهم قوة لأن عدونا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم ، فإن استوينا في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ، فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ، ولا تقولوا إن عدونا شر منا ، فإن يسلط علينا فرب قوم سلط عليهم شر منهم كما سلط على بني إسرائيل - لما عملوا بمساخط الله - كفار المجوس فجاسوا خلال الديار ، وكان وعداً مفعولاً ، واسألوا الله العون على أنفسكم ، كما تسألونه النصر على عدوكم ، واسألوا الله تعالى ذلك لنا ولكم .

خامساً : علاج اتباع الهوى :

وحتى يعالج أصحاب الأهواء أنفسهم وقيمونها على الجادة فإنه لا مناص من اتباع الخطوات الآتية :

1- التذكير بعواقب اتباع الهوى سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي ، فإن ذلك له دور كبير في تخليص النفس من أهوائها وشهواتها ما دامت مخالفة لمنهج الله ورسوله .

2- الانقطاع عن مجالسة ومصاحبة أهل الأهواء ، مع الارتقاء في أحضان أهل الصلاح والاستقامة ، فإن ذلك يعين على تحرير النفس من وقوعها أسيرة الأهواء والشهوات .

3- التعريف بالله - عز وجل - حق المعرفة ، فإن ذلك يولد في النفس حبه وإجلاله ، و النزول على حكمه في كل ما أمر به ، وفي كل ما نهى عنه ، بل ويربى فيها كذلك مراقبته وخشيته و الطمع في جنته ، ورضوانه و الخوف من ناره وعقابه .

4- حياطة الآخرين ورعايتهم لصاحب الهوى ، تارة بالنصيحة المقرونة بأدائها وشروطها ، وتارة بإيقاع السلوك الأمثل أمامه ، وتارة بالعقاب وتارة بالتوبيخ و التأييد وتارة بالهجر و القطيعة إلى غير ذلك من أساليب ووسائل الحياطة و الرعاية .

5- الوقوف على سير أصحاب الأهواء وعاقبتهم سواء أكانوا من هذه الأمة أو من الأمم الأخرى ، فإن ذلك يولد في النفس نفوراً من اتباع الهوى لنلا تكون حديث كل لسان ، ولنلا ينزل بها من العقاب مثلما نزل بهؤلاء .

6- الوقوف على سير وأخبار من عرفوا بمجاهدة نفوسهم وأهوائهم وإلزامها بحدود الله مثل عمر بن عبد العزيز ، و الحسن البصري ، و محمد بن سيرين ، و الفضيل بن عياض و عبد الله بن المبارك وغيرهم وغيرهم ، فإن ذلك يحمل معنى الاقتداء و التأسى ، أو على الأقل المحاكاة و المشابهة .

7- التحذير من الركون إلى الدنيا والاطمئنان بها مع الربط الشديد بالآخرة بحيث يبتغى المسلم فيما آتاه الله : الدار الآخرة ، ولا ينسى نصيبه من الدنيا إن أمكن ، وإلا أثر الآخرة عن الأولى .

8- الاستعانة الكاملة بالله - عز وجل - فإنه سبحانه يعين من لجأ إليه ولاذ بحماه ، وطلب العون و التسديد منه ، وصدق الله إذ يقول في الحديث القدسي :

(يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته ، فاستهدوني أهدكم) .

9- مجاهدة النفس ، وحملها قسراً على التخلص من أهوائها وشهواتها من قبل أن يأتي يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً ، والأمر يومئذ لله .

10- التذكير بأن السعادة و الراحة و الطمأنينة و الفوز ، إنما هي في اتباع المشروع ، لا في اتباع ما تملئ النفس وما تهوى ، وصدق الله إذ يقول :

{ فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى } ، { فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } وفي هذا المعنى يقول القائل :

واعلم بأن الفضل في إيحائه لا في الذي يوحى إليه هواكا

الآفة العاشرة - التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة

والآفة العاشرة التي يبتلى بها نفر من العاملين ولا يكاد يسلم من شرها العمل الإسلامي إنما هي : (التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة) وحتى يتطهر من هذه الآفة من ابتلوا بها ويتقى شرها من عافاهم الله عز وجل منها فتصفو الطريق أمام العمل الإسلامي فإنه لا بد من تقديم أو عرض تصور واضح لها وذلك على النحو التالي :

أولاً : مفهوم التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة :

التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة لغة : لا نستطيع تحديد المراد بالتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة لغة إلا بعد تحديد المراد بالصدارة والريادة فماذا يراد بهما ؟
تطلق الصدارة في اللغة ويراد بها التقدم أو التروؤس إذ هي مأخوذة من الصدر الذي هو أعلى مقدم كل شئ وأوله ، تقول : صدر النهار والليل وصدر الشتاء والصيف وما أشبه ذلك تعنى أول وأعلى كل واحد منها وتصدر الفرس وصدر أي تقدم الخيل بصدره .

وكذلك الريادة تطلق لغة ويراد بها : التقدم أو السبق للإعداد والتهيئة إذ هي مأخوذة من الرود وهو التروؤد أو فعل الرائد تقول : بعثنا رائداً يرود لنا الكلاً والمنزل ، ويرتاد أي ينظر ويطلب ويختار أفضله .
وإذ انتهينا الآن من تحديد المراد بالصدارة والريادة لغة فإننا نقول : إن التطلع للصدارة وطلب الريادة في اللغة إنما هو الرغبة في التقدم على الغير بل سؤال ذلك صراحة التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة اصطلاحاً : أما المراد بالتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة في الاصطلاح الشرعي والدعوى فإنما هو تعلق القلب بالإمامة أو الريادة وسؤال ذلك صراحة أو القعود عن القيام بالواجب وأداء الرسالة .

ثانياً : حقيقة التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة في ميزان الإسلام :

والتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة في ميزان الإسلام شئ مذموم ومنهي عنه بل عليه الوعيد الشديد إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم (إنا والله لا نولى على هذا العمل أحداً سألناه ولا أحداً حرص عليه) .
ويقول عليه الصلاة والسلام - لعبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه : (يا عبد الرحمن لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها) .
ويقول أبو ذر رضى الله عنه : قلت يا رسول الله ألا تستعلمني ؟ قال : فضرب بيده على منكبي ثم قال : (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها) ويقول المقدم بن معد يكرب : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب على منكبه ثم قال له : (أفلحت يا قديم إن مت ولم تكن أميراً ولا كاتباً ولا عريفاً) .

ويقول النبي صلى الله عليه وسلم :

(ويل للأمرء ويل للعرفاء ويل للأمناء ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوانبهم كانت معلقة بالثريا يتذبذبون بين السماء والأرض ولم يكونوا عملوا على شئ) .

وإذا كان هذا هو موقف الإسلام من التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة فما بال نبي من أنبياء الله سألها وزكى نفسه ليعطاها ؟ إنه يوسف عليه السلام إذ حكى القرآن الكريم قوله { اجعلني على خزان الأرض إني حفيظ عليم } وما بال المسلم يلح في سؤالها حتى تصبح سمة من سماته وعلامة يعرف بها بين الناس ؟ إذ يقول الحق سبحانه في صفات عباد الرحمن : { والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما } ونقول : لا تعارض ولا تناقض : ذلك أن يوسف عليه السلام سأل وزكى نفسه لأنه رأى خلو المكان من قائم بالحق وداع إليه ومدافع عنه ووجد نفسه أهلاً لذلك ولكنه لم يكن معروفاً فكان لا بد من السؤال والتزكية من باب { ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض } وكذلك سؤال المسلم الريادة والإمامة إنما هو سؤال لله وليس للبشر والمنهي عنه سؤال البشر وأيضاً هناك فرق بين أن يطلب المسلم ذلك من ربه حتى يكون جاهزاً ومعداً لسد الفراغ عند الحاجة وبين أن يظل نائماً ثم يسأل الريادة ولم يأخذ بسبب واحد من أسباب القدرة عليها والقيام بحقها .

ثالثاً : أسباب التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة :

وللتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة أسباب تؤدي إليه وبواعث توقع فيه نذكر منها :

(1) الرغبة في التحرر من سيطرة وسلطان الآخرين :

فقد يكون السبب في التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة إنما هي الرغبة في التحرر من سيطرة وسلطان الآخرين ذلك أن بعض الناس قد ينشأ دون أن يذوق طعم الطاعة لأحد ولو مرة واحدة ومثل هذا إذا وضع في محيط جماعي فإنه يعز عليه بل يكبر في نفسه أن يكون فوقه أحد لذلك تراه تتعلق نفسه تعلقاً بالصدارة ويسعى جاهداً لسؤال الريادة حتى يتحرر بتصوره من سيطرة وسلطان الآخرين.

(2) الرغبة في تحصيل عرض من أعراض الحياة الدنيا :

وقد يكون السبب في التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة إنما هي الرغبة في تحصيل عرض من أعراض الحياة الدنيا ذلك أن بعض الناس قد يتعلق بالحياة الدنيا تعلقاً يحمله على إصابتها من أي باب تيسر له حالاً كان هذا الباب أو حرام ومثل هذا الصنف يتصور أنه إذا كان

صدرا أو رائدا فإن الكل سيكون في خدمته من أجل إصابة حظه من أعراض هذه الحياة الفانية لذا تراه متعلق النفس بالصدارة ساعيا بجدية واهتمام لسؤال أو طلب الريادة .

(3) الغفلة عن تبعات الصدارة والريادة :

وقد يكون السبب في التطلع وطلب الريادة إنما هي الغفلة عن تبعات هذه الصدارة وتلك الريادة ذلك أن تبعات الصدارة والريادة ضخمة فصاحبها يجوع حيث يشبع الآخرين ويظلم حيث يروى الآخرون ويسهر حيث ينام الآخرون ويتعب حيث يستريح الآخرون وبالجمله فإن تبعات هذا الأمر أن يفدى صاحبه الآخرين بنفسه في ساعات الشدة ويقدمهم على هذه النفس في ساعات الرخاء على نحو ما كان يصنع النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ يقول للبراء رضى الله عنه : (كنا والله إذا احمر البأس نتقى به وإن الشجاع منا للذي يحاذى به يعنى النبي صلى الله عليه وسلم) .

وإذ يقول على رضى الله تعالى عنه (كنا إذا احمر البأس ولقي القوم اتقيننا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون منا أحد أدنى من القوم منه) .

ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم قد سبق الناس إلى الصوت وهو يقول : (لن تراعوا لن تراعوا) وهو على فرس لأبى طلحة عرى ما عليه سرج في عنقه سيف) ويقول أبو هريرة رضى الله تعالى عنه : الله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشيعني فمر ولم يفعل ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب ما سألته إلا ليشيعني فمر ولم يفعل ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم فتبسم حين رأيته وعرف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال : يا أبا هريرة فقلت : لبيك يا رسول الله قال : الحق ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال : من أين هذا اللبن ؟ قالوا : أهده لك فلان أو فلانة قال : أبا هريرة فقلت : لبيك يا رسول الله قال : الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي قال : وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال ولا أحد إذا أتته هدية أرسل إليهم ، وأصاب منها وأشركهم فيها فسألتني ذلك فقلت : وما هذا اللبن في أهل الصفة كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها فإذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم بد فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت فقال : يا أبا هريرة فقلت لبيك يا رسول الله قال : خذ فاعطهم قال : فأخذت القدح فجعلت أعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح حتى انتهت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى القوم كلهم فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلى فتبسم فقال : أبا هريرة ، قلت : لبيك يا رسول الله قال : بقيت أنا وأنت ؟ قلت : صدقت يا رسول الله قال : أقعد فاشرب فقعدت فشربت قال : اشرب فشربت فما زال يقول : اشرب حتى قلت : والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا قال : فأرني : فأعطيت القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة) .

هذه تبعات وتكاليف الصدارة والريادة ومن غفل عنها فإنه تتعلق نفسه لا محالة بالصدارة ويجتهد في طلب الريادة.

(4) الغفلة عن عواقب التقصير في الصدارة والريادة :

وقد يكون السبب في التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة إنما هي الغفلة عن عواقب التقصير في هذه الصدارة وتلك الريادة وذلك أن عواقب التقصير في هذه الصدارة وتلك الريادة وذلك أن عواقب التقصير في هذا الأمر في الدنيا إنما هي إفساح المجال أمام الباطل وجنده ليفسد في الأرض ويهلك الحرث والنسل وأما في الآخرة فهي التقيد بالأغلال والسلاسل والحرمان من الجنة والإلقاء في النار إذ يقول صلى الله عليه وسلم :-

(ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة)

(ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه إلا العدل أو يوبقه الجور) .

(من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جورهم فله الجنة ومن غلب جورهم عدله فله النار) .

ومن غفل عن هذه العواقب فإنما تتوق نفسه إلى الصدارة ويسأل الريادة .

(5) الرغبة في التسلط وإذلال الآخرين :

وأخيرا قد يكون السبب في التطلع إلى الصدارة وطلب ذلك إنما هي الرغبة في التسلط وإذلال الآخرين ذلك أن بعض الناس قد يلقي شدة وضغطا في تربيته أو تخوينا وتسيبيا إلى حد حب التسلط والإذلال ومثل هذا يرى الصدارة والريادة باب يلج منه ليتشفى وليشبع غريزة أفرزتها التربية السيئة لذا فإن نفسه تتوق إلى هذه الصدارة ويجتهد في طلب تلك الريادة .

رابعا : آثار التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة :

وللتطلع إلى الصدارة وطلب الريادة آثار سيئة وعواقب وخيمة على العاملين وعلى العمل الإسلامي ودونك طرفا من هذه الآثار وتلك العواقب :

أ- آثار التطلع إلى الصدارة على العاملين :

فمن آثار ذلك على العاملين :

(1) الحرمان من التوقيف والعون الإلهي :

ذلك أن التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة يعنى الوثوق بالنفس والاعتماد عليها وعلى ما لديها من طاقات وإمكانات دون الحاجة إلى عون وتأيد من الله وقد جرت سنة الله مع خلقه أن يتخلى عن اعتمدها على حولهم وقوتهم غير عابئين بحوله سبحانه وقوته ... وما ظنك بمن تخلى عنه ربه أيكتب له التوفيق أو يحظى بأي عون أو تأييد ؟ اللهم لا !!
وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى هذا الأثر في قوله لعبد الرحمن ابن سمرة : (يا عبد الرحمن : لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها وإن أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها)

(2) تعريض النفس للفتنة وبالتالي للغضب الإلهي :

وذلك أن من تطلع إلى الصدارة والريادة فقد جعل نفسه في مهبط ريح الفتنة إذ ربما ينسى بهذا التطلع وذلك الطلب مراقبة الله والحساب والمساءلة غدا بين يديه سبحانه فيركن إلى الدنيا ويرضى بها أو ينسى تبعات وتكاليف هذا الأمر بل ربما جار وظلم وهذا كله ينتهي به إلى استحقاق الغضب والسخط الإلهي الذي يتمثل في العقاب والعذاب على نحو ما شرحنا آنفا .
وما أجمل وأروع تصوير النبي صلى الله عليه وسلم لمثل هذا الأمر حتى يقول :
(إنكم ستحرصون على الإمارة وستكون ندامة يوم القيامة فنعم المرصعة وبئست الفاطمة).

(3) تضاعف الأوزار والأثقال :

وذلك أن من يصل إلى الصدارة و الريادة بعد التطلع والسؤال قد يفتن ويقتدي ويتأسي به من هم دونه فيعرضون أنفسهم للفتنة مثله وحينئذ تتضاعف عليه الأوزار والأحمال فيحمل وزره ووزر من اقتدى وتأسي في الشر به وتصدق الله : { ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم } .
وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :-
(..... ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) ...
من عمل إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا)

(4) القتل أو النفي أو التشريد في الأرض :

وذلك أن التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة قد يؤدي إلى التشاجر أو التناحر وربما أسفر ذلك عن قتل أو النفي والتشريد في الأرض والتاريخ البشري حافل بالآلاف النماذج التي تطلعت إلى الصدارة وطلب الريادة ولم تصل إلى مرادها بل انتهت بها الحال إلى القتل أو النفي والتشريد في الأرض:
ب- آثار التطلع إلى الصدارة على العمل الإسلامي :
ومن آثار ذلك العمل الإسلامي كثرة التكاليف وطول الطريق ذلك أن صفا يحوى في طياته متطلعين إلى الصدارة وطالبين للريادة لا يمكن أن يستقيم أبدا وأنى لهذا الصف أن يستقيم وفيه من أغرتهم الدنيا بزخرفها وبريقها وزهرتها وزينتها ممثلا ذلك التطلع إلى المنصب والتعلق به ؟
وإذا انتهى الأمر بصف إلى الاعوجاج فإن نصر الله منه بعيد إلا أن يكون ذلك مكرا واستدراجا وصدق الله :
{ ولينصرن الله من ينصره } .
{ يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .. }.

قد فطن إلى ذلك سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين فكانوا إذا تأخر عليهم النصر يردون هذا التأخير إلى حب الدنيا والتعلق بها ثم يبادرون بالتوبة والرجوع إلى الله فينزل بهم نصره .

والقصة التالية تصوير بديع لما فطن إليه هؤلاء :

لما أبطأ فتح مصر على عمرو بن العاص كتب إلى عمر يستمده فأمدّه بأربعة آلاف (تمام ثمانية آلاف) على ألف رجل منهم رجل كتب إليه : إني أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم مقام الألف : الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد واعلم أن معك اثني عشر ألفا ولا تغلب اثنا عشر ألفا من قلة .
ولما وصل هذا المدد وتأخر الفتح على عمر كتب إلى عمرو : أما بعد فقد عجبت لإبطانكم عن فتح مصر تقاتلونهم منذ سنين وما ذاك إلا لما أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم وإن الله تبارك وتعالى لا ينصر قوما إلا بصدق نياتهم وقد كنت وجهت إليك الأربعة نفر وأعلمتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما أعرف إلا أن يكون غيرهم ما غير غيرهم فإذا أتاك كتابي فاخب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية وقدم أولئك الأربعة في صدور الناس ومر الناس جميعا أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد وليكن ذلك عند الزوال يوم الجمعة فإنها ساعة تنزل الرحمة ووقت الإجابة وليعج الناس إلى الله ويسألوا النصر على عدوهم
خامساً: علاج التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة :

ويمكن التطهر من هذه الآفة بل وتحصين النفس ضدها باتباع الأساليب التالية :

(1) دوام النظر في السنة النبوية :

فإن فيها تحذيراً شديداً من سؤال الولاية أو تعلق القلب بها بل فيها تصوير بليغ لتبعات وعواقب التقصير في هذا الأمر على نحو ما ذكرنا في الأسباب من قبل .

(2) دوام التذكير بتبعات هذا الأمر وعواقبه الدنيوية والأخروية :

فإن الإنسان بفطرته ينسى ولا علاج لهذا النسيان إلا بالتذكير والتذكير الدائم على منهج القرآن الكريم : { فذكر إن نفعت الذكرى } . { وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين } .

(3) التعويد على الطاعة وهضم النفس منذ نعومة الأظفار :

فإن ذلك له أثره فيما بعد فيخلق هذه الأمراض من القلب والرضا بالحال التي يوضع فيها المسلم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (.... طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعت رأسه مغبرة قدماه إن كان في الحراسة كان في الحراسة وإن كان في ساقية كان في الساقية.....).

(4) الرفق في المعاملة :

فإنه ما كان الرفق في شئ إلا زانه وما نزع الرفق من شئ إلا شانه وعليه فإن هذا الرفق سيعين على تخلص القلب من الصدارة بل وحمد الله على المعافاة منها .

(5) التذكير بسيرة السلف وموقفهم من الصدارة والرياء :

فإن سيرتهم طافحة بكراهية هذا الأمر والنفور والتحذير الشديد منه تقديراً لتبعاته وعواقبه فهذا أبو بكر رضى الله تعالى عنه يخطب في المسلمين بعد قبوله الخلافة قائلاً :

(يا أيها الناس : إن كنتم ظننتم أني أخذت خلافتكم رغبة فيها أو إرادة استئثار عليكم وعلى المسلمين فلا والذي نفسي بيده ما أخذتها رغبة فيها ولا استئثار عليكم ولا على أحد من المسلمين ولا حرصت عليها يوماً ولا ليلة قط ولا سألت الله سرا ولا علانية ولقد تقلدت أمراً عظيماً لا طاقة لي به إلا أن يعين الله ولوددت أنها إلى أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يعدل فيها فهي إليكم رد ولا بيعة لكم عندي فادفعوا لمن أحببتهم فإنما أنا رجل منكم) .

ولما كان عمر في النزاع الأخير جعل الأمر شورى في ستة من المسلمين فأشار عليه المغيرة بن شعبة بابنه عبد الله بن عمر ، ليكون خليفة ، فغضب عمر ورد عليه قائلاً : " قاتلك الله ، والله ما أردت الله بهذا ، لا إرب لنا في أموركم ، وما حمدتها فأرغب فيها لأحد من أهل بيتي ، إن كان خيراً أصبنا منه ، وإن كان شراً فبحسب آل عمر أن يحاسب منه رجل واحد ، ويسأل عن أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أما لقد جهدت نفسي ، وحرمت أهلي ، وإن نجوت كفافاً لا وزر ، ولا أجر إني لسعيد " ، ولما ولى عمر بن عبد العزيز ، جاءه صاحب الشرطة ليسير بين يديه بالحربة على عادته مع الخلفاء قبله ، فقال له عمر :

مالي ولك ؟ تتح عني ، إنما أنا رجل من المسلمين ثم سار وساروا معه حتى دخل المسجد ، فصعد المنبر واجتمع الناس إليه فقال : أيها الناس قد ابتليت بهذا الأمر عن غير رأي كان مني فيه ولا طلبية له ، ولا مشورة من المسلمين ، وإنني قد خلعت ما في أعناقكم من بيعتي ، فاختراروا لأنفسكم ، ولأمركم من تريدون ، فصاح المسلمون صيحة واحدة : قد اخترناك لأنفسنا ولأمرنا ورضينا كلنا بك " إلى غير ذلك من الأخبار المشحونة بها كتب التاريخ .

6- التذكير بمكانة ومنزلة الدنيا من الآخرة ، على نحو ما جاء في كتاب الله - عز وجل - وعلى لسان النبي صلى الله عليه وسلم:

إذ يقول المولى عز وجل - عن هذه المنزلة ، وتلك المكانة :

{ قل متاع الدنيا قليل ، والآخرة خير لمن اتقى } ، { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } ، { يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الدار الآخرة هي دار القرار } ، { زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن الثواب } .

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبه في اليم ، فلينظر بما يرجع " ، " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء " ، فإن هذا التذكير قد يحمل العقلاء على أن يكونوا مغمورين بعيداً عن أي صدارة أو ريادة ، حتى يخرجوا من هذه الدنيا سالمين غانمين فيظفروا غداً برضوان الله سبحانه والجنة .

الآفة الحادية عشر - ضيق الأفق أو قصر النظر

والآفة الحادية عشرة التي يبنتلى بها كثير من العاملين ، ويعانى منها العمل الإسلامي أشد المعاناة ، إنما هي : ضيق الأفق أو قصر النظر وحتى نسهم في اقتلاع هذه الآفة من النفوس من ابتلوا بها وتحسين الآخرين ضدها ، ويسلم من شرها العمل الإسلامي ، فإنه لابد من تقديم تصور دقيق واضح على النحو التالي :

أولاً : مفهوم ضيق الأفق أو قصر النظر

ضيق الأفق لغة : الأفق لغة واحد الآفاق التي هي الجهات أو النواحي ، قال تعالى { سنريهم آياتنا في الآفاق } و النظر هو تأمل الشيء بالعين ، قال تعالى { أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت } ، وهو كذلك تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته ، قال تعالى { أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شئ } وتبعاً لما ذكرنا ، فإن ضيق الأفق في اللغة ، يعنى انحسار أو انكماش جهة أو ناحية النظر والتأمل وكذلك قصر النظر يعنى ضعف أو اختلال البصر و البصيرة أو هما معاً .

ضيق الأفق اصطلاحاً : أما مفهوم ضيق الأفق أو قصر النظر في الاصطلاح الشرعي و الدعوى فهو ضعف أو خلل في البصيرة يؤدي إلى حصر التفكير أو الرؤية في حدود ضيقة لا تتجاوز المكان و الزمان ، أو بعبارة أخرى ، هو ضعف أو خلل في البصيرة يؤدي إلى رؤية القريب وما تحت القدمين فقط ، دون النظر إلى البعيد ، ودون تقدير الآثار و العواقب ، قال تعالى { أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها ، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور } .

ثانياً : أسباب ضيق الأفق أو قصر النظر :

ولضيق الأفق أو قصر النظر أسباب تؤدي إليه ، وبواعث توقع فيه ، نذكر منها :

1- النشأة الأولى :

فقد ينشأ الإنسان في بيئة لا تهتم كثيراً بتنمية الذكاء الفطري أو المواهب لدى أفرادها فتكون العاقبة انحسار دائرة التفكير أو النظر أو التأمل إلا من رحم الله - عز وجل - .

2- صحبة نفر من ذوى الأفق الضيق و النظر القصير :

وقد يحيط بالإنسان صحبة ذات أفق ضيق ، ونظر قصير ، فتسرى آثار ذلك إلى هذا الإنسان ، فإذا به يواجه كل المواقف بنفس النمط ، وعلى هذا المنوال ، إذ المرء على دين خليله .

3- الانزواء أو العزلة :

وقد يؤثر الإنسان العزلة و الانزواء ، إما لعدم القدرة على التوفيق بين الفردية و الجماعية ، وإما إثارة للعافية و السلامة ، ومثل هذا وإن جنى كثيراً من ثمار العزلة أو التفرد ، فإنه يخسر أول ما يخسر الخبرة أو التجربة ، تلك التي تستفاد من ملازمة الجماعة والارتقاء في أحضانها ، و التي تساعد على اتساع الأفق ، وبعد النظر ، وحين يخسر الإنسان الخبرة ، فإنه يظل ذا أفق ضيق ، ونظر قصير محدود .

4- عدم الفهم لدور أو لرسالة الإنسان في الأرض :

وقد لا يفهم الإنسان دوره أو رسالته في الأرض ، من أنه خليفة فيها { وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .. } وأن هذه الخلافة إنما هي سيادة { هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها } وعبودية { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } ، وإن تحقيق هذا الدور أو الرسالة يقتضي التبصر و التدبر { وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون } ، و العمل الدائم بالليل و النهار { وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله و المؤمنين } ، وقد لا يفهم الإنسان ذلك كله ، فيقع و ينام ، أو ينطلق على غير هدى وبصيرة ، وأنى لهذا أن يكون واسع الأفق بعيد النظر ؟ .

5- عدم الفهم لحقيقة ومضمون الإسلام :

وقد لا يفهم المسلم حقيقة ومضمون الإسلام ، من أنه دين شامل للحياة جميعاً ، وإلى قيام الساعة : { اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً } وأن الدعوة إليه ، و التمكين له في الأرض يقتضي الحكمة التي من لوازمها اتساع الأفق ، وبعد النظر ، كما قال سبحانه وتعالى { قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني } ، { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و

الموعظة الحسنة { وقد لا يفهم المسلم ذلك فيدعو إلى هذا الإسلام ، ويعمل على التمكين له دون أن يجهد نفسه في تحصيل الحكمة ، وأنى لمن حرم الحكمة أن يكون واسع الأفق بعيد النظر ؟ .

6- عدم الإلمام بواقع الأعداء وأسلوبهم في العمل :

وقد يكون المسلم غير ملم بواقع الأعداء ، وأسلوبهم في العمل من أنهم كثرة ، وأن لديهم العتاد والعدد ، وأن أسلوبهم في العمل يقوم على الدهاء والمكر والخديعة ، قد لا يلم المسلم بذلك كله ، فتضيع عليه فرصة اكتساب الخبرة والدراية والتجربة ، وأنى لمن لم يكتسب خبرة ولا دراية ولا تجربة أن يكون واسع الأفق بعيد النظر ؟ .

7- الإعجاب بالنفس ، بل الغرور والتكبر :

وقد يكون الإنسان معجباً بنفسه ، مغوراً متكبراً فيحمله ذلك على الترفع ، والاستعلاء أن يكتسب من غيره الخبرة أو مهارة أو تجربة ، فيبقى طول حياته محدود الأفق قصير النظر .

8- الغفلة عن العواقب أو الآثار المترتبة على ضيق الأفق ، أو قصر النظر ، وقد يكون المسلم غافلاً عن العواقب أو الآثار المترتبة على ضيق الأفق ، أو قصر النظر ، فيقتنع بما هو عليه دون أن يجهد نفسه ، أو أن يعمل فكره في تلاشي هذه العواقب ، أو تلك الآثار ، ومثل هذا يظل طول حياته ضيق الأفق ، محدود النظر .

9- الجهل بأخبار وحوادث الماضين :

وقد يكون المسلم جاهلاً بأخبار وحوادث الماضين وكيف كانوا يتصرفون بإزاء المواقف المباشرة أو المفاجئة ، ومثل هذا يعيش محروماً من الخبرة والدراية والتجربة ، التي هي أساس اتساع الأفق ، وبعد النظر ، وصدق الله - سبحانه وتعالى - الذي يقول عن أخبار وحوادث الماضين :

{ لقد كان في قصصهم عبرة لأولئك الذين لا يبالون } ، { فاقصص القصص لعلهم يتفكرون } .

10- ضعف الصلة بالله - عز وجل -

وقد يكون المسلم ضعيف الصلة بالله - عز وجل - بأن يكون غير محترز من المعاصي والسيئات ، لاسيما الصغائر منها ، أو أن يكون مفرطاً في عمل اليوم والليلة ، أو أن يكون مهملأً لجانب فعل الخيرات ، فيعاقب على ذلك كله بالحرمان من الحكمة التي هي أساس سعة الأفق وبعد النظر .

ولعل ذلك هو المفهوم من قوله تعالى في كتابه الحكيم :

{ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً } ومن قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي يقول الله تعالى : " من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته " .

ثالثاً : مظاهر أو سمات ضيق الأفق أو قصر النظر :

ولضيق الأفق أو قصر النظر مظاهر أو سمات يعرف بها وتدل عليه نذكر منها :

1- التبرم الشديد بالمنهج الدعوى أو الحركي الذي ارتضته الحركة الإسلامية المعاصرة ، من أجل التمكين لدين الله في الأرض ، ووصف هذا المنهج بالتخلف ، وعدم القدرة على مواكبة ظروف ومستجدات العصر ، بل ووصف القائمين عليه بالركون إلى الدنيا إثارةً للعافية والسلامة .

2- حصر الجهد في جوانب ، وإن كانت مفيدة إلا أنها ثانوية ، تستهلك طاقة كبيرة ، ووقتاً طويلاً ، مثل العمل على بناء مسجد أو إنشاء جمعية خيرية ، أو إلقاء موعظة ، أو تأليف كتاب ، أو قراءة

ومطالعة ، أو عيادة مريض ، أو محاولة جمع الناس على رأي واحد في مسائل الفروع ، أو المسائل المختلف فيها ، وهكذا دواليك .

3- الصلابة أو الشدة عند التقصير في سنة من السنن ، أو هينة من الهينات ، و السكوت وعدم تغيير القلب أو تمرع الوجه عند تضيق فريضة من الفرائض ، أو واجب من الواجبات ، فتراه مثلاً يقيم الدنيا ولا يقدها على من لا يهتم بتقصير ثيابه ، أو لا يحافظ على السواك ، أو لا يلبس الساعة في اليد اليمنى ، ولا تتحرك فيه شعرة عندما يرى حكم الله معطلاً في الأرض ، وأهل الباطل يصدون عن سبيل الله ، ويسومون أولياء الله سوء العذاب .

4- علاج المشكلات التي تعاني منها الأمة الإسلامية بطريق تعاطي المسكنات دون البحث عن أصل الداء ، وسبب العلة ، ثم اجتثاث هذا الأصل ، أو هذا السبب من جذوره ، فمثلاً نسمع ونرى علاج مشكلة الحانات والبارات ومراكز الفيديو الداعرة ، إنما يكون بالتكسير وإشغال الحرائق ، وحقيقة العلاج يجب أن ينصرف إلى إيجاد السلطان الذي يقيم شرع الله في الأرض ، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن ، ثم إحداث وعي في الأمة بغير العرف العام ويجعلها تحمل مسئولية أو أمانة تطبيق شرع الله بنفسها .

5- استعجال النتائج أو قطف الثمار قبل أوانها ن وقد قيل : من استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .

رابعاً : آثار ضيق الأفق أو قصر النظر :

ولضيق الأفق أو قصر النظر آثار سيئة وعواقب وخيمة على العاملين ، وعلى العمل الإسلامي وهاك طرفاً منها :
آثار ضيق الأفق على العاملين :
فمن آثار ضيق الأفق أو قصر النظر على العاملين :

1- تبديد الجهود وإهدار الطاقات

فالأثر الأول : تبديد الجهود وإهدار الطاقات في أمور نافعة مفيدة لكنها ثانوية بل هامشية ، وإذا بددت الجهود ، وأهدرت الطاقات في مثل هذه الأمور ، فإن المسلم العامل سيعجز بعد ذلك ويفقد القدرة على مواجهة المهام الجسام ، و التبعات الضخمة .
ولعل هذا الأثر هو المفهوم من توجيه القرآن للمسلمين أول مرة : أن يقيموا الإسلام في أنفسهم وأن يحسنوا الترابط فيما بينهم { قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى } ، { قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها } ، دون أن يستجيبوا لأي إثارة أو يردوا على أي أذى أو اضطهاد يوجه إليهم من عدوهم :
{ ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ... } ، { ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين } .
كل هذا من أجل أن تنمو طاقاتهم ، وتتضاعف جهودهم بل ويحتفظ بهذه الجهود وتلك الطاقات لتوجه نحو النافع والمفيد في الوقت المناسب وفي اللحظة المناسبة ، وقد كان ... فإن أولئك الذين جاهدوا أنفسهم وترابطوا فيما بينهم ، وأوذوا فصبروا طوال المرحلة في بدر ، رغم عدم التكافؤ بين الفريقين ، لا في العدد ولا في العدة ، وسجلت لهم صور تدل على مدى امتلائهم وشحنهم من داخلهم ضد أعداء الله وأعدائهم ، ولعل من أبرز هذه الصور ما صنعه بلال بن رباح مع أمية بن خلف ، إذ يقول عبد الرحمن بن عوف :
" كاتبت أمية بن خلف كتاباً بأن يحفظني في صاغيتي (خاصتي) بمكة ، وأحفظه في صاغيته بالمدينة ، فلما ذكرت الرحمن ، قال: لا أعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية ، فكاتبته : عبد عمرو ، فلما كان في يوم بدر ، خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس ، فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال : أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا أمية ، فخرج معه فريق من الأنصار في آثارنا ، فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه لأشغلهم ، فقتلوه ، ثم أتوا حتى يتبعونا ، وكان رجلاً ثقيلاً ، فلما أدركونا قلت له ابرك فبرك فألقيت عليه نفسي لأمنعه فتخللوه بالسيوف من تحتي حتى قتلوه ، وأصاب أحدهم رجلي بسيفه .

2- اليأس و القنوط :

والأثر الثاني هو اليأس و القنوط ، وذلك أن ضيق الأفق أو قصر النظر سيواجه في طريقه كثيراً من العقبات و الصعاب ، ولن يستطيع - لضيق أفقه أو لقصر نظره - استيعاب هذه العقبات وتلك الصعاب ، ومحاولة التغلب عليها وتكون النتيجة : اليأس و القنوط ، بله القعود عن أداء الدور والقيام بالواجب ، ولعمري ذلك هو أهم ما يسعى إليه أعداء الله ، ليخلوا لهم الجو ويفسح أمامهم المجال : " خلا لك الجو فيبضي واصفري " .

3- قلة بل تلاشى كسب الانتصار و المؤيدين :

والأثر الثالث إنما هو قلة بل تلاشى كسب الانتصار و المؤيدين ، ذلك أن ضيق الأفق أو قصر النظر نادراً ما يصادفه التوفيق و النجاح ، ومن يفقد التوفيق و النجاح لا يبقى لديه ما يغري به الناس ، حتى يكسب منهم نصيراً ، أو على الأقل مؤيداً ، و الواقع يؤيد ذلك ، فكم من ضيق أفق أو قصير نظر يعيش ويموت وليس من حوله إلا أفراداً يعدون على الأصابع ، فضلاً عن نفور كثير من الناس منه ، وإعراضهم عنه .

4- الحرمان من التوفيق الإلهي :

والأثر الأخير هو الحرمان من التوفيق الإلهي ، ذلك أن ضيق الأفق أو قصير النظر ، يريد من كل الناس السير وفق تصوره الضيق ورويته المحدودة ، ولن يستجيب له الناس ، وحينئذ يسلمهم بالسنة حداد ، ويجعل من لحومهم غذاءً شهياً ، وأنى لمن يلغ في أعراض الناس ، ويعيش على لحومهم أن يمنحه ربه توفيقاً أو تأييداً ؟

آثار ضيق الأفق على العمل الإسلامي :

ومن آثار ضيق الأفق أو قصر النظر على العمل الإسلامي :

1- التشويه :

ذلك أن ضيق الأفق وقصر النظر سيوجه العمل الإسلامي إلى علاج المشكلات عن طريق المسكنات دون النظر في الأسباب وبترها من جذورها على النحو الذي ذكرنا آنفاً ومثل هذه الأسلوب في العمل غير مجد فضلاً عما سيصاحبه من طول الطريق وكثرة التكاليف وحينئذ يجدها أعداء الله فرصة للتشويه وتقديم الإسلام وصورة العمل له على أنها غير قادرين على مواجهة مشكلات العصر ووضع الحلول المناسبة لها .

(2) المصادر :

وذلك أن العمل الإسلامي يواجه كثيرا من العقبات والصعاب التي يضعها أعداء الله في طريقه وضيق الأفق أو قصر النظر سيؤدي إلى الصدام بهذه العقبات وتلك الصعاب وعدم القدرة على استيعابها أو تحايل عليها وحينئذ تكون المصادرة وعدم السماح بالاستمرار.

(3) الضرب أو على الأقل الإجهاض :

وذلك أن ضيق الأفق أو قصر النظر سيحرم العمل الإسلامي من الأنصار المؤيدين بل من التوفيق والعون الإلهي ويوم يحرم العمل الإسلامي من ذلك فإنه يسهل على أعداء الله ضربه أو على الأقل إجهاضه والرجوع به إلى الوراء عشرات السنين .

خامسا : علاج ضيق الأفق أو قصر النظر :

هذا ويمكن علاج ضيق الأفق أو قصر النظر بل والتحسين ضده باتباع الأساليب التالية :

(1) التعويد على حمل المسؤولية في الصغر ومنذ نعومة الأظفار فإن ذلك يكسب الإنسان كثيرا من الخبرات والتجارب وينمي لديه مواهبه أو ذكائه الفطري فإذا شب بعد ذلك كان واسع التصور بعيد الرؤية .

ولنا في أنبياء الله ورسله لا سيما محمد صلى الله عليه وسلم الأسوة والقوة إذ حملوا بأنفسهم مسؤولية الحياة في الصغر ومنذ نعومة أظفارهم الأمر الذي ساعد على تنمية مواهبهم وقدرتهم على سياسة النفوس وإصلاحها بعد الرسالة وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى هذا الأسلوب التربوي حين قال : (ما بعث الله نبيا إلا رعى الغنم) فقال أصحابه : وأنت فقال (نعم كنت أراها على قراريط لأهل مكة) .

(2) اقتلاع النفس من بين ذوى الأفق الضيق والنظرة المحدودة والارتقاء في أحضان أصحاب الخبرات والتجارب الذين اتسموا بسمعة التصور الواسع والرؤية البعيدة وملزمة هؤلاء دوما مع التواضع وخفض الجناح لهم فإن ذلك يؤدي بمرور الزمن إلى تنمية المواهب الفطرية وتعلم الحكمة التي يعد اتساع الأفق أو يعد النظر أمانة من أماراتها وسمعة بارزة من سماتها .

(3) الفهم الدقيق لرسالة الإنسان ودوره في الأرض وسبيل القيام بهذا الدور وهذه الرسالة .

(4) الفهم الدقيق لحقيقة ومضمون الإسلام وسبيل العمل أو التمكين له في الأرض فإن هذا الفهم كثيرا ما يحمل على جمع الهمة من أجل التطبيق والتنفيذ الأمر الذي يساعد على سعة الأفق وبعد النظر .

(5) الإمام التام بواقع الأعداء وسبيلهم أو مناهجهم في العمل فإن هذا الإمام كثيرا ما يحمل صاحبه على قدح زناد الفكر والاحتيايل من أجل إبطال هذه السبيل أو هذا النهج وذلك هو ما نعينه بسعة الأفق وبعد النظر .

(6) معايشة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سيرته فإنها حافلة بالكثير من المواقف التي تساعد على سعة الأفق وبعد النظر وحسبنا من هذه المواقف ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم من أنه لم يحطم الأصنام الموجودة في جوف الكعبة وعلى سطحها إلا في العام الثامن من الهجرة يوم فتح مكة لأنه كان يرى أن البدء بتحطيم هذه الأصنام قبل تحطيم الأصنام الموجودة بداخل النفوس تلك التي توجه وتدعو إلى الشرك والإثم والرذيلة سيساعد على إعادة بناء هذه الأصنام من الذهب بدلا من الحجارة بل سيضعاف من عددها لذا تركها وعمل إلى إصلاح النفوس من داخلها تطبيقا لقوله تعالى { إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم } حتى إذا صلحت هذه النفوس واستقامت على منهج الله وترابطت فيما بينها قادها صلى الله عليه وسلم وفتح بها مكة وحطم بها هذه الأصنام وكذلك ما أثر عنه صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية إذ قبل هذا الصلح رغم القسوة التي انطوت عليها شروطه حتى ضايق ذلك كثيرا من الصحابة وعلى رأسهم عمر رضي الله تعالى عنه لأنه صلى الله عليه وسلم كان ينظر بعين النبوة وكان يرى أن هذه الشروط وإن بدا أنها قاسية فإنها ستسفر عن خير كثير للمسلمين وذلك هو ما أكده الواقع فقد زاد عدد المسلمين بعد الحديبية إلى أضعاف أضعاف ما كانوا قبله حسبنا أن عدد المقاتلين في غزوة الخندق وهي التي كانت في السنة الخامسة من الهجرة كان ثلاثة آلاف وإذا به يصل يوم فتح مكة إلى عشرة آلاف وما حدث هذا بسبب التزاور والاختلاط بين الفريقين وإطلاع المشركين على أخلاق المسلمين وأحوالهم نتيجة الهدنة ووضع الحرب بين الفريقين لعشر سنوات وكذلك جاء المشركون بعد فترة من إبرام هذا الصلح يطالبون بإلغاء شرط (ومن جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مسلما رده إلى المشركين) بعد ما أذاقهم أبو بصير ورفاقه الأمرين وبعد ما قطعوا طريق تجارتهم حتى اضطروهم إلى أكل الجيف والميتة وأوراق الشجر من شدة الجوع .

هذه المواقف وغيرها تعلم كيف تكون سعة الأفق وبعد النظر .

(7) حسن الصلة بالله عز وجل من ترك للمعاصي والسيئات صغيرها وكبيرها ومن المواظبة لي عمل اليوم والليلة ومن التفاني في فعل الخيرات فإن ذلك يورث الحكمة التي عنوانها : سعة الأفق وبعد النظر .

(8) دوام الاطلاع على خبرات وتجارب الماضين فإنها مشحونة بالكثير والكثير الذي يكسب الخبرات والتجارب وينمي المواهب والقدرات وحسبنا في هذا المقام ما أثر عن الحافظ أبي الفرج المعروف بابن الجوزي ت 597 إذ سألته رافضي في مجلس وعظ عام قائلا

له : (يا سيدي : نريد كلمة ننقلها عنك أيهما أفضل أبو بكر أو علي ؟ وأدرك أبو فرج خبث السؤال وخطورته فرد على الفور : (أفضلهما من كانت بنته تحته).

وهذه العبارة محتملة للوجهين لذا فهي ترضى الفريقين : الرافضة وأهل السنة وما كان هذا الجواب إلا لسعة الأفق وبعد النظر .
وحسبنا أيضا ما قاله الشيخ حسن البنا ردا على مؤلف كتاب (أحداث صنعت التاريخ) وقد حمل إليه مقالا كتبه يبطل فيه المقال الذي نشره سيد قطب في جريدة الأهرام في أواخر الثلاثينات حيث دعا سيد قطب في هذا المقال دعوة صريحة إلى العري التام وأن يعيش الناس عرايا كما ولدتهم أمهاتهم قرأ الشيخ حسن البنا الرد ثم أطرق طويلا على غير عادته والتفت إلى كاتب مقال الرد واسمه (محمود) وقال له : يا محمود إن المقال متين الأسلوب قوى الحجة جدير أن ينشر وقد سبق أن أجزت لك بعض ما نشرته في بعض الصحف اليومية ولكن في هذه المرة مرت بخاطري عدة خواطر أحب أن أعرضها عليك فقال:

أولا : لاشك أن فكرة المقال مثيرة تجرح قلب المؤمن .
ثانيا : كاتب هذا المقال شاب متأثر بالبيئة التي تعرفها ونعرفها وهي التي تغذيه بمثل هذه الأفكار .
ثالثا : إن هدف هذا الشاب من كتابة هذا المقال ليس مجرد التغيير عما يؤمن به وإنما هو محاولة جذب الأنظار إليه على أساس عرفهم من أن الغاية تبرر الوسيلة .

رابعا : إن قراء الأهرام عدد محدود بالنسبة لسكان هذه البلاد يعني بها مصر وليس كل قراء الأهرام قد قرأوا هذا المقال فأكثر قراء الأهرام لا يقرأون فيه إلا الأخبار وأكثر الذين قرءوا المقال لم يستوعبوا فكرته لأنهم اعتادوا قراءة المقالات غير الرئيسية قراءة عابرة .

خامسا : إذا نشرنا ردا على هذا المقال في الأهرام كانت لذلك النتائج الآتية :
(أ) سيثير نشر الرد اهتمام الذين لم يقرءوا المقال الأصلي إلى البحث عنه وقراءته كما سيدفع الذين قرأوه قراءة عابرة أن يقرأوه مرة أخرى قراءة متأنية وسيبرز بذلك فكرة المقال في مختلف المجتمعات وتكون موضوع مناقشة واهتمام ونكون بذلك قد عملنا من حيث لا نقصد على تحقيق مأرب صاحب المقال من جذب الأنظار إليه وجعل اسمه على الألسنة .

(ب) نكون من غير قصد قد تسببنا في لفت الأنظار إلى لون من الرذائل ربما علقت به بعض النفوس الضعيفة ولو لم نرد عليه لمرت الدعوة إلى هذه الرذائل في غفلة من الناس غير معارة أي اهتمام ولطمرت في طيات النسيان .

(ج) الرد نوع من التحدي يخلف في نفس المرء المردود عليه نوعا من العناد وهذا العناد يجعله يتعصب لرأيه مهما اقتنع بخطنه ونكون بذلك قد قطعنا عليه خط الرجعة وفي هذا خسارة نحن في غنى عنها .

وهذا الكاتب شاب وترك الفرصة أمامه للرجوع إلى الحق خير من إحراجه وما يدريك لعل هذا الشاب يفيق من غفلته ويفي إلى الصواب ويكون ممن تنتفع الدعوة بجهوده في يوم من الأيام ثم قال : ما رأيك في هذه الخواطر ؟ قلت - أي كاتب الرد - إنها مقنعة تمام الإقناعومزقت الرد بين يديه.

وتمر الأيام ويصير (سيد قطب) رحمة الله علما من أعلام الدعوة الإسلامية بل شهيدا من شهدائها .
ولعل السر في ذلك هو توفيق الله أولا ثم هذه البصيرة النافذة والرأي الملهم للذين كان يتمتع بهما الشيخ حسن البنا رحمة الله تعالى .
وحسبنا كذلك ما قاله داعية ملهم لشابيين من شباب هذا العصر الملتزم بالإسلام عن ضيق أفق وقصر النظر وقد رأهما يختلفان على مقدار الممسوح من الرأس أهو شعرات أم الربع أم النصف أم الرأس كله ؟ ووصل الاختلاف إلى أحد التراسق بالكلام بل إلى حد الضرب قال لهما : احميا هذه الرأس من القطع أولا فإن هناك مؤامرة من قلب أعداء الله على قطعهما ثم بعد ذلك اختلفا في مقدار الممسوح منها .

(9) النظر في عواقب قصر النظر أو ضيق الأفق سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي إلى النحو الذي شرحنا آنفا فلعل ذلك يشحذ الهمم أو يحرك العزائم فتسعى إلى السعة الأفق ونفاذ البصيرة .

الأفة الثانية عشرة - ضعف أو تلاشى الالتزام

الأفة الثانية عشرة التي يبتلى بها نفر من العاملين وتكون ذا أثر خطير عليهم وعلى العمل الإسلامي إنما هي : ضعف أو تلاشى الالتزام ، وحتى نسهم في اقتلاع هذه الأفة من النفوس التي ابتلت بها وحتى نحمل النفوس الأخرى التي عافاها الله عز وجل منها فإنه لا بد من تقديم تصور واضح أو قريب من الواضح عنها وذلك على النحو التالي :

أولاً: مفهوم ضعف أو تلاشى الالتزام :

ضعف أو تلاشى الالتزام لغة : يطلق الالتزام في اللغة على عدة معان منها:
(أ) الاستمسك أو الاعتناق والالتصاق بالشئ تقول: التزم الشئ وبالشئ تعنى : استمسك به أو اعتنقه والتصق به وفي لسان العرب : (والالتزام : الاعتناق) ومنه في الحديث الشريف : أنه صلى الله عليه وسلم مازال يهتف بربه يوم بدر ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداؤه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذاك أو كفاك مناشدتك ربك)

ومنه أيضاً قول عبد الله بن مغفل في الحديث : (أصبت جراباً من شحم يوم خيبر قال : فالتزمه فقلت : لا أعطى اليوم أحداً من هذا شئنا قال : فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مبتسماً).

(ب) الفرض أو الإيجاب على النفس تقول التزم الشئ أو الأمر : أوجبته على نفسه والتزم فلان للدولة : تعهد أن يؤدي قدراً من المال لقاء استغلاله أرضاً من أملاكها فهو ملتزم.

وعليه فإن ضعف أو تلاشى الالتزام في اللغة إنما هو التقصير في الاستمسك بالشئ أو اعتناقه والالتصاق به أو عدم الاستمسك بالشئ والالتصاق به أو اعتناق له بالمرة وهو أيضاً التقصير أو عدم الوفاء بالمرة بما يوجبه أو يفرضه المرء على نفسه .
اصطلاحاً : أما ضعف وتلاشى الالتزام في اصطلاح العلماء و الدعاة فهو التقصير أو عدم الوفاء بما يتعهد به المسلم أو يفرضه ويوجبه على نفسه من الصالحات ، حين يرضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً ، بل حين يرضى أن يكون في صفوف الدعاة ، وضمن قافلة العاملين من أجل التمكين لمنهج الله في الأرض .

ثانياً : مظاهر الضعف أو تلاشى الالتزام :

ولضعف أو تلاشى الالتزام مظاهر تدل عليه ، وسمات يعرف بها نذكر منها :

- 1- عدم الدقة أو عدم الانضباط في الحديث و الموعد .
 - 2- إصدار الأحكام دون تثبت أو تبين .
 - 3- الفجور في الخصومة أو عدم رعاية أدب الخلاف .
 - 4- الإصغاء إلى الإشاعات والأراجيف .
 - 5- نبذ الطاعة إلا فيما يوافق الهوى النفس .
 - 6- عدم النهوض بالبيت من الأهل و الولد إلى المستوى المنشود .
 - 7- عدم رعاية الآداب أو السلوكيات الاجتماعية .
 - 8- عدم التضحية سواء بالنفس أو بالمال أو بهما معاً .
 - 9- عدم الدقة أو عدم الانضباط في الحركة .
 - 1- إهمال النفس من التنقية و التزكية .
 - 11- استعجال النصر دون تأن أو ترو أو تأهب .
 - 12- الاجتهاد فيما لا مجال فيه للاجتهاد .
 - 13- عدم الثبات أمام مطامع الحياة الدنيا ، وعند المحن و الشدائد .
 - 14- إهدار حقوق الأخوة .
 - 15- التدخل فيما لا يعنى .
- وهلم جراً .

ثالثاً : أسباب ضعف أو تلاشى الالتزام :

وهناك أسباب وبواغث تؤدي إلى ضعف أو تلاشى الالتزام نذكر منها :

1- عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم الالتزام :

ذلك أن عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم أي أمر من الأمور يؤدي إلى رفضه ، بل ومعاداته كما قال الله عز وجل { بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله } .

وعليه فإن عدم الفهم ، أو الفهم مع عدم الإدراك القلبي لأبعاد ومعالم الالتزام سينتهي حتماً بصاحبه إلى التقصير وعدم الوفاء بما يقتضيه الدخول في صفوف المسلمين ، بل في صفوف الدعاة والعاملين.

ولعل ذلك هو السر في افتتاح آي التنزيل بالدعوة إلى الفهم ، و الفهم الصحيح الواعي المستنير { اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم } .

2- الوسط الضعيف الالتزام أو غير ملتزم :

وقد تلقى الأقدار بالمسلم في وسط ضعيف الالتزام أو غير ملتزم بالمرة ، فيأخذ في الإقتداء و التأسى ، أو على الأقل في المحاكاة والمشابهة ، لاسيما إذا كان هذا الوسط ممن يقتدي أو يتأسى به وتكون النتيجة ضعف أو تلاشي الالتزام . ولعل هذا السبب يكشف لنا عن السر في تأكيد الإسلام على الأسوة و القدوة الطيبة ، وذمه للأسوة و القدوة السيئة ، إذ يقول سبحانه { يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيراً ومن يفتت منكن الله ورسوله ، وتعمل صالحاً نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً } .

فيضاعف سبحانه لهن العقاب على السيئة ، و الثواب على الحسنة بسبب جو الطهر و العفاف الذي يعيش فيه و الذي يساعد على الطاعة و التقوى ، وبسبب أن غيرهن يقتدي بهن فيكون عليهن عقاب معصيتهن ، وعقاب معصية من اقتدى بهن ، وكذلك يكون لهن ثواب طاعتهم و ثواب طاعة من اقتدى بهن جزاء وفاقاً ، لاسيما وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : " من دعا إلى هدى كان له من الجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً " .

و الدعوة كما تكون بالقول تكن بالسلوك { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة ... } وإذ جاء عن عمر - رضى الله تعالى عنه - أنه رأى على طلحة بن عبيد الله ثوباً مصبوغاً وهو محرم ، فقال عمر : ما هذا الثوب المصبوغ يا طلحة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنما هو مدر ، فقال عمر : إنكم أيها الرهط أئمة يقتدي بكم الناس ، فلو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال : إن طلحة بن عبيد الله كان يلبس الثياب المصبغة في الإحرام ، فلا تلبسوا أيها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة .

3- ضعف الإيمان :

وقد يكون ضعف الإيمان ونزول مستواه في نفس المسلم ، هو السبب في ضعف أو تلاشي الالتزام ذلك أن الإيمان هو مصدر الطاقات المتجددة بل هو الحارس و الحامي لصاحبه من أن يهمل أو يقصر ، أو يصير على الأخطاء ، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم لمن قال له : إنك تواصل يا رسول الله : " وأيكم مثلى ؟ إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني " فقد بين جمهور علماء المسلمين المراد من هذا الكلام قائلين :

" قوله يطعمني ربي ويسقيني مجاز عن لازم الطعام و الشراب ، وهو القوة ، فكأنه قال : يعطيني قوة الأكل الشارب ، ويفيض على ما يسد مسد الطعام و الشراب ، ويقوى على أنواع الطاعة من غير ضعف في القوة ولا كلال في الإحساس ... " وقال ابن حجر : " ويحتمل أن يكون المراد بقوله : " يطعمني ربي ويسقيني " أي يشغلني بالتفكير في عظمته و التملّي بمشاهدته ، و التغذى بمعارفه و قرة العين بمحبته ، والاستغراق في مناجاته والإقبال عليه عن الطعام و الشراب " .

وقال ابن القيم : " ... إن المراد به ما يغذيه الله به من المعارف وما يفيض على قلبه من لذة مناجاته و قرة عينه بقربه وتنعمه بحبه و الشوق إليه وتوابع ذلك من الأحوال التي هي غذاء القلوب ، ونعيم الأرواح ، و قرة العين ، وبهجة النفوس ، و الروح و القلب بما هو أعظم غذاء وأجوده وأنفعه ، وقد يقوى هذا الغذاء حتى يغنى عن غذاء الأجسام مدة الزمان ، كما قيل :

عن الشراب وتلهيها عن الزاد
ومن حديثك في أعقابها حاد
روح القدوم فتحيا عند ميعاد

لها أحاديث في ذكراك تشغلها
لها بوجهك نور يستضاء به
إذا شكت من كلال السير أو عداها

ومن له أدنى تجربة وشوق يعلم استغناء الجسم بغذاء القلب و الروح عن كثير من الغذاء الحيواني ... ، وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن " يعني : لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان .

وعليه ... فإن المسلم إذا ترك هذا الإيمان بدون تجديد وتعهد فإن جذوته تخبو أو تضعف في النفس وتكون العاقبة ضعف أو تلاشي هذا الالتزام .

ولعل هذا السبب يضع أيدينا على الحكمة من وراء دعوة الإسلام إلى ضرورة تعهد الإيمان في القلب ، وعدم إهماله ولو لحظة من نهار ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم : " إن الإيمان ليخلق في جوف أحدهم كما يخلق الثوب ، فسلوا الله تعالى أن يجدد الإيمان في قلوبكم " ، " جددوا إيمانكم " قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا ؟ قال : " أكثروا من قول لا إله إلا الله " .

4- إقبال الدنيا و التعلق بها :

وقد يكون إقبال الدنيا ببريقها وزخارفها من الأموال والأولاد و الشهادات و الوظائف و المركز و الجاه وتعلق القلب بها هي السبب في ضعف أو تلاشي الالتزام ذلك أنه { ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه } وعليه فإذا أقبلت الدنيا ، وكان الاشتغال و التعلق بها لم يبق هناك وقت ولا طاعة ولا فكر يساعد على الالتزام والالتزام الدقيق ، وحينئذ يكون ضعف أو تلاشي الالتزام .

ولعل هذا هو سر تحذير الإسلام الشديد من إقبال الدنيا و التعلق بها ، إذ يقول الحق - سبحانه وتعالى - { يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } ، { يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور } ، وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم " ، " وانظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم " ، وفي رواية " إذا نظر أحدكم إلى من فصل الله عليه في المال و الخلق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه " ، " إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء ، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء " ، " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ... "

5- المحن و الشدائد :

وقد تكون المحن و الشدائد في داخل الصف أو من خارجه هي السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ، ذلك أن المحنة أو الشدة عندما تنزل بالإنسان فإنها تزلزل كيانه ، وتكاد تعصف به إلا من رحم الله ، لاسيما إذا كان نزولها خالياً من الترقب والاستعداد ، ومعرفة طريق الخلاص ، وسبيل المواجهة ، وحينئذ يشغل بها عن دوره الحقيقي ورسالته السامية ويكون ضعف أو تلاشى الالتزام . ولعل هذا هو سر حديث الإسلام المتكرر عن المحن و الشدائد وكيفية التعامل معها ، غذ يقول الحق - تبارك وتعالى - { ولنبلونكم بشيء من الخوف و الجوع ونقص من الأموال والأنفس و الثمرات و بشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون } ، { إن تمسكم حسنة تسوهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ، وإن تصبروا و تنتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط } ، { لنبلون في أموالكم و أنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً ، وإن تصبروا و تنتقوا فإن ذلك من عزم الأمور } ، { الذين آمنوا و هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوطانهم في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تری من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب } .

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم : (إن الله ليجرب عليكم بالبلاء ، وهو أعلم به ، كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز ، فذلك الذي نجاه الله من السينات ، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذلك الذي افتتن) ، (إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض) ، (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله من خطاياها) .

6- كثرة الأعباء مع طول الطريق :

وقد تكون كثرة الأعباء مع طول ومشاق الطريق هي السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ، ذلك أن الإنسان طاقة ، وإذا حمل عبئاً فوق طاقته ، فإنه ستأتي عليه لحظة يسقط بعضه أو كله عن كاهله ، لاسيما إذا كانت الطريق طويلة وبها كثير من العقبات والمعوقات ، ولعل ذلك هو سر دعوة الإسلام إلى الأخوة أو الجماعة إذ هي التي تشارك في حمل الأعباء وتجاوز طول ومشاق الطريق . يقول الحق سبحانه وتعالى { إنما المؤمنون أخوة } ، { رحماء بينهم } ، { أدلة على المؤمنين } ، { وأجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزرى وأشركه في أمري } ، { وتعاونوا على البر و التقوى } ، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ، (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى) .

7- الأوبان :

وقد يكون الأوبان هما السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ، ذلك أن بعض الآباء قد تحمله عاطفة الحب لولده على الحيلولة بين الولد والالتزام لاسيما في هذا العصر الذي صار فيه الالتزام بالإسلام بل والالتزام بالدعاة و العاملين لدين الله تهمة ، وتهمة خطيرة تقود صاحبها إلى السجون و المعتقلات ، أو النفي و التشريد في الأرض ، بل الموت أو القتل ، ناسين أو متناسين أن الأجل بيد الله لا بيد البشر { وما كان لنفس أن تمت إلا باذن الله كتاباً مؤجلاً } وأن الله وحده هو الذي يعلم نهاية هذه الآجال ، { وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير } وأن أجل الله إذا جاء لا يؤخر : { ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها } ، { إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون } ، { قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال إلى مضاجعهم } ، { أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة } ، بل ناسين أو متناسين أن موسى - عليه السلام - الذي ألقى في اليم وهو صغير لا حول له ولا قوة نجاه الله ، وكان هلاك فرعون طاغية مصر على يديه { وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً } ، وأن يوسف - عليه السلام - الذي ألقى به من قبل في الجب أنجاه الله ومكن له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء وقال لإخوته في النهاية { أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين } .

8- الاستجابة للوساوس و الشبهات الشيطانية :

وقد تكون الاستجابة للوساوس و الشبهات الشيطانية هي السبب في ضعف أو تلاشى الالتزام ، ذلك أن الشيطان قاعد للإنسان لاسيما المسلم بالمرصاد ، يوسوس بالقاء الشبهات والأباطيل كي يصرفه عن

طريق الله أو على الأقل يجعل سيره في هذه الطريق محفوفاً بالتضييع و التفريط ، وحين يستجيب المسلم إلى هذه الوسواس وتلك الشبهات يبتلى بضعف أو تلاشي الالتزام .

ولعل هذا هو السر في دوام تحذير الإسلام لنا من الشيطان الرجيم ووسوسته فلا نسمع لها ولا نستجيب ، يقول الحق - سبحانه وتعالى - { يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما } ، { يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين } ، { قل أعوذ برب الناس ملك الناس إليه الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس } ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : " إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه ، فقعد له بطريق الإسلام فقال : تسلّم وتذر دينك ، ودين أبائك ، فعصاه فأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال : تهاجر وتدع أرضك وسمائك وإنما مثل المهاجرين كمثل الفرس في الطول فعصاه فهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد فقال : تجاهد فهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتكح المرأة ويقسم المال فعصاه فجاهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك كان حقاً على الله - عز وجل - أن يدخله الجنة ، ومن قتل كان حقاً على الله أن يدخله الجنة ، وإن غرق كان حقاً على الله - عز وجل - أن يدخله الجنة ، أو وقصته دابته كان حقاً على الله أن يدخله الجنة) .

9- عدم المتابعة من الآخرين :

وقد يكون السبب في ضعف أو تلاشي الالتزام إنما هو عدم المتابعة من الآخرين ، ذلك أن الإنسان إذا شعر أن هناك إهمالاً أو عدم متابعة من الآخرين ، فإن همته تفتت ، وعزمته تضعف ، أما إذا كانت المتابعة المتمثلة في المساعدة والمجازاة ، فإن الهمة تعلو والإرادة تقوى ، والعزيمة تشتد ، ولعل هذا هو سر متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديدة لأصحابه في كل تصرفاتهم وسلوكياتهم ، وحسبنا هنا هذه الصورة من المتابعة :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال : أبو بكر - رضي الله عنه - أنا ، قال : فمن تبع اليوم منكم جنازة؟ قال أبو بكر - رضي الله عنه - أنا ، قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر رضي الله عنه أنا ، قال : فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر - رضي الله عنه - أنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة " .

10- الغفلة عن عواقب ضعف أو تلاشي الالتزام :

وأخيراً قد يكون الغفلة عن عواقب ضعف أو تلاشي الالتزام هي السبب في هذا الضعف أو ذلك التلاشي : ذلك أن من غفل عن العواقب الخطيرة لأمر ما ، تعاطى هذا الأمر مع تقصير فيه ، أو أهمله وألغاه من حسابه بالمرة ، ولا يفكر ولا ينتبه إلا حين تزول العواقب فيندم حيث لا ينفع الندم ويتمنى حين لا تفيد الأمان .

رابعاً : آثار ضعف أو تلاشي الالتزام :

ولضعف أو تلاشي الالتزام عواقب وخيمة ، وآثار سنية على العاملين ، وعلى العمل الإسلامي ، ودونما طرفاً من هذه العواقب وتلك الآثار :

آثار ضعف أو تلاشي الالتزام على العاملين :

لعل من أبرز آثار ضعف أو تلاشي الالتزام على العاملين :

1- الحيلولة دون العبودية الحققة :

ذلك أن من كان ضعيف أو عديم الالتزام فإنه يفسح المجال أمام الشر ليستشري و الباطل لينتشر ، حتى يصل إليه وإلى ذويه ، وحينئذ يحال بينه وبين أبسط قواعد الالتزام الإسلامي كالشعائر التعبدية مثلاً ، وحال المسلمين في الجمهوريات الواقعة الآن تحت نير الشيوعية الحمراء في الاتحاد السوفيتي خير ما يوضح هذا الأمر ، فقد أتى على هؤلاء زمان كان الواحد فيه يكتفي بالالتزام بجزء من دين الله ، وهو ما يخصه في نفسه ، تاركاً ومهملاً الباقي ، قانلاً : على نفسي في الوقت الذي كان فيه الباطل يواصل الليل بالنهار في تنفيذ خطته حتى أمسك بخناق هؤلاء ، وحينئذ حال بينهم وبين أسمائهم الإسلامية ، بل بينهم وبين الأعراف والتقاليد الإسلامية فيما عرف بشئون الأسرة من : الزواج والطلاق والحضانة والنفقة ونحوها ، وابتعد من ذلك سعي إلى تحويل المساجد إلى دور للخيالة أو اصطبلات خيول ، وحظر على أي منهم اقتناء نسخة بل ورقة من المصحف الذي يضم بين طياته القرآن الكريم ، وكان السبب المباشر إنما هو ضعف أو تلاشي الالتزام .

2- فقد ثقة الناس :

وهذا أمر بدهي ، فإن الناس لا يتأثرون بالكلمات قدر ما يتأثرون بالسلوكيات ، حتى قيل : (عمل رجل في ألف رجل خير من قول ألف رجل في رجل) ، وعليه فإن من كان ضعيفاً أو عديم الالتزام يسحب الناس ثقتهم منه ، وحينئذ يخسر كثيراً وتكون هذه الخسارة في الدنيا قبل الآخرة ، وكما قرأنا وسمعنا وشاهدنا أقواماً استهانوا بأمر الالتزام ، فعاقبهم الله بضياح ثقة الناس وجر ذلك عليهم خسراناً مبيناً حتى في وظائفهم وديارهم ومصالحهم الشخصية .

3- القلق والاضطراب النفسي :

ذلك أن ضعيف أو عديم الالتزام إنما هو عاص لله ، وللمعصية آثار ضارة أشدها القلق والاضطراب النفسي ، ولعل ذلك هو المفهوم من قوله تعالى :

{ ومن يؤمن بالله يهد قلبه } ، { الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب } { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } بل هو المصرح به في قوله تعالى :

{ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ... } ، { ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعباً } .

4- الحرمان من الأجر و المثوبة بل وتحمل الأوزار :

ذلك أن ضعيف أو عديم الالتزام ضيع على نفسه بذلك الأجر وحرمانها من المثوبة بل وعرضها لتحمل أوزار الذين اقتدوا به في ضعفه أو عدم التزامه ففتنوا وضاعوا ، وصدق الله : { ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون }.

على العمل الإسلامي :

وأما آثار ضعف أو تلاشي الالتزام على العمل الإسلامي فكثيرة نذكر منها :

1- فتح المجال لمحاولة اختراق هذا العمل لضربه أو على الأقل تطويقه وإجهاضه ، فلا يؤتى ثماره إلا بعد تكاليف كثيرة وزمن طويل .

2- قلة أو انعدام كسب الأنصار و المؤيدين لأن كسب هؤلاء إنما يكون بكسب ثقتهم أولاً ، وضعف أو تلاشي الالتزام يضيع هذه الثقة وبالتالي يضيع منها المؤيد و النصير .

3- منح أعداء الله فرصة التحرش بالعمل الإسلامي لتشويه صورته في عيون العامة ، والدهماء من الناس تمهيداً لضربه و القضاء عليه أو تعطيله على الأقل .

4- الحرمان من العون و المدد الرباني ، ذلك أن من كان في التزامه ثلثة أو ضعف ، فهو مقصر في نصره دين الله ، وأنى لمن أعرض عن نصره دين الله أن يمنحه ربه عوناً أو مدداً ؟ وصدق الله { يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } .

خامساً : علاج ضعف أو تلاشي الالتزام :

وما دمننا قد وقفنا على الأسباب أو البواعث التي تؤدي إلى ضعف أو تلاشي الالتزام فإن طريق العلاج تبدأ بتطبيق ما يلي :

1- الإدراك الذهني بل و القلب لأبعاد ومعالم الالتزام ، بحيث يخالط هذا الإدراك الأحاسيس و المشاعر بل و الخواطر ويصير سجية للنفس تفرح وتستريح حين تتمثله في داخلها وفي واقع الحياة ، وتحزن وتضيق إذا هي قصرت في هذا التمثيل .

2- التأكيد على دقة الالتزام من ذوى الأسوة و القدوة حتى يكون ذلك دافعاً لمن دونهم على الإقتداء و التأسى ، أو على الأقل المحاكاة و المشابهة .

3- الحرص على تجديد الإيمان وتقويته في النفس ، فإن ذلك يولد طاقات وإمكانات تعين على الالتزام وأبعد من ذلك يكون الحارس والأمين لنلا يكون تقصير أو إهمال .

4- الفهم الدقيق الواعي لحقيقة الدنيا والآخرة وعلاقة كل منهما بالآخر وسبل تحقيق التوازن بينهما

{ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا } .

5- إدراك أن طريق الهجرة و الفرار إلى الله طريق كلها أشواك وصعاب ، ولكنها تفضي إلى النعيم المقيم في جوار رب العاملين ، وأنه لا بد من حمل النفس على أخذ الأهبة والاستعداد { واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين } .

6- حمل ما بمقدور النفس القيام به حتى لا تضعف أو تنقطع عن ركب العاملين المجاهدين { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها } ، { لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها } .

7- التحذير المستمر من كيد الشيطان ووسوسته مع بيان سبيل النجاة من هذه المكائد وتلك الوسواس .

8- الوقوف على سير وأخبار من عرفوا بدقة وكمال الالتزام والتاريخ الإسلامي طافح في ذلك بالنافع المفيد :

حسبنا ما جاء عن حذيفة رضى الله تعالى عنه قال : لقي أتيناً مع الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب وأخذتنا ريح شديدة وقر (أي برد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :- (ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة) ؟ فسكتنا فلم يحبه أحد منا ثم قال : (ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة) ؟ فسكتنا فلم يحبه أحد منا أحد فقال : (ألا رجل يأتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة) ؟ فسكتنا فلم يحبه أحد منا فقال : (قم يا حذيفة فأتنا بخبر القوم) فلم أجد بداً إذ دعاني باسمي أن أقوم فقال : (أذهب فانتني بخبر القوم ولا تدعهم على) ، فلما وليت من عنده جعلت كأنما أمشي في حمام حتى أتيتهم فرأيت أبا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهمي في كبد القوس فأردت أن أرميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا تدعهم على) ولو رميته لأصيبته فرجعت وأنا أمشي في مثل حمام فلما أتيت فخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فالبسني رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها فلم أزل نائماً حتى أصبحت فلما أصبحت قال : (قم يا نومان) .

وحسبنا أيضاً ما جاء عن أم جميل بنت الخطاب في بداية الدعوة الإسلامية غز تقول عائشة رضى الله تعالى عنها :-

لما اجتمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثمانية وثلاثين رجلاً ألح أبو بكر على الرسول صلى الله عليه وسلم في الظهور فقال : (يا أبو بكر إنا قليل) فلم يزل أبو بكر يلح حتى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفوق المسلمون في نواحي المسجد كل رجل في عشيرته وقام أبو بكر في الناس خطيباً ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فكان أول خطيب دعا إلى الله وإلى رسوله وثار

المشركين على أبو بكر وعلى المسلمين فضربوا شديدا ودنا منه الفاسق عتبة بن ربيعة فجعل يضربه بنعلين مخصوفتين لوجهه ونزل على بطن أبي بكر حتى ما يعرف وجهه من أنفه وجاء بنو تميم يتعدون فأجلت المشركين عن أبي بكر وحملت بنو تميم أبا بكر حتى دخلوا منزله ولا يشكون في موته ثم رجعت بنو تميم فدخلوا المسجد وقالوا : والله لنن مات أبو بكر لنقتلن

عتبة ابن ربيعة فرجعوا إلى أبو بكر فجعل أبو قحافة وبنو تميم يتكلمون أبا بكر حتى أجابهم فتكلم آخر النهار فقل : م فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسوا منه بالسنتهم وعدلوه ثم قاموا وقالوا لأمة أم الخير : انظري أن تطعميه شيئا أو تسقيه إياه فلما خلت به ألحت عليه وجعل يقول : (ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : والله مالي على بصحبك فقل : ذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب فسأليه عنه فخرجت حتى جاءت م جميل فقلت : إن ب بكر ابن عبد الله وإن يسألك عن محمد بن عبد الله فقلت ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبد الله وعن كنت تحبين أن أذهب معك إلى ابنك قلت نعم فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعا دنفا فدنت أم جميل وأعلنت بالصياح وقالت : والله إن قوما نالوا هذه منك لأهل فيق وكفر وإني لأرجو أن ينقم الله لك منهم قال : فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : هذه أمك تسمع قال : فلا شيء عليك منه قالت : سالم صالح قال : أين هو ؟ قالت : في دار بن الأرقم قال فإن الله على نى أدوق طعاما ولا أشرب شرب و أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمهلتاه حتى إذ هدت الرجل ومسكن الناس خرجت به يتكى عليهما حتى أدخلتاه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قل فكب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله واكب عليه المسلمون ورق له رسول الله صلى الله عليه وسلم رقة شديدة فقال أبو بكر : بأبي وأمي يا رسول الله : ليس بي بأس إلا ما ناله الفاسق من وجهي وهذه أمة برة بولدها وأنت مبارك فادعها إلى الله وادع الله لها عسى الله أن يستنقذها بك من النار قال : فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاها إلى الله فأسلمت.

وحسبنا كذلك ما ورد عن انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول :

(أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألعب مع الغلمان قال فسلم علينا فبعثني إلى حاجة فأبطأت على أمة فلما جئت قالت : ما حسبك ؟ قلت : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة قالت : ما حاجته ؟ قلت : إنها سر قالت : لا تحدثن بسر رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا) .

هذه الأخبار وغيرها كثير في تاريخ المسلمين قديمة وحديثه تعين من سمعها على الإقتداء والتأسي أو على الأقل المحاكاة والتشبه .

(9) الحرص على لزوم الجماعة وعدم الانفكاك عنها لحظة واحدة إذ فيها يكون التناصح والتواصي بالحق والتواصي بالحق والتواصي بالصبر والتعاون وتجديد النشاط وإعلاء الهمة وغير ذلك مما يعد في الحقيقة جوهر ومضمون الالتزام .

(10) الاستعانة التامة بالله عز وجل فإنه سبحانه يعين من لجأ إليه واستعان به ولاذ بحماه .

(11) محاسبة النفس دوما للوقوف على الجوانب الضعف والخلل فيها ثم

تلا في بالتوبة والإقلاع عن الخطأ وجبره بأنواع من لكفارات كالصدقة والإكثار من النوافل .

(12) الإحسان إلى الأبوين في المعاملة مع لفت نظرهما بأدب ورفق إلى أن الآجال بيد الله وأن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها .

(13) التذكير الدائم بفوائد وثمرات الالتزام وكذلك بعواقب ومضار إهدار هذا الالتزام أو التخلي عنه فإن هذا التذكير له دور كبير في عودة النفس إلى صوابها ونهوضها من جديد .

(14) معايشة المستمرة لكتاب الله عز وجل فإنه بيان دقيق لحقيقة مضمون الالتزام ولم لا يكون كذلك وهو حكم الله :

{ ومن حسن من الله حكما لقوم يوقنون } .

(15) المسارعة بالانتفاع بالنعم الآنية من الوقت والصحة والمال والعلم والشباب ونحو ذلك قبل زوالها إذ يقول صلى الله عليه وسلم : (بادروا بالأعمال الصالحة سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر .

(16) المعايشة الدائمة لسنة وسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيهما الصورة الدقيقة الحية لما ينبغي أن يكون عليه المسلم من الالتزام .

حسبنا أنه لم يقبل أن يهاجر وأموال الناس عنده أمانات وودائع بل استبقى عليا مكانه في فراشة ليرد هذه الودائع إلى أهلها وليموه على الأعداء وحسبنا أنه لم ينقض عهدا قط لا مع الأعداء ولا مع غير الأعداء فكان بذلك مضرب الأمثال .

والقصة التالية بعض من كل وقيل من كثير : يروى حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فيقول : ما ينبغي أن أشهد بدرا إلا أتى خرجت أنا وأبى حسيل قال فأخذنا كفار قريش قالوا : إنكم تريدون محمدا ؟ فقلنا : ما نريده إلا المدينة فأخذوا منا عهد اله وميثاقه لنصرفن إلى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرنا الخبر فقال : (انصرفا نفي لهم بعهدهم ونستعين بالله عليهم) .

الآفة الثالثة عشرة - عدم التثبيت أو التبين

والآفة الثالثة عشرة التي لا يكاد يسلم من شرها إلا من كان ذا صلة قوية متينة بربه وكان حصيفاً : إنما هي عدم التثبيت أو التبين وحتى يتحرر من ابتلاوا بها ويتقيها من عافاهم الله عز وجل منها فلا بد من تقديم تصور دقيق عن أبعادها ومعالمها وذلك من خلال الجوانب التالية :

أولاً : مفهوم عدم التثبيت أو التبين :

عدم التثبيت لغة : وحتى نفهم المرد بعدم التثبيت أو التبين في اللغة فإننا فماداً يراد من كل منهما لغة ؟ يطلق التثبيت في اللغة على أمور منها :

(أ) طلب ما يكون به الثبات على الأمر أي لزومه وعدم التحول عنه أو تجاوزه إلى غيره وبعبارة أخرى طلب الدليل الموصل إلى الثبات على الأمر .

(ب) والتأكيد من حقيقة ما يعين على الثبات في الأمر وبعبارة أخرى فحص الدليل الموصل إلى الثبات في الأمر تقول : (أثبت الأمر : حققه صححه وأثبت الكتاب سجله وأثبت الحق أقام حجته وأثبت الشيء عرفه حق المعرفة) .

(ج) والتأني أو التريث وعدم الاستعجال تقول تثبتت في الأمر والرأي استثبتت : تأني فيه ولم يعجل واستثبتت في أمره : إذا شاور وفحص عنه) .

وكذلك التبين يطلق في اللغة على النفس المعني التي يطلق عليها التثبت فهو :

(أ) طلب ما يستبين به الأمر وتكشف حاله تقول : (تبين الشيء أي تأمله حتى اتضح) .

(ب) وهو التأكيد من حقيقة ما يستبين به الأمر وتكشف حاله تقول : (تبين الشيء ظهر واتضح) . (واستثبتت الشيء : إذا تأملته حتى تبين لك) .

(ج) وهو التأني أو التريث في الأمر وعدم الاستعجال فيه تقول (تبين القوم تدبروه على مهل غير متعجلين ليظهر لهم جلياً) وتبين في أمره تثبت وتأني) .

ويؤكد أن التثبت والتبين معناهما واحد لغة : استعمال القرآن الكريم ، فقد جاء في قوله تعالى { يا أيها الذين إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا } { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا } أن أكثر الكوفيين يقرأون الآية الأولى وكذلك عامة أهل المدينة يقرأون الآية الثانية (فتثبتوا) بدل (فتبينوا) ، وفي هذا يقول الإمام ابن جرير الطبري رحمة الله : (والقول عندنا في ذلك أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة المسلمين بمعنى واحد وإن اختلفت بهما الألفاظ لأن المتثبت متبين والمتبين متثبت فبأي القراءتين قرأ القارئ فمصيب صواب القراءة في ذلك ، كما يقول في موضع آخر (والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قر القارئ فمصيب) ، ونستطيع أن نقول إن هذه الإطلاقات واحد ألا وهو التأني أو التريث في الأمر وعدم الاستعجال فيه فإن ذلك مطلوب دليله بل وفي فحص وتأمل هذا الدليل وحيث انتهينا من تحديد المراد بالتثبيت أو التبين لغة فإننا نقول : إن عدم لتثبت أو التبين لغة يعني (السرعة في الحكم على الشيء دون طلب دليله ودون تأمل هذا الدليل) .

عدم التثبت اصطلاحاً : أما عدم التثبت أو التبين في الاصطلاح الإسلامي والدعوى فهو :

السرعة أو عدم التأني والتريث في كل ما يمس المسلمين بل الناس جميعاً من أحكام أو تصورات ومن تناقل وتداول لهذه الأحكام وتلك التصورات دون فهم دقيق للواقع وما يحيط به من ظروف وملابسات .

وإلى هذا أشار القرآن الكريم في تعليقه على حادثة الإفك حين قال : { إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم } لأن من المعلوم بدهاة أن التلقي إنما يكون بالأذن ثم يعرض على العقل والقلب وحينئذ يكون الكلام باللسان فإنما هي لفظة إلى السرعة وعدم التأني أو التروي في إصرار الحكم بل في تداوله والتحرك به كأن الإفك عندما وقع من ابن سلول صمت الأذان وستر العقول وغلفت القلوب فلم يبق إلا أن لاكتة الألسن وتحركت به الشفاه دون فهم للواقع ودون معرفة بالظروف والملابسات ولقد يحاكى ويتأسى لا سيما إذا كان ضعيف الشخصية غير واثق من نفسه ومن تصرفاته وسلوكه وهنا يأتي دور الارتعاء بين أحضان الصحبة الطيبة الملتزمة بالمنهاج الإسلامي إن هذا لو وقع لصحت الأعصاب ولتنبهت المشاعر والأحاسيس والجوارح .

(3) الغفلة أو النسيان :

وقد تؤدي الغفلة أو النسيان بالإنسان إلى عدم التثبت أو التبين وحينئذ يجب أن يتعلم من ذلك درساً لا ينساه على مدار الزمان فلا يتكرر منه هذا الخطأ وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون).

(4) الاغترار ببريق الألفاظ :

وقد يقرع أذن المرء طائفة من الألفاظ المعسولة والعبارات الخلابة وإذا به يغتر بما لهذه الألفاظ وتلك العبارات من بريق وزخرف وحينئذ يكون منه عدم التثبت أو التبين وقد لفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى هذا السبب حين قال : (إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها).

(5) الجهل بأساليب أو طرق التثبت أو التبين :

وقد يحمل بأساليب أو طرق التثبت أو التبين إلى السرعة في الحكم وتداوله هنا وهناك ذلك أن للتثبت أو للتبين أساليب أو طرقاً كثيرة توصل إليه من بينها :

الرد إلى الله والرسول وذوى الرأي والحج كما قال سبحانه { ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم }

السؤال أو المناقشة لصاحب الشأن وخير ما يوضح ذلك موقفه صلى الله عليه وسلم من حاطب بن أبى بلتعة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأطلع الله عز وجل نبيه على الكتاب وحي به إليه صلى الله عليه وسلم إذ دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وسأله قبل أن يقضى في أمره قاتلاً : (يا حاطب ما هذا ؟ فقال : يا رسول الله لا تعجل على إني كنت امرءاً ملصقاً من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهلهم وأموالهم فأحببت إذا فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضا بالكفر بعد الإسلام فعذره النبي صلى الله عليه وسلم وقال : (أما إنه قد صدقكم) ولما استأذن عمر في ضرب عنقه قاتلاً : (وما يدريك لعل الله قد اطلع على من شهد بدراً فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

- الإصغاء الجيد بل والمراجعة إذا لزم الأمر أو أشكل الأمر ، فهذا على - رضى الله عنه - يعطيه الرسول صلى الله عليه وسلم الراية يوم خيبر ثم يقول له : " اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك ولا تلتفت " ويشعر على رضى الله عنه - بعد مضيه لأداء مهمته أن التكليف الذي كلف به غير واضح في ذهنه فيعود بظهوره امتثالاً للأمر ويسأل النبي صلى الله عليه وسلم قاتلاً : : علام أقاتل الناس ؟ فيرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله ."

- التجربة والملاحظة من خلال المعاشاة والمصاحبة ، فهذا عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - يثنى رجل على آخر في مجلسه فيقول عمر للرجل الذي أثنى : هل صحبتته في سفر قط ؟ يقول : لا ، فيقول له : هل كانت بينك وبينه معاملة في حق ؟ يقول : لا ، فيقول له : " اسكت فلا أرى لك علماً به ، أظنك - والله - رايت في المسجد يخفض رأسه ويرفعه " .

- الجمع بين كل الأطراف مع المواجهة ، لاسيما في الأمور التي لا يجوز فيها التغاضي أو السكوت ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم علماً لما بعثه قاضياً إلى أهل اليمن ، أسلوب التثبت في القضاء قاتلاً له : " إن الله سيهدى قلبك ، ويثبت لسانك ، فإذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول ، فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء " .

- السماع من صاحب الشأن أكثر من مرة ، وعلى فترات متباعدة مع المقابلة والموازنة فما هي أم المؤمنين عائشة - رضى الله تعالى عنها - يبلغها عن عبد الله بن عمرو ، أنه قادم من مصر للحج ، فتقول لابن أختها عروة بن الزبير ، يا ابن أختي بلغني أن عبد الله بن عمرو مار بنا إلى الحج فالفقه فسانله ، فإنه قد حمل عن النبي صلى الله عليه وسلم علماً كثيراً قال ، فلفيته فسانلته عن أشياء يذكرها عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال عروة : فكان فيما ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله لا ينزع العلم من الناس انتزاعاً ، ولكن يقبض العلماء فيرتفع العلم معهم ويبقى في الناس رؤساء جهلاً يفتونهم بغير علم فيضلون ويضلون " قال عروة فلما حدثت عائشة بذلك أعظمت ذلك وأنكرته قالت : أحذثك أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول هذا ؟ قال عروة : حتى إذا كان قابل قالت له : إن ابن عمرو قد قدم فالفقه ثم فاتحه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم ، قال : فلفيته فسانلته ، فذكر لي نحو ما حدثني به في مرته الأولى ، قال عروة : فلما أخبرتها بذلك قالت : ما أحسبه إلا قد صدق ، أراه لم يزد فيه شيئاً ولم ينقص " . هذه الطرق أو الأساليب وغيرها كثيرة قد يجهلها كثير من الناس وحينئذ يتناولون الأمر بغير تثبت ولا تبين .

6- الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة :

وقد يؤدي الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة المتأججة إلى عدم التثبت أو التبين ، ذلك أن هذا الحماس أو هذه العاطفة ما لم تكن موزونة بميزان الشرع ، ومحكومة بلجام العقل ، فإنها تسلب صاحبها الإدراك ، وإذا به يخطئ كثيراً ويضيع في بيداء هذه الحياة . ويمكن أن نستشف هذا السبب من حديث أسامة بن زيد التالي إذ يقول : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحرقة فصيحنا القوم فهزمناهم ولحقنا أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناها قال : لا إله إلا الله فكف الأنصاري فطعنته برمح حتى قتلته فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " يا أسامة أقتلته بعد ما قال : لا إله إلا الله ؟ قلت : كان متعوذاً ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم " .

أجل لقد كان الحامل لأسامة على قتل الرجل مع نطقه بلا إله إلا الله التي تعصم الدم إلا بحقها إنما هو الحماس أو العاطفة الإسلامية الجياشة التي انطوى عليها قلب أسامة بن زيد - رضى الله عنه - بحيث حالت بينه وبين الاقتناع بما صدر عن الرجل من الإسلام ، و النطق بالشهادة واتهمه بأنه يظهر خلاف ما يبطن ناسياً أن الله وحده هو المطلع على ما تكنه القلوب ، وتخفيه الصدور { قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله } ، { وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون } { والله يعلم ما في قلوبكم } ، { يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور } .

7- التعلق بعرض زائل من الدنيا :

وقد يكون التعلق بعرض زائل من أعراض هذه الحياة الدنيا هو الحامل على عدم التثبت أو التبين ، وذلك أن حب الشيء يعمى ويصم ، ويحول بين الإنسان وبين استطلاع الموقف وتبين الحقيقة ولعل هذا السبب هو المشار إليه في قوله سبحانه : { يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيبنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة } .

8- الغفلة عن العواقب والآثار المترتبة على عدم الالتزام بهذا الخلق الإسلامي إلى السرعة أو العجلة في الأمر ، وعدم التريث أو التأني فإن من غفل عن عاقبة أمر ما وقع فيه لا محالة إلا من عصم الله - عز وجل .

ثالثاً : مظاهر عدم التثبت والتبين :

- ولعدم التثبت أو التبين مظاهر تدل عليه وأمارات يعرف بها نذكر منها :
- (1) معاداة كثير من الأفراد والهيئات العاملة للإسلام استجابة لحملات التشويش والدعاية المغرضة دون مخالصة هؤلاء ومعرفة أحوالهم وأخلاقهم عن قرب ومشاهدة .
 - (2) التركيز على المظهر والشكل مع إهمال المخبر والجوهر فإن كثيرا من الهيئات العاملة للإسلام تهتم كثيرا بالمظهر والشكل من اللحية والسواك وقصر الجلباب وإرخاء العذبة وحمل العصا والعمامة مع الإهمال التام للمخبر والجوهر الأمر الذي يجعلهم لا يميزون بين الصالح والطالح وبين الصادق والكاذب ولا يفهم ذلك أنه استهانة أو تحقير لتلك الأشياء ، فقد وردت بذلك أحاديث تتفاوت صحة وضعفا وليس هنا مجال تحقيقها الآن ولكننا نريد من المسلم أن يكون لديه ترتيب الأولويات وتقدير لمخبر الإنسان وجوهره وإن قصر في بعض الشكليات فإن ذلك لا يضره .
 - (3) عدم التماس المعاذير وعدم السماع للحجج والآراء برغم أنه لا عقبات ولا صعوبات في حياة الناس .
 - (4) المبادرة بالتفوه ، والرأي ، لمجرد السماع والتلقي أو لمجرد الرؤية والمشاهدة .
 - (5) المبادرة بالتنفيذ لمجرد صدور التكليف دون إحاطة تامة بكل ظروفه وملابساته ودون معرفة دقيقة بمن له حق التكليف والإلزام.

رابعاً : آثار عدم التثبت أو التبين :

ولعدم التثبت أو التبين آثار سيئة وعواقب وخيمة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي ودونك طرفا من هذه الآثار .
* آثار عدم التثبت على العاملين :
فمن آثار عدم التثبت أو التبين على العاملين :

(1) اتهام الأبرياء من الناس زورا وبهتانا :

فقد اتهمت أم المؤمنين عائشة زورا وبهتانا بما لم يقع منها في الجاهلية فكيف بعد إذ أعزها الله بالإسلام وصارت زوجة لإمام المسلمين وأفضل النبيين ورسول الله للعالمين الأمر الذي أقلق أبويها ورسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها والمسلمين جميعا شهراً كاملاً حتى نزلت البراءة بشأنها من فوق سبع سموات .
وكان السبب هذا الاتهام هو عدم التثبت أو التبين حتى قال الله لهم : { لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون } .
وحسب العامل هذا الأثر إذ هو مجلبة للشر والإثم - والعياذ بالله - كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : (خيار عباد الله الذين إذا رُعوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العيب) .؟

(2) سفك الدماء وسلب الأموال :

فقد قتل أسامة بن زيد رضى الله تعالى عنه أو غيره نفراً من الناس وسلب ماله بغير تثبت ولا تبين وفيه وفي أمثاله نزل قوله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتيبنوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة } .

فإن بعض الصحابة الذين خاضوا في الإفك وطاروا من غير تثبت ولا تبين من أمثال حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثه وغيرهما وكذلك الذين قتلوا الرجل وأخذوا ماله بعد أن أسلم وشهد أن لا إله إلا هو من مثل أسامة بن زيد - رضى الله تعالى عنه - كل أولئك أصابتهن

الحسرة وعمهم الندم لما نزل الوحي من السماء يكشف الموقف ويضع النقاط على الحروف وتمنوا أن لم يكونوا أسلموا قبل ذلك اليوم بل ظلت الحسرة والندامة شبحاً مخيفاً يلاحقهم حتى لقوا ربهم .
ولعل هذا الأثر هو ما يشير إليه قوله تعالى في قصة الوليد بن عتبة بن أبي معيط مع بني المصطلق الواردة في سورة الحجرات: {..... فتصبحوا على ما فعلتم نادمين}.

(4) فقد ثقة الناس مع النفور والكراهية :

فمن عرف عنه العجلة في الرأي والحكم أو عدم التثبت أو التبين ينظر إليه الناس على أنه أرعن أحمق ومثل هذا يسحب الناس ثقتهم منه بل وينفرون منه ويكرهونه بشدة وإذا ذهبت الثقة وكان النفور والكراهية لم يعد في يد المسلم ما يكسب به الانتصار أو المؤيدين .

(5) التعرض للغضب الإلهي :

فمن تجرد من التثبت أو التبين كثرت أخطاؤه وتضاعفت عثراته من ثم يستوجب غضب الله وسخطه ومن حل عليه غضب الله وسخطه فقد ضاع دنيا وآخرة وخسر خسرانا مبيناً وصدق الله : { ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى }.

*آثار عدم التثبت على العمل الإسلامي :

ومن آثاره على العمل الإسلامي :

(1) خلل أو اضطراب الصف :

فإن عدم التثبت أو التبين من شأنه أن يؤدي إلى خلل أو اضطراب في الصف على نحو ما صورته صاحب الظلال - رحمه الله - إذ يقول : " كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته ، ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة قد تحدث إشاعة الخوف فيه خلخلة وارتباكاً ، وحركات لا ضرورة لها لاتقاء مظان الخوف وقد تكون كذلك القضية " .

وعلى نحو ما وقع بين الانتصار بين أوسهم وخزرجهم حين استمعوا إلى هذا الدخيل الذي بثه بينهم أحد اليهود في ساعات الصفاء ، و الحب في الله ليذكرهم بيوم بعث ، و ثاراتهم القديمة ، لقد تنادوا قائلين :

السلاح السلاح موعدكم الظاهرة (أي الحرة) وخرجوا إليها وانضمت الأوس بعضها إلى بعض ، و الخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، ولولا رحمة الله ولطفه بهم ، ثم خروج الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم وتذكيرهم بنعمة الله عليهم وهدايته لهم بعد الكفر و الضلالة قائلاً : " يا معشر المسلمين : الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام ، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر ، وألف بينكم ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ، لولا ذلك لعادوا- كما كانوا في الجاهلية - شيعاً وأحزاباً .

وعلى نحو ما وقع للحركة الإسلامية في مصر في الخمسينات حيث استمع نفر من أبنائها لوشايات الواشين واقتراءات المغرضين ، وأراجيف المبطلين دون تثبت أو تبين ، الأمر الذي أدى إلى خلل في الصفوف لبعض الوقت ، وكاد يعصف بهذه الحركة لولا لطف الله ورحمته ، وعنايته وتثبيته لبعض الصادقين المخلصين من أبنائها .

2- الفتور أو التراخي في العمل :

فإن عدم الالتزام بالتثبت أو التبين من شأنه أن يؤدي إلى الفتور أو التراخي في العمل مباشرة ، أو بعد سلسلة من المكدرات و المنقصات كما يصوره صاحب الظلال إذ يقول : " فإن إشاعة أمر الأمن مثلاً في معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة العدو ، إشاعة أمر الأمن في هذا المعسكر تحدث نوعاً من التراخي مهما تكن الأوامر باليقظة النابعة من التحفز للخطر ، غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر ، وفي ذلك التراخي تكون القضية .

3- إفساح المجال للأدعياء و الدخلاء :

فإن عدم الالتزام بهذا الخلق الإسلامي جعل أكثر الجمعيات و الجماعات العاملة للإسلام مخترقاً ومكشوفاً من قبل الأدعياء و الدخلاء وهذا فيه من الخطورة ما فيه ، حسبنا أن هذه الجمعيات و الجماعات يكاد لها بواسطة هؤلاء الأدعياء و الدخلاء ، و المنشنون أو المؤسسون الحقيقيون لها ، نانمون غافلون لا يدرون من أمرها شيئاً .

4- خسارة بعض الانتصار و المؤيدين :

وقد يخسر العمل الإسلامي بسبب عدم التثبت أو التبين بعض الانتصار و المؤيدين ، وربما انقلبوا رأس حربة على العمل الإسلامي و العاملين لدين الله ، بعد أن كانوا مرجوا منهم أنهم مساندون أو مؤيدون .

5- الانطلاق من الخيال لا من الواقع :

فإن من كان من شأنهم عدم التثبت أو التبين سينقلون الأمور

على غير وجهها ويحكون الواقع بصورة غير صورته الحقيقية التي هو عليها ، وعليه فإذا كانت خطة أو منهاج أو رأى فإنما يكون مصدره أو منبعه الخيال لا الواقع ، وتلك أولى عوامل الفشل و الخسران .

6- الحرمان من العون و التأييد الإلهي :

فإن عدم الالتزام بهذا الخلق ... أعنى التثبث أو التبين ... سيؤدى إلى دخن في القلوب وغل في الصدور ، فضلاً عن باقي الآثار و السلبيات التي ذكرنا آنفاً ، وهذا بدوره يؤدى إلى الحرمان من العون و التأييد الإلهي ، إذ أنه عونه - سبحانه - وتوفيقه وهدايته لنا ذلك كله مقرون باستقامتنا وثباتنا في الطريق { يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } ، { ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون } .

خامساً : علاج عدم التثبث أو التبين :

وما دمننا قد وقفنا على أبعاد ومعالم عدم التثبث أو التبين على النحو الذي قدمنا ، فإن علينا أن نعرف سبيل العلاج وتتلخص في الأخذ بالوسائل التالية :

1- تقوية ملكة التقوى و المراقبة لله - سبحانه وتعالى - :

فإن هذه إن تأكدت في النفس ، فسوف تحمل صاحبها حملاً على التأني و التروي والإنصاف ، ونقل الحقيقة كما هي دون زيادة أو نقص ، بل ستكون سبباً في نور القلب ، ونفاذ البصيرة كما قال سبحانه { يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً } ولعلنا نلمح هذه الوسيلة العلاجية من قوله صلى الله عليه وسلم : " التثبث من الله و العجلة من الشيطان " .

2- التذكير بين يدي الله - سبحانه وتعالى - للمساءلة و الجزاء :

{ وقفوهم إنهم مسئولون } ، { فورك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون } ، { ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً } ، { إن الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى } . فإن هذا إن تمكن من النفس ، وخالط القلب ، فإنه سيقود حتماً إلى التأني أو التروي .

3- معايشة الكتاب و السنة ، من خلال هذه النصوص المتصلة بقضية التثبث أو التبين ، كما في آيات " النساء " : { وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ... } ، وآيات الإفك في سورة النور ، وآيات سورة الحجرات ، { يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ... } ، وآيات سورة " ص " داود مع الخصمين : { وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب } وآيات سورة " النمل " سليمان مع الهدهد إذ قال له { سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين } . فإن هذه النصوص جميعاً مدعاة إلى تربية ملكة التثبث أو التبين في النفس .

4- دوام النظر في سير وأخبار السلف فإنها طافحة بالناماذج الحية التي تجسد هذا التثبث ، وتجعله ماثلاً أمامنا كالعيان وحسبنا من هذه السير وتلك الأخبار :

قصة عمر بن الخطاب مع سعيد بن عامر الجمحي واليه على حمص إذ قدر الله لعمر أن يزور هذه البلدة ، ويسأل أهلها كيف وجدتم عاملكم ؟ فيشكونه له ، وكان يقال لأهل حمص : الكوفية الصغرى لشكايتهم عاملهم قائلين :

نشكو أربعاً : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار ، قال : أعظم بهذا ، وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحد بليل ، قال وعظيمة وماذا ؟ قالوا وله يوم في الشهر لا يخرج فيه إلينا ، قال عظيمة ، وماذا ؟ قالوا يغط الغنطة بين الأيام (أي يغمى عليه ويغيب عن حسه) فلم يفصل عمر في الأمر ، إلا بعد أن جمع بينهم وبينه ودعا ربه قائلًا : (اللهم لا تفيل رأيي فيه) وكان عمر حسن الظن به وبدأت المحاكمة فقال عمر لهم أمامه : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار قال : ما تقول ؟ قال : والله إن كنت لأكره ذكره : ليس لأهلي خادم فأعجن عجبني ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم فقال : ما تشكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحداً بليل قال : ما تقول ؟ قال : إن كنت لأكره ذكره : إني جعلت النهار لهم والليل لله عز وجل قال : وما تقول ؟ قال : ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار قال : ما تشكون منه ؟ قالوا : يغط الغنطة بين الأيام قال : ما تقول ؟ قال : شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة وقد بضعت قريش من لحمه ثم حملوه على جذعة فقالوا : أتحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أني في أهلي وولدي وأن محمداً صلى الله عليه وسلم شيك بشوكة ، ثم نادى يا محمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركي نصرته في تلك الحال وأنا مشرك لا أومن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لي بذلك الذنب أبداً فتصيبني تلك الغنطة فقال عمر بعد أن أظهر براءته أمامهم الحمد لله الذي لم يفيل فراستي وبعث إليه بألف دينار وقال : استعن بها على أمرك ففرقها) .

وقصة الوزير أبي القاسم بن مسلمة أحد وزراء بني العباس مع اليهود الخبابة في القرن الخامس الهجري إذ رفع إليه هؤلاء اليهود كتاباً زاعمين أنه كتاب نبوي فيه إسقاط الجزية عنهم فلم يبادر بالفصل في المسألة دون تثبث أو تبين وإنما رد الأمر إلى أهله ، لقد دفع الكتاب إلى الحافظ الخطيب البغدادي ت 463هـ شيخ علماء بغداد ومؤرخها ومحدثها في عصره فنظر فيه ثم قال : هذا كذب فسأله الوزير : وما الدليل على كذبه ؟ فقال لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة

وإنما أسلم معاوية يوم الفتح وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات قبل خبر عام الخندق سنة خمس فأعجب الناس ذلك وتوقف الوزير عن العمل بالكتاب .

أرأيت لو أن هذا الوزير استعجل ونفذ ما في الكتاب من غير أن يرد الأمر إلى أهله فماذا تكون النتيجة ؟ إن النتيجة هي تعطيل نص صريح من كتاب الله عز وجل بغير دليل ولا برهان إذ يقول الحق سبحانه { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون }

5- التربية على ذلك من خلال الأحداث والوقائع على نحو ما جاء في : قصة أسامة بن زيد مع الجهنى في سورة النساء وعلى نحو ما جاء في : حادثة الإفك في سورة النور وعلى نحو ما جاء في قصة داود مع الخصمين في سورة النمل وعلى نحو ما جاء في : قصة الوليد بن عقبة مع بنى المصطلق في سورة (الحجرات) فإن هذا اللون من التربية يثبت في النفس ولا ينسى نظرا لارتباطه بالحدث أو بالقصة .

6- التذكير بقواعد ومعاليم وطرق التثبيت أو التبيين فإن الإنسان مجبول على النسيان وعلاج هذا النسيان دوام التذكير : {وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين} . { فذكر إن نفعت الذكرى } .

7- تقدير العواقب المترتبة على ترك التثبيت أو التبيين في الدنيا والآخرة فإن هذا التقدير من شأنه أن يبعث الإنسان من داخله ويحمّله على التروي أو التأني أو التريث .

8- معاشرة أو مخالطة من اشتهروا بخلق التثبيت أو التبيين فإن هذا يفيد الإنسان كثيرا ويدعوه إلى محاكاتهم والنسج على منوالهم لتقل العثرات وتسلم الخطوات .

9- الحكمة في التعامل مع الناس فلا تخذعنا الظواهر والأشكال والصور ولا نبالغ في البحث والتفتيش عن البواطن وخفايا الصدور وإنما ندع الواقع ليحدد كيفية وأسلوب التعامل .

10- محاولة الإفادة من مناهج أهل الأرض بشأن هذا الخلق .. أعني التثبيت أو التبيين شريطة ألا يتعارض ذلك مع الإسلام فإن لدى هؤلاء رصيذاً لو أمكن استغلاله وتوجيهه التوجيه السليم لعاد على الإسلام والمسلمين بالخير الكثير .

11- أن يتصور المسلم نفسه في موطن من يؤخذ بغير تثبيت أو تبين فإن ذلك يحمله على تعديل خطواته في الطريق إذ مالا يرضاه لنفسه لا يرضاه لغيره .

12- التعويد على إحسان الظن بالمسلمين إلا أن يقع منهم ما يوجب غير هذا : {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا} .

الآفة الرابعة عشرة - التفريط في عمل اليوم والليلة

والآفة الرابعة عشرة التي يبتلى بها الكثير من العاملين إنما هي (التفريط في عمل اليوم والليلة) . وحتى يتخلص منها من ابتلوا بها ويتقيها من عافاهم الله عز وجل منها فإنه لابد من تقديم تصور يكشف عن أبعادها ومعالمها وذلك على النحو التالي :

أولاً : مفهوم التفريط في عمل اليوم والليلة :

التفريط لغة : التفريط في اللغة هو : التقصير في الأمر وتضييعه حتى يفوت قال في اللسان (وفرط في الأمر يفرط فرطاً أي قصر فيه وضيعه حتى فات كذلك التفريط) وفرط في الشيء وفرطه ضيعه وقدم العجز فيه والتنزيل : { أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله } .

أي أنيؤوا إلى ربكم وأسلموا له مخافة أن تصيروا إلى حال الندامة للتفريط في أمر الله ، وعمل اليوم والليلة في اللغة هو الوظائف أو الواجبات التي ينبغي للمرء الحفاظ عليها أعم من أن تكون دنيوية أو أخروية وعليه فإن التفريط في عمل اليوم والليلة لغة هو : التقصير أو التضييع للوظائف أو الواجبات التي ينبغي للمرء الحفاظ أو المواظبة عليها دنيوية كانت أو أخروية أو هما معا حتى تفوت .

التفريط في عمل اليوم والليلة اصطلاحاً : أما مفهوم التفريط في عمل اليوم والليلة في اصطلاح العلماء والدعاة فإنه التقصير أو التضييع للوظائف العبادية التي ينبغي للمسلم الحفاظ والمواظبة عليها في اليوم والليلة حتى يخرج وقتها وتفوت مثل النوم عن الصلاة المكتوبة ومثل إهمال النوافل الراتبة أو ترك قيام الليل أو صلاة الوتر أو صلاة الضحى أو تضييع الورد القرآني أو الأذكار أو الدعاء أو

المحاسبة للنفس والتوبة والاستغفار أو التخلف عن الذهاب إلى المسجد وعدم حضور الجماعة بغير عذر ولا مبرر أو عدم فعل الخيرات الأخرى أو إهمال الآداب الاجتماعية : من عيادة المرض وتشجيع الجنائز والسؤال عما في الناس ومشاركتهم أحوالهم في السراء والضراء إلى غير ذلك من الطاعات أو العبادات .

ثانيا : أسباب التفريط في عمل اليوم والليلة :

وللتفريط في عمل اليوم والليلة أسباب تؤدي إليه وبواعث توقع فيه نذكر منها :

(1) التلطيخ أو التدنس بالمعصية :

بأن يكون المسلم غير محترس أو متحرز من المعصية لا سيما الصغائر تلك التي يستهين بها كثير من الناس ولا يولونها رعاية أو أهمية وحينئذ فلا بد من العقاب ويكون العقاب بأمور كثيرة من بينها التفريط في عمل اليوم والليلة وصدق الله العظيم : { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } وجاء عن الحسن البصري مرسلا قوله : لما نزلت هذه الآية { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا اختلاج عرق ولا نكبة حجر ولا عثرة قدم إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر) وقال صلى الله عليه وسلم (لا يصيب عبدا نكبة فما فوقها أو دونها إلا بذنب وما يعفو الله عنه أكثر وقرأ : { وما أصابكم من مصيبة } ..

وقد وعى السلف مثل هذا السبب وأثره على عمل اليوم والليلة ونهوا إليه كثيرا : هذا الضحاك يقول : ما نعلم أحدا حفظ القرآن ثم نسيه إلا بذنب ثم قرأ الضحاك { وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } ثم يقول الضحاك : وأي مصيبة أعظم من نسيان القرآن وهذا الحسن يسأله رجل قائلا : (يا أبا سعيد إنني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم ؟ فقال ذنوبك قيدتك) .

وهذا الثوري يقول : (حرمت قام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل : وما ذاك الذنب ؟ قال : رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي : هذا مرء) ، وهذا كرز بن وبرة يدخل عليه بعض الناس وهو يبكي فيقول له : أتاك نعي بعض أهلك ؟ فيقول : أشد فيقول له : وجع يؤلمك ؟ فيقول : أشد فيقول له وما ذاك ؟ فيجيبه : بابي مغلق وسترى مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته .

وهذا أبو سلمان الداراني يقول : (لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب) وهذا عابد عالم يقول : (كم من أكلة منعت قيام الليل وكم من نظرة منعت قراءة سورة وإن العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهي عن الصلاة وسائر الخيرات) .

وقد بين الحافظ ابن القيم كيف يؤدي هذا السبب إلى مثل هذا التفريط فقال (ومنها أي من آثار المعاصي حرمان الطاعة فلو لم يكن للذنوب عقوبة إلا أن يصد عن طاعة تكون بدله وتقطع طريق طاعة أخرى فينقطع عليه بالذنوب طريق ثلاثة ثم رابعة وهلم جرا فينقطع عليه بالذنوب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها وهذا كرجل أكل أكلة أوجبت له مرضة طويلة منعه من عدة أكلات أطيب منها والله المستعان) .

(2) التوسع في المباحات :

وقد يكون التوسع في المباحات من الطعام والشراب واللباس والمراكب ونحوها هو السبب في التفريط في عمل اليوم والليلة ذلك أن هذا التوسع يورث الركون والنوم والراحة الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى مثل هذا التفريط وقد سبق أن بينا ذلك بالتفصيل عند الحديث عن آفة الإسراف وحسبنا هنا قول الغزالي : (لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا) .

(3) عدم إدراك قيمة النعم وسبيل الدوام :

وقد يكون عدم إدراك قيمة النعم وسبيل الدوام هو السبب في التفريط في عمل اليوم والليلة ذلك أن من لم يدرك أن نعم الله على العباد الظاهر منها والباطن والمعلوم منها وغير المعلوم شيء لا يكون ولا يحصى { وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها } { وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة } .

ومن غفل عن أن دوام هذه النعم إنما يكون بالشكر : { لنن شكرتم لأزيدنكم } ومن الشكر المواظبة على عمل اليوم والليلة من العبادات والطاعات من لم يدرك هذا كله وغفل عنه فإنه يقع منه لا محالة التفريط فيعمل اليوم والليلة وصدق الله { فاذكروني أشكرم واشكروا لي ولا تكفرون } .

قال الحسن البصري وأبو العالية والسدي والربيع بن أنس :

(إن الله يذكر من ذكره ويزيده من شكره ويعذب من كفره) .

وقال الحسن البصري أيضا في قوله { فاذكروني أشكرم } . قال : (اذكروني فيما أو جبت لكم على نفسي) .

وقال سعيد بن جبير : (اذكروني بطاعتي أذكركم بمغفرتي) وفي رواية (برحمتي) .

(4) الغفلة عن الحاجة إلى عمل اليوم والليلة :

وقد تكون الغفلة عن الحاجة إلى عمل اليوم والليلة هي السبب في التفريط في هذا العمل فإن من غفل عن أنه بحوله وقوته ضعيف وإنه بحول الله وقوته قوى وأنه لابد له كي ينجح في أداء دوره والقيام بواجبه في هذه الأرض لابد من عون الله وتأيدده ونصره وأن المواظبة على عمل اليوم والليلة هي التي تستجلب هذا العون وذلك التأيد والنصر :
{ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين }
{ وتزودا فإن خير الزاد التقوى }.

{ يا أيها المزمّل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتّل القرآن ترتيلاً إنا سنلقّي عليك قولاً ثقيلاً إن ناشئة الليل هي أشدّ وطناً وأقوم قيلاً إن لك في النهار سباً طويلاً } .
(وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه- } .
بل إنها هي التي تكون سبباً في سكينة النفس وطمأنينة القلب :
{ ولقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً }
{ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئنن } .
{ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً }
من غفل قلبه عن كل ما قدمنا فإنه سيفرط لا محالة في عمل اليوم والليلة .

5- ضعف أو تلاشى التصور الصحيح لحقيقة أجر المواظبة على عمل اليوم والليلة .

وقد يكون ضعف أو تلاشى التصور الصحيح لحقيقة أجر المواظبة على عمل اليوم والليلة هو السبب في هذا التفريط فإن الاستمسك بالشئ والعرض عليه بالنواجز مرتبط بالتصور الصحيح له وللمنافع أو الفوائد المرتبطة به .
وعليه فمن لم يكتمل عنده التصور الصحيح لحقيقة الأجر المرتبط بعمل اليوم أو الليلة من أنه نجاة من أهوال وشدائد يوم القيامة .
{ وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون } .
{ وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم تنجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً } .
بل من أنه أي الأجر جنات فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وفوق هذا رؤية الله ، و التمتع بالنظر إلى وجهه الكريم :
{ وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم } ، { للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون } ، { وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة } ، { فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون } .
من لم يكتمل عنده التصور لحقيقة هذا الأجر فإنه يستأذ النوم والراحة ويضن بالتعب والمجاهدة في سبيل الله و بالتالي يفرط في عمل اليوم و الليلة .
وصدق العلامة ابن الجوزي حين قال : " من لمح فجر الأجر هان عليه ظلام التكليف " .

6- نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد :

وقد يكون نسيان الموت وما بعده من أهوال وشدائد هو السبب في التفريط في عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن من نسى أنه ميت لا محالة وإن طال الأجل :
{ كل نفس ذائقة الموت ... } ، { وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون } .
وأن هذا الموت أقرب إليه من شرك نعله :
{ ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون }
وأنه سيكون بعد هذا الموت شدائد وأهوال يشيب من هولها الولدان وتنخلع لها القلوب ، ولا نجاة منها إلا بالمواظبة على عمل اليوم و الليلة :
{ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً السماء منفطر به كان وعده مفعولاً } ، { يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد } ، { وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع }
من نسى ذلك كله كان منه هذا التفريط ولا شك .

وقد ألمح إلى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم إذ دخل مصلاه فرأى ناساً كأنهم يكتشرون فقال : " أما إنكم لو أكثرتم ذكر هادم اللذات لشغلكم عما أرى : الموت فأكثروا من ذكر هادم اللذات الموت فإنه لم يأت على القبر يوم إلا تكلم فيه فيقول : أنا بيت الغربة ، و أنا بيت الوحدة ، وأنا بيت التراب ، وأنا بيت الدود " .

7- ظن بلوغ الكمال :

وقد يكون ظن بلوغ الكمال هو السبب في التفريط في عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن الإنسان قد ينسى نفسه وينسى أنه مهما عمل وأطاع بالليل و النهار ، فإن يستطيع شكر نعمة من نعم الله - تعالى - عليه ، ويحمله هذا النسيان مع عوامل أخرى على ظن بلوغ الكمال ، وحينئذ يقع منه التفريط في عمل اليوم و الليلة .

ولعل هذا هو ما نفهمه من حديث النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت و العاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله) .
ومما جاء عن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - إذ كان يقول : " حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتزينوا للعرض الأكبر ، وإنما يخف الحساب يوم القيامة على من حاسب نفسه في الدنيا " .
ومن قول لميمون بن مهران : " لا يكون العبد تقياً حتى يحاسب نفسه كما يحاسب شريكه من أين مطعمه وملبسه " .

8- كثرة الأعباء و الواجبات :

وقد تؤدي كثرة الأعباء و الواجبات إلى التفريط في عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن الإنسان في زحمة العمل ، وفي إلحاح الأعباء و الواجبات قد يهمل في عمل اليوم و الليلة بحجة ضيق الوقت وضرورة الفراغ من هذه الأعباء وتلك الواجبات ، ناسياً أو متناسياً أن زاده على الطريق للخروج من كل ما هو مطلوب منه إنما يكون بالمواظبة على عمل اليوم و الليلة ، إذ الوقت و الطاقات والإمكانات كلها ملك لله ، وبيده سبحانه ، وحين يرى من العبد إقبالاً عليه وتلذذاً بطاعته وذكره يمتن ويتفضل عليه بالبركة في الوقت و القوة في الإرادة و المضاعف في العزيمة و السداد في الرأي :
{ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم } ، { ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدراً } .

9- التسويف :

وقد يكون التسويف هو السبب في التفريط في عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن من تعود التسويف أو التأجيل تتراكم عليه الواجبات أو الأعباء ، وحين يريد الخلاص أو الخروج منها تصبح ثقيلة أو شاقة عليه ، وحينئذ لا يكون منه إلا التفريط أو التضييع ولعل هذا هو المفهوم من قوله صلى الله عليه وسلم : " بادروا بالأعمال الصالحات سبعا ، هل تنتظرون إلا فقراً منسياً أو غنى مطغياً أو مرضاً مفسداً ، أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً ، أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر " .
وقد وعى ذلك سلف الأمة - رضوان الله عليهم - فحرصوا على اقتناص الفرص واغتنام العمر قبل أن يضيع ، وحسبنا هنا مقالة عمر - رضى الله تعالى عنه - " القوة ألا تؤخر عمل اليوم إلى الغد " .
ومن وعظه صلى الله عليه وسلم لرجل بقوله : (اغتتم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك) .

10- مشاهدة بعض ذوى الأسوة على حال من التفريط :

وأخيراً ... قد يكون مشاهدة بعض ذوى الأسوة و القدوة على حال من التفريط هي السبب في عدم المواظبة على عمل اليوم و الليلة ، ذلك أن المسلم أحياناً ينظر إلى ذوى الأسوة و القدوة على أنهم نمط فريد من الناس ، لا يمكن أن يقع منهم تفريط أو تقصير ، وحين يطلع منهم أو من بعضهم على شئ من التفريط ، فإن هذه النظرة قد تحمله على محاكاتهم ، ناسياً أنه لا طاعة ولا محاكاة في المعصية ، وإنما في المعروف فقط .
ولعل هذا السبب هو المفهوم من تشديد الإسلام على عدم المجاهرة بالإثم ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم : (كل أمتي معافى إلا المجاهرين ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله فيقول : يا فلان : عملت البارحة كذا وكذا ، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه) .

ثالثاً : آثار التفريط في عمل اليوم و الليلة :

وللتفريط في عمل اليوم و الليلة آثار ضارة وعواقب مهلكة سواء على العاملين أو على العمل الإسلامي ، ودونك بعض هذه الآثار :
أ- آثار التفريط في عمل اليوم و الليلة على العاملين :
من آثار التفريط في عمل اليوم و الليلة على العاملين :

1- الاضطراب و القلق النفسي :

ذلك أن غذاء القلب وراحة النفس وسمو الروح إنما يكون في المواظبة على عمل اليوم و الليلة ، وعليه فإن من فرط في عمل اليوم و الليلة ، فقد قطع عن القلب غذاءه ودواءه ومصدر سعادته وطمأنينته ، وتكون النتيجة القلق والاضطراب النفسي وصدق الله العظيم { ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكاً } ، { ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً } .

2- القعود عن أداء الواجب أو على الأقل الفطور :

وذلك أن زاد المسلم على الطريق إنما هو في المواظبة على عمل اليوم و الليلة ، وعليه فمن فرط في عمل اليوم و الليلة فقد بقي بغير زاد ، ومثل هذا تنتهي به الحال إلى القعود عن أداء الواجب ، أو على الأقل الفطور ، وذلك فيه من الخطورة و الضرر ما فيه ، وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم إذ قال : (يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا نام ثلاث عقد ، يضرب كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة ، وإن توضأ انحلت عقدة ، فإن صلى انحلت عقدة فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) .

3- الجراءة على المعصية :

وذلك أن الطاعة الحققة بمثابة حاجز يحول بين الإنسان وبين المعصية { وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر } وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إن فلاناً يصلي بالليل فإذا أصبح سرق ، فقال : " إنه سينهاه ما تقول " ، وعليه فإنه إذا فرط فيها وضيعها أو أداها بشكلها لا بجوهرها وحقيقتها ، فقد هدم هذا الحاجز وصارت الطريق مفتوحة أمامه للوقوع في المعاصي و السيئات ، بصورة فيها جرأة أو لا مبالاة ، ولعل هذا هو ما يشير إليه قول ابن عباس : " من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهيه عن المنكر ، لم يزد بصلاته من الله إلا بعداً " .

4- الضعف أو الانهيار البدني :

وذلك أن المواظبة على عمل اليوم و الليلة تكسب الجسم مناعة وقدرة على التحمل ، كما قال - سبحانه - على لسان هود عليه السلام { ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم } ، وكما أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم - علياً وفاطمة - عليهما السلام ، إذ قال عليّ : إن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم تشكو إليه ما تلقى في يدها من الرحي ، وبلغها أنه جاءه رقيق ، فلم تصادفه ، فذكرت ذلك لعائشة ، فلما جاء أخبرته ، قال : فجاءنا ، وقد أخذنا مضاجعنا فذهبنا نقوم فقال : " على مكانكما " فجاء فقعد بيني وبينها حتى وجدت برد قدميه على بطني فقال : " ألا أدلكما على خير مما سألتما ؟ ، إذا أخذتما مضاجعكما ، أو أويتما إلى فراشكما ، فسبحا ثلاثاً وثلاثين واحداً ثلاثاً وثلاثين وكبراً أربعاً وثلاثين فهو خير لكما من خادم " ، وعليه فمن فرط في عمل اليوم و الليلة فسيستأثر الاسترخاء و النوم ، وذلك لا يعود على الجسد إلا بما فيه ضعفه وانهياره .

5- الحرمان من العون و التوفيق الإلهي :

وذلك أن عون الله و توفيقه لا يظفر بهما العبد إلا إذا كان على صلة طيبة بربه تتجلى في المواظبة على عمل اليوم و الليلة { إن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون } ، { و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين } ، وإذا حدث وفرط المسلم في هذا العمل ، فقد قطع نفسه عن ربه وحينئذ يحرم العون و التوفيق ، ولعل ذلك هو ما نفهمه من قوله سبحانه { ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين ، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون } .

6- فقد الهيبة أو التأثير في الناس :

وذلك أن من فرط في عمل اليوم و الليلة فقد ضيع أعظم سلاح يؤثر به في الناس ، وسبى قلوبهم ، وهذا بدهي لأنه بهذا التفريط ضيع منزلته عند ربه ، ومن ضاعت منزلته عند ربه فقد ضاعت منزلته عند الناس . وقد أشار إلى ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تدعى الأكلة إلى قصعتها ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكرهية الموت) .

آثار التفريط في عمل اليوم و الليلة على العمل الإسلامي :

ومن آثاره على العمل الإسلامي :

1- طول الطريق مع كثرة التكاليف :

ذلك أن عملاً بضيع المنتسبون إليه حق الله - تبارك وتعالى - عليهم ستطول به الطريق وتتضاعف عليه التكاليف وتحيط به المحن و الشدائد من كل ناحية ، لاسيما وأعداء الله ماضون في تنفيذ أساليبهم ومخططاتهم ، ولا يتوانون عن ذلك لحظة من ليل أو نهار ، وصدق الحق سبحانه حين قال على لسان نبي الله صالح عليه السلام { ... فمن ينصرني من الله إن عصيته } .

2- عدم الثبات في ساعات المحن و الشدائد :

وذلك أن المحن بطبيعتها قاسية وشديدة ، لا يطيقها البشر بحولهم وقوتهم ، وإنما لابد له من العون و التأييد الإلهي ، وأنى لمن فرطوا في جنب الله أن يرزقهم الله تحملاً أو ثباتاً ، ولعل هذا هو المفهوم من قوله تعالى { إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون } ، { يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } ، ومن قوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس : (يا غلام إني أعلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة

لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف) .

رابعاً : علاج التفريط في عمل اليوم و الليلة :

وبعد هذا نستطيع علاج التفريط في عمل اليوم واللييلة باتباع ما يلي :

1- معايشة الكتاب و السنة ففيهما صورة صادقة لثواب الطائعين ، وعقاب العاصين ، وماهية هذا الثواب ، وذلك العقاب بل فيهما تحريض على ملازمة الطاعة وترك المعصية ، من خلال التذكير باطلاع الله - سبحانه - وإحاطة علمه بكل شيء و الرجوع إليه و المسائلة بين يديه و الجزاء وحسب المسلم أن يقرأ هذه الآيات { وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون ، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم

العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ، أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين } .

2- التحرر من المعاصي و السيئات لا سيما الصغائر فإنها سم قاتل ، ونار محرقة وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - إذ يقول : (إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلاً كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجئ بالعود حتى جمعوا سواداً فأججوا ناراً وأنضجوا ما قدفوا فيها " .

3 - التوسط في تعاطي المباحات لاسيما المطاعم و المشارب ، فإنها أساس كل بلية وصدق الرسول - صلى الله عليه وسلم - : (ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه) .

4- إدراك دور المواظبة على عمل اليوم و الليلة في النجاح و القدرة على القيام بالأعباء و الواجبات ، فإن ذلك يحرر النفس من التفريط ويحملها على المواظبة و الملازمة .

5- تقدير النعمة وإنها لن تدوم إلا بالطاعات ، فإن ذلك يحرك النفوس المستقيمة للمواظبة على عمل اليوم و الليلة ، وفاء بحق الله وطمعاً في الاستمرار و الزيادة .

6- محاولة التوفيق بين المواظبة على عمل اليوم و الليلة و القيام بالواجبات الأخرى : (إن لربك عليك حقاً ولنفسك عليك حقاً ولأهلك عليك حقاً ، فأعط لكل ذي حق حقه) .

7- مجاهدة النفس وأخذها بالحزم و الشدة ، مع اتهامها بالتقصير ومع ترك التسويف ، ومع تمنيتها بأنها إن تعبت اليوم ، ستمتع غداً بالنعيم المقيم ، وتتلذذ بالنظر إلى وجه الله الكريم .

8- تقدير العواقب والآثار المترتبة على التفريط في عمل اليوم و الليلة ، فلعل ذلك يحرك القلوب وتتعكس هذه الحركة على الجوارح فتكون المواظبة على عمل اليوم و الليلة .

9- ملازمة الجماعة ، و العيش في وسط صالح مستقيم ، فإن ذلك يذكر بالله ويشدّ الهمم و العزائم ، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ألا أتنبئكم بخياركم ؟ ، قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : خياركم الذي إذا رؤوا ذكر الله عز وجل) .

10- الاستعانة التامة بالله - عز وجل - فإنه سبحانه يعين من استعان به ولجأ إلى حماه ولاذ بجناحه ، لاسيما في ساعات الاضطراب و الشدة { وقال ربكم ادعوني استجب لكم } ، { أمنّ يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أله مع الله قليلاً ما تذكرون } .

11- إدراك أن الدنيا دار عمل وغرس وزراعة ، وغداً سيكون الحصاد ، ومعرفة النتائج ، ولئن ضاعت الدنيا بغير طاعة ، كانت الخسارة التي لا خسارة بعدها : { ... إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين } .

{ وقال الذين آمنوا إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا إن الظالمين في عذاب مقيم } .

12- مواظبة ذوى الأسوة و القدوة على عمل اليوم و الليلة حتى لا يكونوا سبباً في فتنة وضياع غيرهم من الناس ، فيحتملون إثم أنفسهم وإثم اقتداء غيرهم بهم : (... ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من اتبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً) .

13- معايشة النبي صلى الله عليه وسلم في سيرته ، وكيف كان يصوم النهار حتى يقال إنه لا يفطر ، ويقوم الليل حتى يقال إنه لا ينام ، ومثل ذلك كان يصنع في باقي الطاعات ، مع أن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، إن هذه المعايشة تحمل كل مفرط في عمل اليوم و الليلة على المواظبة ، من منطلق أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يصنع ذلك ، وقد وعده الله المقام المحمود فكيف بمن لا يعرف عاقبته ، وهل سيكون في الجنة أم مع أهل النار ؟ .

14- دوام النظر في سيرة وأخبار السلف ، فإنها مليئة بصور حية مشرقة في المواظبة على عمل اليوم و الليلة ، تحمل كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد على الاقتداء و التأسي ، أو على الأقل المحاكاة و التشبه .

15- تذكر الذنوب والآثام الماضية ، فإن ذلك يحمل على المواظبة في عمل اليوم و الليلة تداركاً لما فات ، وطمعاً في تكفير هذه الذنوب ، وتلك الآثام ، وخير ما يصدق ذلك موقف السحرة من تهديد فرعون حين خالطت حلاوة الإيمان قلوبهم وردهم عليه :

{ قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات و الذي فطرنا فافض ما أنت قاض ، إنما تقضى هذه الحياة الدنيا ، إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى } .

16- تذكر أن الموت يأتي بغتة ، وإذا لم يأت بغتة فسيسبقه المرض ثم يكون الموت ، ويكون الندم ولكنه بعد فوات الأوان وضياع الفرصة .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
7	الآفة الثامنة : الرياء و السمعة
7	أولاً : مفهوم الرياء أو السمعة لغة واصطلاحاً
9	ثانياً : أسباب الرياء أو السمعة
14	ثالثاً : سمات أو علامات الرياء أو السمعة
15	رابعاً : آثار الرياء أو السمعة
15	على العاملين
25	على العمل الإسلامي
26	خامساً : طريق علاج الرياء أو السمعة
31	الآفة التاسعة : اتباع الهوى
31	أولاً : مفهوم اتباع الهوى لغة واصطلاحاً
33	ثانياً : حقيقة اتباع الهوى في ميزان الإسلام
36	ثالثاً : أسباب اتباع الهوى
43	رابعاً : آثار اتباع الهوى
43	على العاملين
47	على العمل الإسلامي
5	خامساً : علاج اتباع الهوى
57	الآفة العاشرة : التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة
57	أولاً : مفهوم التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة لغة واصطلاحاً
58	ثانياً : حقيقة التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة في ميزان الإسلام
61	ثالثاً : أسباب التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة
67	رابعاً : آثار التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة
67	على العاملين
7	على العمل الإسلامي
72	خامساً : علاج التطلع إلى الصدارة وطلب الريادة
79	الآفة الحادية عشرة : ضيق الأفق أو قصر النظر
79	أولاً : مفهوم ضيق الأفق أو قصر النظر لغة واصطلاحاً
الصفحة	الموضوع
8	ثانياً : أسباب ضيق الأفق أو قصر النظر
85	ثالثاً : مظاهر أو سمات ضيق الأفق أو قصر النظر
87	رابعاً : آثار ضيق الأفق أو قصر النظر
87	على العاملين
9	على العمل الإسلامي
92	خامساً : علاج ضيق الأفق أو قصر النظر
1.1	الآفة الثانية عشرة : ضعف أو تلاشى الالتزام
1.1	أولاً : مفهوم ضعف أو تلاشى الالتزام لغة واصطلاحاً

1.3	ثانياً : مظاهر أو سمات ضعف أو تلاشى الالتزام
1.4	ثالثاً : أسباب ضعف أو تلاشى الالتزام
121	رابعاً : آثار ضعف أو تلاشى الالتزام
122	على العاملين
124	على العمل الإسلامي
125	خامساً : علاج ضعف أو تلاشى الالتزام
137	الآفة الثالثة عشرة : عدم التثبيت أو التبين
137	أولاً : مفهوم عدم التثبيت أو التبين لغة واصطلاحاً
141	ثانياً : أسباب عدم التثبيت أو التبين
15	ثالثاً : مظاهر عدم التثبيت أو التبين
151	رابعاً : آثار عدم التثبيت أو التبين
151	على العاملين
154	على العمل الإسلامي
157	خامساً : علاج عدم التثبيت أو التبين
167	الآفة الرابعة عشرة : التفريط في عمل اليوم و الليلة
167	أولاً : مفهوم التفريط في عمل اليوم و الليلة لغة واصطلاحاً
168	ثانياً : أسباب التفريط في عمل اليوم و الليلة
182	ثالثاً : آثار التفريط في عمل اليوم و الليلة
183	على العاملين
الصفحة	الموضوع
187	على العمل الإسلامي
188	رابعاً : علاج التفريط في عمل اليوم و الليلة